موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية
www.coptology.org

دكتور جورج حبيب بباوي

نظرة على الفكر القبطي المعاصر

نظرة على

الفكر القبطي الأرثوذكسي المعاصر
إشكالياته وآليات ضبطه

دكتور
جورج حبيب بباوي
٢٠٢١

اسم الكتاب : نظرة على الفكر القبطي الأرثوذكسي المعاصر - اشكالياته وآليات ضبطه

المؤلف د. جورج حبيب بيباوي

الناشر : جذور للترجمة والنشر والتوزيع

١٤ ش محمود حافظ ـ ميدان سفير ـ مصر الجديدة

ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

الطبعـة : الأولى ـ يناير ٢٠٢٢

رقم الإيداع : ٣١٠٤٠ /٢٠٢١

الترقيم الدولي : ISBN 978-977-5086-59-4

جدول المحتويات

تقديم: ١٣

دعوةٌ لاستشراف مستقبل الكنيسة القبطية ١٥

المستقبل ليس مجهولاً: ١٥

الطريق إلى المستقبل واضح: ١٧

الحياد والشهادة ١٩

لا حياد في الأرثوذكسية: ٢٠

كيف انعدمت رجولة الرجال؟ ٢٠

البطريرك القادم، وأزمة ثقافة كنسية ووطنية ٢٣

عند مفترق الطرق: ٢٨

الضلالة الكبرى في محنة اختيار البطريرك الـ ١١٨ .... ٣١

الأسس الشيطانية التي بُنيت عليها هذه الضلالة: ٣١

العناصر الأساسية لهذه الضلالة: ٣٤

صوت القانون الكنسي وشهادته: ٣٩

المسيح رب الجسد ورأس الكنيسة جسده: ٤٠

الفزاعة الشيطانية: ٤١

الخطاب الديني، والخطاب السياسي ٤٣

المعنى التاريخي لكلمات الرسول بولس في رومية (١٣: ١ – ٧) ٤٣

محاولة لإلقاء الضوء على الحراك السياسي في مصر ٤٣

النص القبطي: ٤٣

الخلفية التاريخية: ٤٤

الترتيب الإلهي للسلطة: ٤٤
التمييز الدقيق بين "السلطة"، و"الحاكم" حسب شرح ذهبي الفم: ٤٥
الكنيسة والدولة: ٤٧
دفاع الشهيد يوستينوس سنة ١٥٠: ٤٨
القانون الطبيعي وقانون الله: ٤٨
القانون والوثنية والمجتمع: ٤٨
النزاع حول اختصاصات السلطة المدنية والتعليم المسيحي: ٤٩
التمييز بين إبداء الرأي في المسائل المدنية والسياسية، وبين اعتبار الرأي قانونًا كنسيًا: ٥١
آفة حارتنا النسيان ٥٣
الأسلوب السياسي في تصوُّر وإثارة مشاكل كنسية ٥٥
التجسد ودعوة الإلحاد في مصر (١) ٥٩
التجسد ودعوة الإلحاد في مصر (٢) ٦٥
الإنسان يُولد عاريًا: ٦٥
الله قصة الإنسان: ٦٦
هل يسوع كتاب الإنسان؟ ٦٧
التجسد ودعوة الإلحاد في مصر (٣) ٧١
من الإنسان وإلى الإنسان: ٧١
الآخر، الله والإنسان: ٧٢
الشيطان هو الآخر، ولكن بأي صورة؟ ٧٤
مَن هو الشيطان إذن؟ ٧٥
التجسد ودعوة الإلحاد في مصر (٤) ٧٩
لماذا التجسد في مواجهة الإلحاد؟ ٧٩
ثوابت الإنسان حسب تعليم يسوع: ٨١
الثوابت في الإنسان: ٨٤

تجسُّد الثوابت الإنسانية: ٨٣

الله والثوابت الإنسانية: ٨٤

الإلحاد، أشرُّ من الخرافات (١) ٨٩

الإلحاد، يا ليته عدم الإيمان بشيء: ٩٠

الفرد، وليس الشخص هو مقياس ومرجعية الحقائق: ٩١

الإلحاد أشر من الخرافات (٢) ٩٥

الحضارات القديمة: ٩٦

الإله الواحد: ٩٧

اتهام المسيحيين في بداية العصر المسيحي بالإلحاد: ١٠٠

الإيمان بالله ليس لسد فجوة، بل لاكتشاف الوجود الإنساني: ١٠٠

الإلحاد أشر من الخرافات (٣) ١٠٣

الصلب والمصلوب ودعوة الإلحاد في مصر: ١٠٣

الإله المصلوب بالجسد: ١٠٤

تحدِّي المصلوب للإلحاد: ١٠٨

يسوع رب الحياة في عصر الانهيارات أخلاقية - سياسية - دينية - اقتصادية ١١٣

لماذا بدأت بمقال د. وحيد عبد المجيد؟ ١١٣

رسالةٌ لم تصل: ١١٤

الحوار على المستوى الكنسي: ١١٥

الاستحالة الجوهرية، وقضية التطرف في الكنيسة: ١١٦

يسوع، الوجه الإنساني الإلهي: ١١٩

نداء إلى رجال الأعمال الذين يهمهم التعليم: ١٢٢

منعُ الكتبِ استنساخٌ للعبيد ١٢٣

سقطةٌ سابقة وقرارُ تحريمٍ بلا أسبابٍ معلَنة: ١٢٤

تحديث الخطاب الديني (١) ١٢٧

الاحتماء بالماضي دون دراسة التاريخ: ١٢٧
مؤلفات الأب متى المسكين: ١٢٨
العوائق الحقيقية للتحديث: ١٢٩
تحديث الخطاب الديني (٢) ١٣١
أهمية اللغات القديمة: ١٣١
انعدام التخصص: ١٣٢
تحديث الخطاب اللاهوتي في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ١٣٥
الاختلاف حول ترجمة الآباء: ١٣٥
الجهد الأول: ١٣٦
الاتحاد الأقنومي: ١٣٧
الجهد الثاني: ١٣٨
التحليل اللغوي لا يحدد الإيمان: ١٣٩
ملحق ١٤١
رَدٌّ على تعليق الأخ صليب ١٤١
الإدارة الكنسية: ١٤٤
العموميات، السُّمُّ البطيء القاتل ١٤٧
رجل الشارع: ١٥٠
تحديث الخطاب الديني المسيحي: ١٥٠
مزلقان الاستبداد ١٥٣
السلفيون المسيحيون، وحراك التطوير في الكنيسة القبطية ١٥٧
المطلق والنسبي: ١٥٧
ثانياً: تاريخ الأسرار الكنسية، خاصة سر الزيجة: ١٦٢
تاريخ الزواج في الكنيسة في القرون الأولى: ١٦٤
الخطاب الديني في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ١٦٧

الإشكالية التاريخية: ١٦٨
الإشكالية الفلسفية وثوابت الإيمان: ١٦٩
إشكالية التجديد في الكنيسة القبطية: ١٧٠
رجاءٌ حيٌّ: ١٧١
ملحق: رؤيتي لـ «القرن الحادي والعشرين» (١١٧) ١٧٣
البابا فرنسيس وتجديد الخطاب الديني ١٧٣
الأهرام في ١٥ مارس ٢٠١٦ .... ١٧٣
مراد وهبة ١٧٣
عواصف الأصولية القبطية ... متى يهل علينا فجر التنوير؟(١) ١٧٧
العلاقات الإنسانية، وإلى أين تنتهي، إذا سادت الأصولية؟ ١٨٠
الآخر، مَن هو، وماذا فعلنا به؟ ١٨٢
ماذا فعلنا بالآخر؟ ١٨٥
عواصف الأصولية القبطية ... متى يهل علينا فجر التنوير؟ (٢) ١٨٧
غاب التجسد، فغاب الإنسان: ١٨٩
ما هي المشكلة الحقيقية؟ ١٨٩
كيف عصفت الأصولية بأساسات التدبير؟ ١٩١
ولماذا عصفت الأصولية بالأساسات؟ ١٩٢
هل استخدام عبارات ذكرها الهراطقة بشكلٍ عام يؤدي إلى هرطقة مستخدمها؟ ١٩٥
دائرة كل الهرطقات: ١٩٦
دائرة الانفصال: ١٩٦
ما يقوله الهراطقة هو ما يتفق مع هدف الهراطقة: ١٩٨
خلاصة القول: ١٩٩
أما آن لنا أن ننتهي من هذا العبث الصبياني؟ ٢٠١
الحوار اللاهوتي الكنسي، والصراع السياسي (١) ٢٠٣

الحوار اللاهوتي الكنسي والصراع السياسي (٢) ٢٠٧
أبحاث في التاريخ في يد غير الدارسين ٢١١
اختزال التاريخ والوقاحة ونشر الكراهية ٢١٥
ما بين ملفات التاريخ والوقاحة: ٢١٨
هل إنكار وراثة الخطية الأصلية، هرطقة؟ (أسئلة مشروعة) ٢١٩
الدعوة لإعادة معمودية الكاثوليك خلافُ محبةٍ، أم خوفٌ وكراهية؟ ٢٢١
الكنيسة الشرقية التي ذُبحت: ٢٢٢
مَن يحيا في الماضي، يفقد الحاضر: ٢٢٣
الإيمان بالثالوث: ٢٢٥
عرضٌ وتقييم: ٢٢٩
الكذبةُ الكبرى «دعوةٌ وصلاةٌ من القلب لعودة الوعي» ٢٣١
ما هو الهدف من هذه الكذبة الكبرى؟ ٢٣١
مهاتراتٌ لا حوار ٢٣٥
شهادة الأنبا موسى الأمينة للتاريخ ٢٣٩
الإرهاب الفكري النائم ٢٤٣
الأمل في حياةٍ مسيحيةٍ أرثوذكسية ٢٤٧
المرض القديم الذي لم يُعالَج: ٢٤٧
الأصولية القبطية والجهل بالإيمان: ٢٤٨
لجنة الحوار داخل الكنيسة: ٢٤٩
كلامنا بين الحياة والموت، والحوار الذي تأخر ٤٠ عامًا ٢٥١
الموت ضرب كلماتنا: ٢٥١
الكلمة حسب حياة يسوع الذي فينا: ٢٥٢
الحوار المأمول في الكنيسة: ٢٥٢
الثقافة المصرية المعاصرة، وصراعُ النصِّ مع التأويل ٢٥٥

بين التاريخ القديم والحديث: ٢٥٦
مصادرة الكتب، وحرق كتب الأب متى المسكين: ٢٥٧
التأويل والاتهام بالهرطقة: ٢٥٨
متى يكون التأويلُ خطًا؟ ٢٥٩
الفرق بين التأويل والهرطقة: ٢٦٠
متطلبات التأويل: ٢٦١
تأويلات الأنبا شنودة ردًا على الأب متى المسكين: ٢٦٤
التاريخ في المسيحية الأرثوذكسية ليس أحداثًا قديمة: ٢٦٦
التأويل الخاطئ لذبائح العهد القديم، أساسٌ خاطئ لشرح الفداء: ٢٦٧
مراجعة لاهوت السرائر: ٢٦٨
سرعة إصدار الحكم بالهرطقة: ٢٦٩
الادعاء والشوشرة في وسائل الإعلام: ٢٧٠
أمثلة لحقائق غابت عن التأويل: ٢٧١
ختام: ٢٧٧
لا حياء ولا هيبة ولا معرفة عند الشامتين ٢٧٩
الانفجار من الداخل القادم لا محالة ٢٨١
كبارٌ يفكرون مثل المراهقين ٢٨٥
القديس الأنبا أنطونيوس الكبير، عدو الشيطان ٢٨٧
التكفير والحرمان من السماء ٢٨٩
الأبحاث والحوار طريق المستقبل ٢٩١
العوامل الأساسية للنهضة: ٢٩٢
الآثار البعيدة المدى: ٢٩٣
سلطان السيد وخوف العبيد ٢٩٥
أزمة وجود قبل أن تكون مشكلة أخلاقية ٢٩٧

كيف تصوغ الثقافة الشعبية المصرية حوارًا؟ ٣٠١
الثقافة الشعبية: ٣٠٣
هيكل الحياة: ٣٠٣
شوشرة الثقافة الشعبية: ٣٠٣
العدمية Nihilism في الفكر الكنسي المعاصر ٣٠٥
ثقافة الاختلاف: ٣٠٦
التطهُّر من العدمية: ٣٠٧
التعليم بالعقوبة، تعليمٌ خاصٌّ بالعبيد، لا بالأبناء ٣٠٩
التخوين والعصا ٣٠٦
العقوبة والتأديب: ٣١٠
التراتيل الملوثة بالثقافة غير الكتابية: ٣١١
تألُّهٌ خطير: ٣١٢
الكنيسة جسَّدت المسيح عبر تاريخها ٣١٣
لا رموز للمسيح: ٣١٣
لا بديل للمسيح: ٣١٤
الشكل السياسي: ٣١٥
هل تمنح الإفخارستيا بالضرورة، الشفاء الجسدي؟ ٣١٧
الرب هو غاية السر: ٣١٩
الإفخارستيا والشفاء ٣٢١
التسليم الكنسي: ٣٢١
عمل الرب يسوع في الإفخارستيا: ٣٢٢
الرب يسوع وجسده: ٣٢٣
هل تنقل الإفخارستيا كرونا؟ ٣٢٥
منع البشر من التناول: ٣٢٦

السر المجيد وطقوسنا ٣٢٩

الشخص والشيء والفكرة، وسر الإفخارستيا ٣٣١

بيان من الدكتور جورج حبيب ٣٣٣

نظرة إلى مستقبل معرفتنا بالتراث (١) ٣٣٥

نظرة إلى مستقبل معرفتنا بالتراث (٢) ٣٤١

قضايا التراث المسيحي في مصر: ٣٤١

تجلي الكلمة (اللوغوس) في إنجيل يوحنا: ٣٤٦

أمانة عليك مَوّال قبطي ٣٤٩

تقديم

يصدُر هذا المجلد بعد انتقال الدكتور جورج حبيب بباوي إلى عالم النور، وهو يحوي بعض المقالات التي نُشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في حينها والتي تعلَّقت بأحداثٍ معينة تناولها الدكتور جورج بالتعليق، فكشف عن ما أصاب الفكر القبطي المعاصر من عوارٍ ظهر جليًّا في الخطاب القبطي. وفي كشفه عن هذا العوار أو فيما اقترحه من حلول، لم يغادر الدكتور جورج أرض التسليم الكنسي، ولنا في المقال الأول من هذا المجلد مثالٌ واضح على ما نقول، لذا ندعو القراء إلى أن يقرأوا هذا المقال ليس فقط كأحد المقالات التي يحويها هذا المجلد، بل وأيضًا كمقدمة له توضح المنهج الذي سار عليه الدكتور جورج في هذه المقالات سواء فيما ما وضع عليه يده من عيوب، أو فيما اقترحه من آليات ترد الفكر القبطي مرةً أخرى إلى أرض التسليم الكنسي والإيمان المسيحي، واضعًا أمامه رب المجد يسوع المثال الصالح للإنسان الجديد الذي يتكون به وفيه بمسرة الله الآب وفعل الروح القدس.

رتَّبنا المقالات بحسب تاريخ نشرها إلَّا فيما ندر ولأجل تقديم الفكرة من جميع جوانبها من خلال المقالات التي تناولت ذات الموضوع أو دارت حول ذات الفكرة.

نطلب نياحًا وراحةً لنفس الدكتور جورج، وصلاةً من أجلنا لكي نؤدي ما علينا من أمانةٍ تجاه نفس الراحل الكريم وتجاه كنيستنا القبطية الأرثوذكسية أُم الشهداء.

أسرة موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية

نياحة القديس يوحنا القصير
٢٠ بابة ١٧٣٨ ش - ٢٩ أكتوبر ٢٠٢١

دعوةٌ لاستشراف مستقبل الكنيسة القبطية[1]

المستقبل ليس مجهولاً:

إن ما حدث من تحولٍ في البنية العقلية والروحية طوال نصف القرن المنصرم من تاريخنا المعاصر، يحتاج إلى وقفةٍ مع النفس، ليس للإشارة إلى أخطاءٍ وخطايا، بل لتحديد ووصف هذا التحول ذاته؛ ذلك أن سمات المستقبل تكشف عن نفسها لمن يريد أن يراها، فهي، وإن كانت سابقًا في رحم الماضي، إلا أنها وُلِدت في الحاضر، وأصبح شكل المولود معروفًا الآن، وليس عسيراً معرفة ما سيكون عليه في قابل الإيام؛ لأن مَن وُلِد بعجزٍ بدنيٍّ كمن وُلِد بدون ساقين، لن يكون في يوم من الأيام بطلاً في المصارعة، أو العدو، ولكنه قد يتفوق في السباحة أو الرماية .. إلخ.

من رحم الماضي وُلِدت اتهاماتٌ ظلت تُردد طوال سنوات دون فحصٍ، ودون بحث. وقد كانت هذه الاتهامات ولا تزال بمثابة الضباب الكثيف الذي حجب رؤية أُناسٍ كثيرين. وكانت نتيجة انتشار هذه الاتهامات ودخانها الخانق، أن وُلِد الاحجامُ عن الحوار، وتوقفت مجلات كانت لها رسالةٌ في كشف العوار، وحلَّ صمتُ مَن يُراقِب منزله وهو يُسرَق، عاجزًا حتى عن الاتصال بالشرطة، واكتفى بأن **يهتم بخلاص نفسه**، وساد فهمٌ خاطئٌ لكلام الرب: **"لا تدينوا"**؛ في حين أن الإدانة المقصودة في سياق القول نفسه هي رفض اليهود لتعليم الرب، واستدعاء الشريعة الموسوية لتحكم على هذا التعليم بالبطلان لأن قائله يشفي في السبت ويأكل مع الزناة والخطاة، أي الذين يكسرون وصايا الشريعة.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٩ يونيو ٢٠١٩.

عندما كتب الأنبا شنودة: "امحُ الذنب بالتعليم"، فقد حكم على أي رأي مهما كانت مرجعيته بأنه ذنبٌ، وأن ما يكتبه هو من تعليم هو الدواء بعينه!!!

وترتَّب على ذلك أن نشأت كتائب الشيع متزامنةً مع المولود، الذي تمثَّل في الارتداد إلى أصوليةٍ ثقافية باسم الإيمان والعقيدة، فجمعوا كل ما يمكن جمعه من شتائم، مؤكدين على أن المحاربين في كتائب الإعلام يتَّسمون بسمات عبيد الدونية والعجز العقلي والإحساس بعدم جدوى الوجود، وما يصاحب هذا من إعلاء لاعقلانية تعود إلى فقدان الوعي بقيمة الإنسان.

ولذلك ليس غريبًا أن تصبح الأجواء المحيطة كلها، أجواء تخوين واتهام بالهرطقة. ولكن وعلى الرغم من ذلك، فنحن نرى أن العلاج يبدو وعلى الفور في عودة الدوريات العلمية إلى ممارسة دورها.

وإنه وإن كانت المحبة قد اختفت من الخطاب ومن الممارسة، فالحل ليس الحديث عن المحبة، بل في فتح كل ملفات الـ ٤٠ عامًا الماضية. ملفات الكل: القاضي، أو القضاة والمتهمين، فلا مكان بالمرة لأي تمييز، ولكن يجب أن نأخذ في اعتبارنا:

+ لا مجال لدفع فواتير الماضي وتجريم القضاة الذين وجدوا في الميكروفون محكمتهم العليا، وإنما المجال مفتوح لنشر الأبحاث قبل الحوار. وهذه الأبحاث هي التي سوف تكشف موقف هؤلاء القضاة، حتى دون محاكمة. هذا أفضل من الغليان الصامت الذي قد يؤدي في يومٍ من الأيام إلى تمرد على الإكليروس.

+ الطريق الضيق الذي قدَّمه الرب يسوع لنا هو طريق اختفاء الأهواء، وهو طريقٌ طويل. ويجب أن نعلم أننا نهرب من المسئولية عندما نضع الحمل الثقيل على كاهل قداسة البابا تواضروس وحده. ويجب أن نعلم أيضًا أن الطريق الضيق -في مثل ما نمر به من ظروف- هو ضخ الحياة

في الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية الذي غاب عنه أشخاصٌ مثل د. وليم سليمان – الأستاذة إيريس المصري – د. سليمان نسيم، بل د. مراد وهبة – د. ميلاد حنا، وأسماءٌ لمعت في حياتنا ولكنها هُمِّشت عمدًا وقصدًا.

الطريق إلى المستقبل واضح:

يجب أن ننتبه إلى جهود القيادة السياسية للنهوض بمصر، ونتعلم منها، فمن يتابع هذه الجهود يرى أن هناك تقدمًا في مجال الصناعة واكتشاف مصادر الطاقة، ثم الاتجاه نحو التعليم وتنوع مصادر السلاح ودعم القوات المسلحة بما هو حديث، بل وتصنيع بعض المعدات العسكرية. فالنهوض بالاقتصاد هو العمود الفقري الذي يحفظ كرامة مستقبل أي وطن. وغير خافٍ أن معاناة مصر لا تخفى على أحد، فعندما سافرت للدراسة في جامعة كمبردج ١٩٦٥ كان الدولار الأمريكي يساوي ما قيمته ٤٢ قرشاً، ولكن ما حدث بعد ذلك معروف.

وبناءً على ذلك لا بد من دعم مؤسسات التعليم، ومرة ثانية: الكلية الإكليريكية. فقد كان صدام المبعوثين مع أسقف التعليم هو صدام من درس الآباء مع الذي عاشوا على تراث العصر الوسيط. ولذلك كان الهجوم على هؤلاء بمثابة ستر عورة من لم يدرس.

ويجب أن يشمل هذا الدعم سد النقص الواضح عندنا في مجالات:

+ الكتاب المقدس بعهديه، ولا يجب أن يقترب من دراسات الكتاب المقدس من لا يتقن العبرانية واليونانية.

+ تاريخ العقيدة، أليس من العار أن يكون كتاب د. القس يوحنا الحضري هو المرجع المتوافر بين أيدي الأقباط الأرثوذكس.

+ التاريخ الكنسي، وما نشرته مؤسسة بناريون جديرٌ بكل تقدير، ولكن

حاجتنا شديدة إلى توافر مدرِّس إلى جوار المراجِع.

+ كتابات الآباء، وكانت مثل الفاكهة التي لا يذوق طعمها إلا من قرأ ما تَرجَم، ولم يكن لدينا مدرس، ولم تدخل في مناهج الدراسة إلا بعض فصول للقديس أثناسيوس والقديس كيرلس في مادة اللاهوت المقارن لأستاذنا الأنبا غريغوريوس.

+ وذات الملاحظة خاصة بالقانون الكنسي، فقد مُنِعَ د. عوني برسوم من التدريس، لمجرد أنه يمت بصلة قرابة للشهيد الأنبا صموئيل.

+ لا يمكن تجاهُل ما نشره الأب أثناسيوس المقاري، فهو أفضل ما لدينا. ودعوته للتدريس في الإكليريكية يجب أن تكون مطلبًا أساسيًّا لأنه قدم لنا تاريخ الليتورجيات القبطية.

الحياد والشهادة[1]

في عصر المعلوماتية اختلطت المفردات والمعاني والمحتويات لا سيما وأن الحداثة وما بعد الحداثة قد تحول الى ما يشبه "السُّلطة" التي تحاول أن تفرض نفسها على الواقع الإنساني.

الحياد فكرة وُلدت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ورسخت أثناء الحرب العالمية الثانية، وتحولت إلى أحد المصطلحات الأساسية في عالم السياسة. كان تحالف دول عدم الانحياز في مؤتمر باندونج له دور كبير في تهدئة ميزان الحرب الباردة .. نهرو - شواين لاي - عبد الناصر وآخرون.

لم يعرف اللاهوت المسيحي الحياد بالمرة، ليس لأنها كلمة جديدة، بل لأن المسيحية لا تعرف الحياد بين:

- الشر والخير.
- الأرثوذكسية والهرطقات.

ما تعرفه الأرثوذكسية هو الشهادة، إذ يبدأ الانجيل بشهادة يوحنا المعمدان عن الرب يسوع المسيح (يوحنا ١: ٨، ٣٢، ٣٤). ويقول الرب نفسه إن الآب نفسه يشهد له (يو ٥: ٣٧) واعتبر الرسل أنفسهم أن خدمتهم قائمة على شهادة الأنبياء ليسوع (أع ١٠: ٣٤)، بل شهد الآب عن كهنوت الابن له المجد (عب ٧: ١٧) ووصِفَ يسوع رب المجد بأنه "الشاهد الأمين" (رؤ ١: ٥).

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ مايو ٢٠١٢.

لا حياد في الأرثوذكسية:

في عتاب المحبة أقول للخائفين الذين لزموا الصمت على ما أصاب القمص متى المسكين .. هل كان صمتكم حيادًا أم خوفًا؟ .. وكيف يجوز الحياد وهناك محور واحد يدور حوله كل ما أصاب الأب متى المسكين، وهو إيمانه وشهادته للأرثوذكسية؟

هل وقفت الكنيسة على الحياد عندما كان الصراع ضد الأريوسية مسلحًا بقوة الأباطرة، وليس على عكس ما زعمه الذين يزيِّفون التاريخ القبطي لأغراض سياسية بأن الأريوسية كانت دعوة للتوحيد، في حين أنها كانت في حقيقة الأمر عودة للوثنية؟ أمَّا دعوة التوحيد، فكانت هي جوهر الله الواحد المثلث الأقانيم التي حاربها أباطرة بيزنطة، وقاد هذه الحرب نيابةً عنهم أساقفة كانت لهم مكانة اجتماعية وسياسية في الإمبراطورية مثل يوسابيوس أسقف قيصرية وغيره ...

ألم يقف أنطونيوس الكبير ضد الأريوسية، ونزل إلى الإسكندرية وترك الوحدة لكي يشجع المعترفين؟ .. ألم تقدِّم الأديرة الباخومية الملجأ للقديس أثناسيوس الرسولي؟ .. ألم يقدم له شعب الإسكندرية الطعام والمال عندما اختبأ في مقبرة أبيه في الإسكندرية وحمل الشعب رسائله إلى ايبارشيات الكرازة؟

كيف انعدمت رجولة الرجال؟

كانت وطأة الحكم الشمولي أعظم من الاحتمال ... دخل الإخوان المسلمون، والشيوعيون المعتقلات، وخرجت من المعتقلات قصصٌ رهيبة أشاعت الخوف .. لم يكن لدينا منفذ واحد للمعارضة طوال ٣٠ سنة، لكن القهر السياسي تزامن معه توفر لقمة العيش وحق الفقير في التعليم وفرص العمل في مشروعات قومية كبرى - القطاع العام - الحديد والصلب - السد العالي - مصانع السلاح .... الخ. كل هذا جعل الشعب يضحي بالحرية في سبيل الالتحام بالحراك

الوطني والاقتصادي، وجاءت فاجعة ١٩٦٧ وخرج جمال عبد الناصر نفسه يقول في خطاب مشهور: "سقطت دولة المخابرات"، ولكن أحدًا لم يسأل كيف قامت هذه الدولة، وهو على رأس السلطة التنفيذية.

كان من الضروري أن تعود الرجولة للجيل الذي لم يعاصر الحكم الشمولي .. فقد سمعت أحد شباب ثورة ٢٥ يناير يقول: "أنا عمري ٢٧ سنة، متعطل، أنا في حكم الميت. جئت ميدان التحرير لأنني في البيت ميت، وهنا أموت راجل". ورأيت ما حدث في الميدان وفي الشوارع والصدور العارية تواجه الرصاص والغازات..

وخرج شباب ماسبيرو ليقف بكل أسف أمام مدرعات، من المفترض أنها مخصصة لحماية الوطن .. وكانت مأساة مازالت تدور في أروقة المحاكم تبحث عن مجرم بين عناصر من أسموهم بالطرف الثالث .. وبرزت أسماء شهداء أقباط .. دبَّت الرجولةُ من جديد لأن الصمت لم يعد بعدُ حلًا.

وعندما يكتب أي قبطي ويقول: "أنا محايد"، فيجب أن نظن أننا أمام معسكرين كلاهما يشن الحرب .. في حين أن الحرب الإعلامية كانت من طرف واحد، كانت مجلة الكرازة تقود حربًا لا قداسة فيها، ثم دخلت إلى جوارها بعض الفضائيات .. وصمت القمص متى المسكين، وقال لي هو نفسه إن الراهب لا يدافع عن نفسه لأن الراهب مات عن العالم ...

لكن الصمت قتل الشهادة، وشقَّ الحيادُ أكبر طريق للقهر، ودعَّم انعدام الرجولة، وصار للخوف مسحةٌ من التقوى ..

بكل وقار ويقين، أقرر وأؤمن إن التخلي عن الحق الشخصي وترك الدينونة لله هو أمرٌ غير قابل للنقاش، لكن التخلي عن حق الكنيسة لا سند له سوى انعدام الشهادة.

الإنسان الذي يقبل أن يقوم أسقف بتزوير شرائط غيره، ثم يتقدم للترشيح لكرسي مار مرقس، ويصمت دون مواجهته، لا يمكن أن يكون أقل من شيطان؛ لأن الشيطان لا يحب الشهادة. في مقابل هذا يقول الرب عن أنتيباس: "أنتيباس شهيدي" (رؤ ٣: ١٤) لأنه لم يترك شهادة يسوع ...

يا أخوة؛ الحياد هو أكبر خدمة نقدمها للقهر، وهو القوة التي تسند الظلم.

يا أخوة؛ الحياد غريبٌ عن الإنجيل، وغريبٌ عن كنيسة تصلي قائلةً: "أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير".

الحياد غريبٌ عن كنيسة أنجبت الشهداء، وسمَّاها التاريخ بأُم الشهداء.

لا تقل يا أخي إنني أكتب بكل حياد، أو أتناول الموضوع بحياد ..

بل قل أنا أكتب لأجل الشهادة، وقل إن هذا هو الحق .. وإن هذا هو ما حدث .. ويكفي أننا تلاميذ الشاهد الأمين، فكيف -والوقت مقصِّر- نكون بعد محايدين؟!!

البطريرك القادم
وأزمة ثقافة كنسية ووطنية[١]

متى تسترجع مصر تاريخها العريق الحافل بكل أدوات التقدم؟ فهي أقدم دولة في المنطقة سادتها الوحدةُ بين الدلتا والجنوب منذ عهد مينا أول موحِّد لبلدٍ أسهم بمقدار وافر في الحضارة القديمة، ثم توالت عليه النكبات من فتوحات تريد قهر شعبها واستغلال موقعها ومواردها .. هذه عبارة استاذنا الراحل لطفي السيد يوم تولى الرئيس جمال عبد الناصر رئاسة الجمهورية: "أنت أول مصري يحكم مصر"، ولو شاء الدقة لقال منذ القرن السابع الميلادي.

وفي داخل الوادي تحيا كنيسة مصر، وهي أقدم مؤسسة وطنية حاول الأجنبي المساس بها وفشل. حتى عندما داست جيوش الامبراطورية البريطانية على أرض مصر، كانت الكنيسة ومعها الأزهر -كلاهما معًا- البقعة الواحدة التي لم تخضع للاحتلال.

رحل الأنبا شنودة الثالث بعد معاناة ورحلة طويلة مع المرض، رحل إلى سلام أبدي نرجوه له ولكل الذين هم وديعة عند الخالق الكلي الرحمة، وترك وراءه تركةً ثقيلةً جدًا.

أولاً: لم ينجح باباوات مصر منذ البابا كيرلس الرابع حتى البابا شنودة الثالث في وضع نظام داخلي يحكم مؤسسة الكنيسة، وهي فترة طويلة امتدت زهاء قرن وأكثر من زمان كانت فيه مصر تغلي بحركات ثورية وصلت إلى شكلها الدامي في ثورة ١٩١٩ وذلك بعد أن جاءت الحرب العالمية الأولى بدعوات

١- مقال نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في٦ أبريل ٢٠١٢.

الحرية والديموقراطية والحكم الذاتي ونهاية الامبراطورية العثمانية ونشأة "عصبة الأمم". فقد تقدم مجتمع البشر في محاولات دائبة لوضع آليات التقدم في مجالات القانون والدساتير وحصر القيم الإنسانية العالمية التي تفتح باب التقدم .. ومع ذلك ظلت كنيسة مصر بلا قانون داخلي، وهي هنا تعكس إحدى نقائص الحضارة المصرية القديمة، وهي أن "الفرعون" هو القانون أو الشخص هو المؤسسة وهو كل شيء .. هذه أيضًا إحدى سمات عصر الرئيس جمال عبد الناصر؛ لأن القوانين والتغيير الدستوري جاء لمصلحة الحاكم، وهو وإن كان رجلًا وطنيًا مخلصًا لم يعتدي على المال العام ولم يكسب من ديون مصر ولا تاجر بقوت الشعب، وقدَّم مشروعات وطنية ما زال بعضها على قيد الحياة، إلَّا أن حلول الشخص محل القانون يعمل بشكل دائم على هدم كل المؤسسات ويفتح باب الاستثناء وهو ما يهدد النظام ويحفر قبر الاستقرار.

كانت أول لائحة لانتخاب البطريرك قد وضعها الملك فؤاد الأول لكي يُبعد القمص يوحنا سلامة الذي كانت له علاقة مشبوهة مع سفارة بريطانيا ليأتي بالأنبا يؤانس، وقبل ذلك ضاعت آليات اختيار أسقف الإسكندرية في ضباب عدم التدوين التاريخي الدقيق والاكتفاء بذكر وقائع بلا وثائق، فلا تزال الفترة التاريخية منذ مجيء مار مرقس مصر حتى القرن العاشر، وهي حقبة تمتد إلى ما يقرب من ١٠٠٠ سنة خالية من مدونات معاصرة، أي وثائق تاريخية كتبها شهود شاركوا في الأحداث؛ إذ لم يصل إلينا إلَّا تاريخ يوحنا النقيوسي، ثم تاريخ ابن المقفع. وما نراه فيما كتب بعد ذلك إن هو إلَّا سرد قصص بلا سند تاريخي على طريقة الأستاذة الفاضلة إيريس المصري ومن قبلها القس منسى يوحنا، لهما معًا كل الاحترام على ما بذلاه من مجهود.

وظل عدم وجود أستاذ تاريخ كنسي في الكلية الإكليريكية يطاردنا طوال حقبة امتدت من عصر البابا كيرلس الخامس حتى انتقال الأنبا شنودة الثالث،

فلا نجد لدينا إلَّا التراث الشعبي المسموع، وهو أخطر ما يهدد أي ثقافة مهما كانت؛ لأن التراث الشعبي يدور حول بطولات وإنجازات الأشخاص، ويهمل تمامًا ما تركه هؤلاء الأبطال خلفهم من مشاكل وهموم، أهمها انعدام النظرة المستقبلية؛ لأن الحديث عن الأبطال هو حديث الماضي المجيد الباهر الذي لا يحرك الحياة الراكدة والتي لا تبحث عن التقدم.

ثانيًا: من عيوب حقبة امتدت إلى أكثر من ١٠٠ سنة، انعدامُ التمييز بين الإدارة الكنسية والقداسة. أنا أعرف قداسة البابا كيرلس السادس الراهب المتوحد رجل الصلاة وهو قديس كان يمكن أن يصل إلى ذات مكانة اسحق السرياني لو ظل في الوحدة .. نعم هو قديس، ولكنه لم يترك خلفه مؤسسة كنسية، ونحن نقصد بالمؤسسة على وجه التحديد أن يكون هناك:

١- قانون ينظم حياة الكنيسة؛ أول مكونات هذا القانون هو أهلية القس والأسقف وما يجب أن يتوفر فيهما من شروط ومواهب، بل ودراسة أكاديمية جادة في معهد أرثوذكسي تؤهِّله للتعرف على تراث الكنيسة - الكتاب المقدس - التاريخ الكنسي - القانون الكنسي - اللاهوت ... الخ.

٢- نظام مالي يحترم إنسانية القساوسة الذين يخدمون كنائس (فقيرة)، فقد كنت أسمع عن كنائس الدرجة الأولى؛ مار مرقس شبرا – العذراء مسرة .. الخ بينما هناك كنائس ليس لها درجة مثل الملاك القبلي مصر القديمة، وهي تجاور مسكن وإقامة القمص مينا المتوحد، ولا تبعد عنه إلَّا خمس دقائق مشيًا. كنت أنزعج لأن تصنيف الكنائس ما بين غني وفقير في كنيسة واحدة هي سمة ظلم اجتماعي يخالف كل تعليم مسيحي.

٣- المؤسسات التعليمية، وكان رائد النهضة الذي لا يريد أحد أن يذكر اسمه هو البابا يوساب الثاني مؤسِّس معهد الدراسات القبطية، وهو مؤسِّسُه بكل ما في هذه الكلمة من معاني .. رحل بعد سحابة سوداء من شكٍ في قدرته على

إدارة الكنيسة ... لكن ذلك المعهد تراجع في عصر البابا شنودة الثالث، وإن ظل قسم الألحان والموسيقى حيًّا وكذلك قسم الفن القبطي، لكن -وتأمَّل- غاب قسم القانون الكنسي – قسم التاريخ الكنسي – أغلقت مكتبة المعهد أبوابها قرابة ٢٠ سنة.

أنا لا أُشكك في حياة القادة، فتلك ليست مشكلتي؛ لأن الحكم على حياة وتصرفات أي شخص هو خاصٌّ بالله وحده، ولكن الإدارة الكنسية ليست مسألة شخصية، وإلَّا لماذا حرصت الدسقولية وقوانين الرسل وقوانين المجامع المكانية والمسكونية على وضع نظام كنسي تحت اسم "قانون"؛ لكي يحمي الحياة الكنسية من عبث أي فرد أو قيادة ويضمن لها الاستقرار، بل والبقاء. والحديث عن التربية الكنسية والكلية الإكليريكية ومناهج التدريس يحتاج الى كتيب، فقد نال الكل الإهمال والتراجع الواضح.

<u>ثالثًا</u>: إذا كانت أحد عيوب الثقافة المعاصرة، وأنا أقصد الثقافة الكنيسة، هي انعدام التمييز بين القداسة والإدارة الكنسية، فإن أخطر ما يُضاف إلى هذا العيب هو العيب الأكبر وهو بالتحديد:

١- عدم التمييز بين الإدارة الكنسية والإيمان، أي العقيدة؛ لأن القانون الكنسي هو إدارة لا علاقة لها بالإيمان المسيحي سوى استحسان واختيار ما هو أفضل لحياة الجماعة. فشروط اختيار الأسقف لا علاقة لها بعقيدة الثالوث أو ألوهية الروح القدس، سوى أنه نال أحد مواهب القيادة وهي موهبة لا علاقة عضوية لها بالإيمان نفسه. ولذلك، ما بين لائحة ١٩٤٢ إلى لائحة ١٩٥٧ لم يكن تطورًا ولا تراجعًا عن الإيمان، بل كان جهلًا تامًا بالتاريخ الكنسي الذي لم يحدد ١٥ سنة للرهبنة، وهو شرط وضعه المتنيح الأنبا يوأنس مطران الجيزة لاستبعاد القمص متى المسكين وباقي الجامعيين مثل القمص مكاري السرياني .. فالصراع كما هو معروف كان يدور حول اختيار بطريرك متعلم يفهم العصر ... ولكن

القيادة في ذلك الحين كانت في يد الحرس القديم بقيادة الأنبا يوأنس مطران الجيزة الذي مات في ظروف غامضة أثناء محاولة عزل البابا كيرلس السادس.

٢- انعدام وثائق ومدونات قانونية تؤكد القيادات الكنسية أنها وثائق حقيقية غير مزورة .. آخر هذه المدونات هو المجموع الصفوي لابن العسال، وهو من إبداعات القرن الثالث عشر، وبعد ذلك نام تدوين القانون الكنسي؛ لأن القانون هو ترياق الأزمة والمرض القديم، أي الشخص الذي يحل محل المؤسسة، والقانون هو الذي يحمي النظام نفسه.

ولذلك ينقضُّ التراث المسموع على المجموع الصفوي، ويُتهم القانون رقم ١٥ من قوانين المجمع المسكوني ٣٢٥ بأنه قانون مزور، وطبعًا أصحاب هذا الانقضاض هم الأساقفة الذين لهم مصلحة في كسر القانون؛ لأن هذا القانون يمنع بشكل قاطع نقل أسقف من إيبارشية إلى أخرى، وهذا نصه: "أنه بسبب ما ينشأ من الخلاف والتشويش البالغين قد استحسنا منع العادة التي شاعت في بعض الأماكن المخالفة للقانون الرسولي (١٥ من قوانين الرسل) فلا يُسمح بعد الآن لأسقف أو قس أو شماس أن ينتقل من مدينة إلى أخرى، وإذا حاول أحد الإكليريكيين، بعد صدور أمر المجمع القيام بعمل من هذا النوع وأصر على المخالفة، فكل ما يقوم به يعد لغوًا باطلًا، أمَّا هو (أي الأسقف) فيجب أن يعود إلى الكنيسة التي أُختير لخدمتها أسقفًا كان أو قسًا» (الشرع الكنسي – الأب يوحنا كساب – ص ٨٢ – منشورات النور ١٩٨٨). والقانون ١٥ هو نفسه ورد في مجامع مكانية أخرى سابقة ولاحقة على مجمع نيقية مثل مجمع سرديقية.

عند مفترق الطرق:

تقف مصر الآن عند مفترق الطرق بين طريق الدولة المدنية والحريات الإنسانية العامة التي جاءت مع ما يُسمى بالربيع العربي وإرهاصات ثورة تونس، ثم ثورة مصر ٢٥ يناير، والدولة الدينية التي تجيء مع أحلام الماضي

الذي لم يعرف منذ فجر الإسلام حتى العصر الحديث دولة دينية إسلامية، ومرجعنا هو الأستاذ على عبد الرازق في كتابه: "الإسلام وأصول الحكم".

فيما بين كابول وقندهار، والقاهرة والإسكندرية ليست مسافة جغرافية فقط، بل حضارة ذات سمات معينة أتاحت لمصر أن لا تكون مثل افغانستان أو غيرها، بل دولة ذات مكانة في التاريخ والحضارة.

والكنيسة القبطية هي بنت مصر، لا يمكن فصلها عن الأم ... ليس غريبًا أن يدور الحوار حول أسبقية الدستور على اختيار رئيس الجمهورية، فتلك هي طبيعة الأمور، ولذلك يدور عندنا ذات الحوار، وإن كان على مستوى أقل، أي الحوار الخاص بتعديل لائحة ١٩٥٧ التي ليس فيها أي ذكر للقرعة الهيكلية. والادعاء بأن هذه اللائحة هي التي جاءت بالأنبا كيرلس السادس والأنبا شنودة الثالث هو قول لا يليق أن يردده أحد مهما كان؛ لأن هذا الادعاء يعود بنا إلى المربع الخطر جدًا، وهو القيادة بلا قانون أصيل، والقيادة بلا تصوُّر للمستقبل، لاحتياجات الجيل الآتي؛ لأن حقبة البابا كيرلس السادس لم تعد معنا، والجيل الذي عاصره ينقرض بحكم قانون الحياة نفسها: الميلاد والموت. ثم أن الجيل الذي جاء في أحضان عصر الأنبا شنودة هو جيل الثورة، وهو جيلٌ لن يرضَ بأن يكون على رأس القيادة شخصٌ أُطلق عليه الرجل الحديدي، وهو اسم لا علاقة له بالمسيحية بالمرة، بل هو اسم وليد المنظمات الإرهابية، لا مؤسسة الكنيسة. أو سُمِّيَ بالرجل الثاني، فهذه التسمية أيضًا هي عيبٌ كبير في منظومة كنسية لا تعرف إلَّا المساواة بين أعضاء الجسد الواحد، أي الكنيسة جسد المسيح التي لا يوجد فيها أول وثانٍ.

إن ما أفرزه عصر الأنبا شنودة الثالث من قيادات في السكرتارية هو استمرار لنفس آليات الأنبا شنودة، ولكن مع اختفاء الكاريزما الشنودية المعهودة. أحد آليات عصر الأنبا شنودة هو بقاء سكرتير المجمع المقدس ٢٥ عامًا، وهو أمر ضد

لائحة المجمع يدل على أننا لا نقدر خطر الاستثناء؛ لأنه يهدم النظام، وعندما لا نجد النظام، بل نجد الأشخاص، فإننا نقع في ورطة الوجود في دائرة صراع لا يحكمها نظام أو قانون، بل تخضع آليات الصراع عندئذٍ إلى سلطة كهنوتية مزيَّفة لا تملك حق التصرف في حرية الأشخاص أو في وجودهم على أرض وطنٍ له دستور وقانون؛ لأن هؤلاء الأشخاص لا يعيشون في دائرتين: الولاء للوطن والولاء للكنيسة، ولأن أهم من هذا وذاك، حرص المسيح نفسه على كرامة ومكانة كل الخطاة الذين تعامَل معهم من السامرية الزانية، إلى بطرس الجاحد، ومرورًا بشاول مضطهد الكنيسة، وليس انتهاءً بمرقس الذي هرب عريانًا ليلة القبض على المسيح في البستان .. هؤلاء لم ينلهم الاحتقار، بل غمرهم احسان المحبة.

هل تتوفر الرجولة والصدق في قيادات قبطية تضع لائحة جديدة تراعي فيها الوضع المعاصر، واحتياجات المستقبل وعودة المؤسسات التعليمية ونزاهة وشرف القضاء الكنسي.

هذا حديث المستقبل وله عودة.

الضلالة الكبرى
في محنة اختيار البطريرك الـ ١١٨[١]

في عدة لقاءات عقدها أساقفة الجهل، قالوا للشعب -الذي غاب عنه الوعي الكنسي- إن القوانين التي تمنع انتقال أسقف من إيبارشية إلى أخرى والتي تؤكد بطلان كل ما فعله هذا الأسقف -لو طُبِّقَت كما هي- فهذا يعني أن كل الرسامات التي تمت في عهود الأنبا يؤانس، والأنبا مكاريوس، والأنبا يوساب هي رسامات باطلة وكل ما ترتب عليها هو باطل .. وهذا يعني أنه لا وجود حقيقي للكنيسة القبطية، وأن الأسرار باطلة، ولذلك يجب الاستمرار في نقل أساقفة الإيبارشيات!!!!

هذه ضلالةٌ كبرى لا مثيل لها حتى في العصر الوسيط، بل هي سحابة الشيطان التي تخفي مجد المسيح.

الأسس الشيطانية التي بُنيت عليها هذه الضلالة:

أولًا: تمزيق جسد المسيح:

الكنيسة هي جسد المسيح الواحد، وهو التعليم الرسولي المُسلَّم من ربنا يسوع المسيح. هي المسيح الرأس، ونحن البشر -عبر كل العصور- أعضاء جسده (١كو ١٢: ١٢ – ١٢: ٢٧) "وأمَّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرادًا". هذا الجسد كوَّنه الروح القدس في أحشاء البتول لكي يصبح آدم الأخير (١كو ١٥: ٤٥)، ولكي يكون بداية ورأس الخليقة الجديدة (١كو ١٥: ٤٥ – ٢كو ٥: ١٧). هذا عمل الله

١ - مقال نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٨ يونيو ٢٠١٢.

الآب في ابنه يسوع المسيح ولا دخل للبشر فيه. الكنيسة متحدة بالمسيح، وقد سبق العهد القديم ورسم صورة هذا الاتحاد بالجسد الواحد للرجل والمرأة؛ لكي ينقل رسول الرب يسوع، الوعي بالحقيقة الأبدية عن السر العظيم، وهو أننا جسده .. "لا يبغض أحدٌ جسده قط بل يقوته (يعطي له الطعام والكساء .. الخ) ويربيه كما الرب أيضًا للكنيسة"؛ "لأننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه" (أفسس ٢: ٢٩ – ٣٢). هذا هو السر العظيم الذي اختاره الله الآب، ولا دخل لإرادة الإنسان فيه، ولا توجد سلطة كهنوتية إنسانية كوَّنت جسد المسيح، بل مسرة الله الآب وحلول الروح القدس على القديسة مريم.

تلك هي العقيدة، وتلك هي حقيقة علاقتنا بالرب يسوع.

ولكن، ولكي يؤسِّس الشيطان هذه الضلالة -التي أشرنا إليها في بداية هذا المقال- بدأ بإنكار أن الكنيسة جسد المسيح، وهكذا كتب عاملٌ من عُمَّال الشيطان ليقول إن هناك ثلاثة أجساد:

- جسد المسيح المولود من القديسة مريم.
- جسد المسيح في الإفخارستيا.
- جسد المسيح الكنيسة.

ولكن الشيطان وقع في بئر كذبته الرديئة؛ لأن جسد المسيح المولود من القديسة مريم هو جسد المسيح في الإفخارستيا. والمدهش أن مَن كتب عن الأجساد الثلاثة كان أسقفًا، أي أنه كان يصلي على الأقل ولو مرة في السنة القداس الإلهي الذي يؤكد في الاعتراف: "أعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي الذي لابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، أخذه من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وجعله واحدًا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير". ولم تقف صلاة الاعتراف عند التجسد،

بل "وأسلمه عنّا على خشبة الصليب المقدسة بإرادته وحده عنّا كلنا. بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين. يُعطى عنا خلاصًا وغفرانًا للخطايا وحياةً أبديةً لمن يتناول منه. أؤمن أؤمن أؤمن أن هذا هو بالحقيقة أمين" (خولاجي الدير المحرق ٣٣٥ – ٣٣٦).

وهذا الاعتراف -حسب منطق الشيطان- يجعلنا أمام جسدين لا ثلاثة، طالما أن جسد الرب المولود من القديسة مريم هو نفسه جسده في الإفخارستيا. ويبقى الجسد الثالث: الكنيسة، وهو ليس جسدًا ثالثًا -كما كان يظن الراحل الذي نطلب له الرحمة ليلًا ونهارًا- بل هو المسيح ذاته الذي يعطي جسده لنا لكي نكون نحن جسده، أي تكون فينا ذات الحياة التي في جسده، وهو ما تعبِّر عنه كل الصلوات. ولكن الأسقف الذي لم يكن يعرف معنى صلاة الاعتراف، أنكر شركتنا -بالتناول- في اللاهوت، وقال إننا نشترك في الناسوت فقط، وسكت أساقفة الجهل على تعليمه النسطوري الفج، ولكن خلف تمزيق المسيح الواحد، ظهرت الضلالة التي تقول إن الكهنة هم أساس الكنيسة وليس المسيح، فهم إذن جسد الكنيسة، وهم إذن البديل لتجسد ابن الله، وهم إذن الذين حذفوا المسيح بالكامل لكي ينفردوا بالشعب بلا ضابط وبلا مرجعية.

ثانيًا: المسيح الغائب في فكر قيادات الضلال:

إذا كانت الكنيسة هي جسد المسيح الذي "جعله واحدًا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"، وإذا كان هو "رأس الجسد الذي منه، أي من الرأس كل الجسد .. حسب عملٍ على قياس كل عضو (جزء) يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤: ١٥ – ١٦)، فالمسيح لا يمكن أن ينفصل عن جسده؛ لأن الانفصال هو ضد المحبة الغالبة التي تغنَّى بها رسول المسيح في (رو ٨: ٣٥ وما بعدها)، فلا شيء يمكنه أن يفصل المسيح عن المؤمنين أعضاء جسده. هذا ضد ما ينكره أساقفة الجهل، أي الاتحاد الأقنومي الذي هو أساس الكنيسة

الذي فتح لنا شركة الحياة الإلهية التي أنكرها مجمع الكذب بتوقيع ٧٢ أسقفًا من أساقفة الجهل بحرمي من شركة الكنيسة القبطية، تحت بند الحرب على الشركة في الطبيعة الإلهية؛ لأنها -حسب ادعاء واحدٍ منهم- هي "الشرك" الذي يحاربه الإسلام. وقد زجَّ هؤلاء باسم الإسلام طمعًا في انتقام الإسلام السياسي من المشركين، ولكن كان للإسلام السياسي معاركه مع حكم حسني مبارك، فلم يهتم بهذا الادعاء بالمرة.

العناصر الأساسية لهذه الضلالة:

هكذا ظهرت الأفعى على مراحل متفاوتة لتقود أكبر حركة ردة في العصر الحديث:

- الارتداد عن سكنى روح الله باسم الحلول المواهبي.
- الارتداد عن نعمة الحياة الأبدية في الإفخارستيا؛ لأن الجسد لا يعني حياة أبدية، في حين أن المسيح المتجسد هو واهب الحياة الأبدية بالشركة في جسده ودمه.
- الارتداد عن الإيمان بكنيسة واحدة رأسها المسيح وحده، وهي في السماء وعلى الأرض.
- وأخيرًا تُظهر الأفعى الرأس، أي رئاسة البطريرك والأساقفة. أمَّا ذيل الأفعى، فهو أن كل شيء في الكنيسة مصدره الأساقفة بنوعٍ خاص.

عجيبٌ جدًا أن تلد الكنيسة نفسها ولا تُولد من الله.

مخيفٌ جدًا أن يكون ينبوع الحياة بشرًا مائتين، وأن هؤلاء البشر لا يولدون من فوق في الولادة الجديدة، أي المعمودية، التي هي ليست من الكهنة والماء والروح، بل من الماء والروح حسب قول الرب نفسه (يوحنا ٣: ٥)، لكن الكاهن هو خادم السر لا مصدره، وبالتالي لا يستطيع أن يقول كما قال أحدهم: أنا الكنيسة، أنا أمسك كل شيء "بقبضة الحق"، أو كما قال أسقف آخر: إنني

استدعي الروح القدس من داخلي، وهو تسليم الأنبا شنودة الثالث (وإن كان لم يكتب هذا الكلام بالمرة، ولذلك، فهو بريء لأن هذا الكلام على الأقل غير مدوَّن).

هكذا دخلت روحُ عصرٍ غاب فيه الوعي الوطني وتراجعت فيه قوى المعارضة الوطنية أمام المعتقلات والسجون، بل والقتل تحت التعذيب؛ لكي يسري ذات الداء في منع صلاة الجناز – حرمان المعارضين – تهديد الآباء الكهنة للعلمانيين بقولهم بالحرف: مش هنجوز ابنك ولا بنتك، بل وصل الأمر في بعض المواقف بالتهديد باستخدام مباحث أمن الدولة.

واضح إذن أن هذه الضلالة لا يمكن أن تقوم أو تستقر إلَّا بإنكار كهنوت المسيح، وإنه هو مصدر وموزِّع العطايا والأسرار، وفي هذا يقول ذهبي الفم:

> "هذه الذبيحة لا تخص مَن يقدمها سواء أكان هذا بطرس أم بولس. هي ذات الذبيحة التي أعطاها المسيح لتلاميذه والتي يقدمها الكهنة. تقدمة اليوم لا تختلف عن التقدمة التي قدمها المسيح، وهي ليست أقل من تقدمة المسيح؛ لأن الذي يقدِّسها ليس البشر عندما يقدمونها الآن، بل هو المسيح ذاته الذي يقدِّس ما يخصه" (عظة ٢: ٤ على الرسالة الثانية إلى تيموثاوس).

ويقول القديس غريغوريوس النيسي:

> "لقد قدَّم المسيح ذاته لنا. هو الضحية والذبيحة والكاهن أيضًا، وهو "حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (المقالات والعظات نشرها Jaeger مجلد ٩ ص ٢٨٧).

فالمسيح إذن هو الذي يُبارك ويوزِّع جسده. والكاهن -مهما كان- هو خادمٌ فقط، وهو ما تؤكده القداسات الأرثوذكسية للقبط والروم والسريان والأرمن.

فكيف جاءت هذه الضلالة؟

الحل في كلمة حق يُراد بها باطل، فحتى يمكن السيطرة على مقادير الشعب، تم استخدام ما هو صحيح، بشكلٍ شيطاني، كيف تم ذلك؟ المسيح هو الأسقف والقس والشماس حسب شرح زكريا ابن سباع في كتابه "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة"، وقد نشر النص المحقق الأب المستشرق فيكتور منصور مستريح، ص ٦٨ - ٧٠).

المسيح يخدم في الأسقف والقس والشماس؛ لأن الكهنوت واحد، لأن الرب الواحد هو يسوع المسيح، وتنوع المسئولية واختلاف الخدمات لا يقسِّم الكهنوت.

وإن كان هذا التقسيم قد ظهر في حوار ساخن بين نيافة الأنبا بفنوتيوس والعلامة الكبير صاحب الـ ١٥ لقبًا التي أعطاها هو لنفسه في رئاسة الكهنوت. واستخدم نيافة الأنبا بفنوتيوس تعبير "رئاسة أعمال الكهنوت"، وهو التعبير الطقسي الوارد في كتاب الرسامات، فالأب البطريرك ليس رئيس كهنة، بل هو يرأس الأعمال الكهنوتية، ليس بمعنى الرئاسة، أي الانفراد بالسلطان حسب المدلول السياسي الشائع، بل الرئاسة بمعنى التفويض الذي أعطاه الملك والسيد للخدم.

وهذا هو نص زكريا ابن سباع: "الباب التاسع والعشرون - في ذكر خدمة السيد المسيح - الرتب التي حدَّت حدوده في الخدمة:

> أمَّا خدمة سيدنا المسيح في رتبة الأغنسطس، فهو عندما دُفِعَ إليه السفر، فقرأه ... لأن شرح الأغنسطس، أي القارئ. وخدم سيدنا له المجد في رتبة الايبوذياقين "الأعوان" (ص ٦٨).
>
> "وكذلك صنع سيدنا له المجد محصرة من حبل .. وقلب موائد الصيارفة. أمَّا رتبة الشماس، فقد خدم فيها أيضًا وقال إن ابن الانسان لم يأت لكي يُخدم، بل ليخدم ويبذل نفسه عن كثير ..

فالمسيح غسل أرجل تلاميذه. وتفسير الشماس، الخادم".
"أمَّا رتبة الارشيدياكون، فقد خدم فيها المسيح، وهي أمره لتلاميذه امضوا وتلمذوا كل الأمم" (ص ٧٠).
"أما رتبة القسيس، فقد خدم فيها المسيح أيضًا، وهي الخامس رتبة من السبعة، وذلك أنه أخذ الخبز .. خذوا كلوا هذا هو جسدي .. أما رتبة الإغومينوس، الذي هو رتبته في البيعة قراءة التحليل على مَن هو دونه.
أما رتبة الأسقف فقد خدم فيها المخلص؛ لأن شرح الأسقف، المفتَقِد. أمَّا رتبة البطركية فقد أكملها المخلص قبل صعوده .. نفخ في وجوههم وقال اقبلوا الروح القدس"[٢].

واضحٌ إذن من النص أنهم استبدلوا أنفسهم بالمسيح، فتحولوا -في نظر أنفسهم- إلى مصدر، إلى ينبوع، في حين أنهم -كما قلنا سلفًا- مجرد خدام للسر، حتى وإن كانوا -بحسب ذهبي الفم- يُعيرُونَ الرب أيديهم وألسنتهم أثناء الخدمة.

وإن كنا سمعنا صوت زكريا بن سباع فيما سلف، فعلينا أن نستمع لصوت ذهبي الفم فيما يخص الأساقفة الذين رُسِموا بالسيمونية، أو بواسطة أسقف نال رتبة البطريركية، أو نُقلوا من كراسيهم، يقول ذهبي الفم في العظة الثانية على رسالة تيموثاوس الأولى ١: ١٢:

"يقول الرب: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون" (متى ٢٣: ٢ – ٣)، هل تعرف من هو القس؟ هو ملاك الرب .. إذا احتقرته، فأنت لا تحتقره هو، بل الله الذي رسمه (أقامه)، ولكن عندما تسألون كيف يمكن أن يكون الله هو الذي رسمه؟ حقًا إذا كان العكس هو ما تفكرون فيه، فإن رجاؤكم باطل؛ لأنه لو كان الله لا يعمل من خلال ما أسَّسه هو، فأنتم بلا اغتسال (المعمودية) ولا شركة لكم في الأسرار، ولا في بركات

٢- الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة – دراسات شرقية مسيحية في الكنيسة المصرية – القاهرة ١٩٦٦ – وقد نشرنا النص كما هو بدون تعديل.

الله، ويبقى لكم أن تسألوا هل أنتم مسيحيين؟ وماذا تقولون: هل الله هو الذي يرسم الكل حتى غير المستحقين لكي يخلص الشعب؟ إذا كان الله قد تكلَّم من أجل الشعب بواسطة حمار بلعام وهو رجل شرير، فالأجدر به أن يتكلم بواسطة فم الكاهن، وإلاَّ ماذا يقول الله وماذا يفعل من أجل خلاصنا؟ بواسطة مَن مِن البشر لا يعمل الله؟ ألم يعمل الله من خلال يهوذا (الاسخريوطي) والذين مثله، وهؤلاء "تنبأوا"، وقال لهم: "إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الشر" (متى ٧: ٢٢ – ٢٣) وإذا كان بعض هؤلاء أخرجوا شياطين ألا يجدر بالله أن يعمل من خلال الكهنة؟ لأننا لو أصبحنا قضاةً نفحص حياة الذين يدبرون حياتنا، فبالأولى أن نكون نحن الذين نرسمهم".

وبعد أن يعظ القديس يوحنا ذهبي الفم عن عدم دينونة الكاهن، يقول:

"إذا علَّم تعاليمًا ضالةً -رغم أنه ملاك- فلا تُطِعه، أمَّا إذا علَّم بالحق، فكن على حذر لا تفحص حياته، بل افحص كلماته" (المرجع السابق).

الفزاعة إذن بلا مبرر؛ لأنه لو أن هناك حمارًا مثل حمار بلعام، لوجد الرب فيه الوسيلة لتقديم الأسرار كلها. ولو كانت خطية الإنسان تتدخل في عمل الرب يسوع، ما خَلُصَ أحدٌ بالمرة، وما وُجِد إنسانٌ واحدٌ في الدنيا بأسرها يستحق أن يتناول جسد الرب ودمه.

وعلى ذلك، **الكلمات التي تقال في الصلاة هي وسيلة استعلان السر؛ لأن القوة ليست في الكلمة، ولكن في التدفق الدائم لعمل الرب يسوع ونعمته.** فهو الذي يعمِّد، وهو الذي يمسح بالميرون، وهو الذي يعطي جسده ودمه، وهو الذي يرسم ويقيم كل رُتب الكهنوت.

إذا كان الأمر على هذا النحو، فلماذا حُرِّمت السيمونية؟

السيمونية لا تُبطل نعمة المسيح، ولكنها عُوقبت لأنها طريق سيمون

الساحر الذي يريد أن يحول النعمة إلى سحر، وعندما تباع النعمة الإلهية تصبح الكنيسة مؤسسة تجارية وليست جسد المسيح.

صوت القانون الكنسي وشهادته:

كلمة "القانون" تعني "الدفة"، وهكذا يجب أن نفهم القانون كدفة الكنيسة؛ لأنها تقود الكنيسة إلى "ميناء الخلاص". وعندما تصف القوانين أن ما يقوم به الأسقف الذي نُقِلَ من إيبارشية إلى أخرى بأنه باطل، فهي لا تذكر عقوبةً ما، وعدم ذكر عقوبة الأسقف يؤكد أن بطلان عمله يتمثل في انعدام شهادته وسلوكه للمحبة والخدمة، وهذه عقوبة ثقيلة لمن يعرف أن يرى، فقد طلب إيبارشية أغنى وأكبر ولم يعد يشتهِ الخدمة، بل أراد أن يرضي نزعات وشهوات نفسه، وهو ما يُسقط أعماله في العدم، ولكنه لا يُسقط عمل النعمة؛ لأن -كما ذكَّرنا ذهبي الفم- كان يهوذا يُخرج الشياطين، ومعنى ذلك أن ما قام به من عمل هو صحيح رغم أن علاقته وشركته في الرب كانت غير كافية لتقوده للتوبة بعد سقوطه المريع. هذا المثال يؤكد لنا أن الله يعمل في الكل من أجل خلاص مَن يطلب الخلاص، والقاعدة اللاهوتية هي أن الانسان ليس هو مصدر النعمة، ولا هو واهب النعمة، وحياة الانسان لا تضيف إلى النعمة شيئًا.

المسيح رب الجسد ورأس الكنيسة جسده:

يجب أن نستنير ونفهم أننا في السرائر بالذات ننال ثمرة اتحاد اللاهوت بالناسوت في يسوع رب المجد.

١- في المعمودية ننال غفران الخطايا، ورفع الدينونة، والتبني، وشركة الملكوت، والحياة الأبدية، والقيامة من الأموات. هذه لا تعطى بواسطة خادم السر، ولكنها تعطى في السر، وصلوات خدمة المعمودية واضحة في الدلالة على ذلك.

٢- في الميرون ننال شركة في مسحة الرب يسوع، الذي مُسِح لكي نُمسح نحن فيه، ولكي ننال الثبات في النعمة بواسطة الروح القدس، وهذه لا تُعطى بواسطة خادم السر، بل بواسطة المسيح.

٣- في الإفخارستيا ننال جسد الرب ودمه؛ لأنه هو الكاهن وهو القربان والذبيحة وهو الموزِّع للسر؛ لكي ننال فيه وبه حياة أبدية، وهو ما تؤكده الليتورجيات الأرثوذكسية.

نطلب من الرب يسوع أن يُنهِض أساقفتنا من ظلمة الجهل، وأن ينير قلوبهم بالتعليم الصحيح حتى لا يأخذ أيٌّ منهم مكان المسيح أو يخطف من الرب عمله وقدرته؛ لأن هذا ارتداد عن الإيمان، **لأن خطايا البشر لا تُنقص عمل النعمة، وما في البشر من فضائل لا يضيف شيئًا بالمرة إلى نعمة الله.**

لم يتكون لدينا على المستوى الشعبي، الوعي بأن قداسة الإنسان أو شره لا تغيِّر نعمة الله، لا تُنقص منها شيئًا ولا تضيف إليها شيئًا. أعمالنا تخلق فينا إما قبول النعمة والتناغم معها في وحدة، وإما رفض النعمة ومقاومتها.

الفزاعة الشيطانية:

هكذا سار الانحدار، وأخذ بعض الأساقفة والقساوسة مكان الرب نفسه، وكأنه، أي الرب يسوع كائنٌ في السماء وحدها لا علاقة له بجسده الكنيسة، أو كأن الكنيسة بلا رأس الذي منه تنمو كل الأعضاء نموًا من الله. هل ضاعت صرخة رسول المسيح: "لا يخسركم أحد غاية السير مع المسيح (الجعالة) راغبًا في التواضع (لأن المسيح أعظم من أن تكون له علاقة بالبشر وكأنه لم يكن الإله المتجسد) وعبادة الملائكة (كوسطاء) متداخلًا في ما لم ينظره (أي لم يعطَ بالمرة) منتفخًا من قبل ذهنه الجسدي (يضع القيود على نعمة الله ويرفضها) وغير متمسك بالرأس (الذي هو يسوع المسيح) الذي منه كل الجسد (لأن الحياة الجديدة تأتي من الرب لا بوسائل أخرى غير يسوع ولا ببدائل أخرى) .. ينمو

نموًا من الله (هو نمو شركتنا في الحياة الإلهية حسب استعلان يسوع المسيح)" (كولوسي ٢: ١٨ – ١٩)، مع الاعتذار عن الكلمات التي وُضِعَت بين الأقواس.

الخطاب الديني، والخطاب السياسي

المعنى التاريخي لكلمات الرسول بولس في رومية (١٣: ١ - ٧)[١]

محاولة لإلقاء الضوء على الحراك السياسي في مصر

النص القبطي:

"لتخضع كل النفوس
ⲯⲩⲭⲏ Ⲛⲓⲃⲉⲛ

للسلطات العليا
ⲉⲛⲓⲉⲝⲟⲥⲓⲁ ⲉⲧϭⲟⲥⲓ

لأنه لا توجد سلطة إلَّا تلك التي من الله
Ⲙⲙⲟⲛ ⲉⲝⲟⲩⲥⲓⲁ ⲅⲁⲣ ϣⲟⲡ ⲉⲃⲏⲗ ⲉⲛⲏ ⲉⲧϣⲟⲡ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲉⲛ Ⲫϯ

والسلطات الكائنة (القائمة) الله هو الذي أقامها فمن قاوم السلطة قاوم تدبير الله. فاستحق الحكم ⲛⲟⲩϩⲁⲡ (الحكم الصادر من القضاء). لأن الحكام لم يُقاموا (غير كائنين) لإخافة من (يعمل) الخير، بل من أجل (من يعمل الشر)... فهي في خدمة الله لخيرك، ولكن خَف إذا عملت الشر ...".

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١ يوليه ٢٠١٢.

الخلفية التاريخية:

- في كنيسة الآباء الرسل تحت حكم الإمبراطورية الرومانية، وردت كلمة "سلطة" أربع مرات في الآيات الثلاثة الأولى من الإصحاح الثالث عشر من رسالة القديس بولس الرسول إلى رومية. والكلمة اليونانية ἐξουσια التي تُرجمت "سلطة"، تعني القدرة على العمل وليست السلطة بالمعنى الشائع. فالسلطة في العهد الجديد هي القدرة على عمل معين.

- تعبير "كل النفوس"، تعبير عبراني في الأصل، ويعني الإنسان في كل اللغات السامية Semitic.

- كلمة "سلطة" حسب قاموس مصطلحات العهد الجديد اليونانية (٢: ٨٣ - ٨٤) هي السلطة السياسية، ولذلك تُوصف بالعليا، وبالتحديد "الحكام"، والأصل في اليونانية يطلق على حكام ولايات الإمبراطورية (١ تيمو ٢: ٢ – ١ بطرس ٢: ١٣).

- تعبير "الخضوع" لا يُقصد به الخضوع عن إكراه، بل من أجل محبة الخير. وقد استخدم نفس الفعل في (أفسس ٥: ٢٢) عن خضوع الزوجة، وهو خضوع في إطار الحياة المشتركة (راجع كولوسي ٣: ١ – تيطس ٢: ٥ – ١ بطرس ٣: ١ - ٥)، وأيضًا للوالدين (لوقا ٢: ٥١) وللسادة (تيطس ٢: ٩ – ١ بطرس ٢: ١٨).

الترتيب الإلهي للسلطة:

الخلفية الكتابية وردت في سفر الأمثال (٨: ١٥ - ١٦) عن الحكمة الإلهية التي بها "يملك الملوك، والرؤساء يحكمون (يقضون) عدلًا". والعودة الى أسفار الحكمة، وبالذات حكمة سليمان (٦: ١) وسيراخ (١٠: ٤) تؤكد أن الملك يحكم بالعدل؛ لأنه يحكم حسب شريعة الله. والسلطة محدودة بالمسئولية، والقدرة على العمل محددة بمكانة مَن له السلطة حسب عبارة قائد المئة (متى ٨: ٩ – لوقا ٧: ٨ – أع ١٥: ٢ – ٢٢: ١٠).

إذا قرأنا بإمعان كلمات سفر حكمة سليمان، وجدنا أن الحاكم الشرير الذي لا يحكم بالعدل غير مقبول عند الله:

"اسمعوا أيها الملوك وتعقلوا .. أصغوا أيها المتسلطون على الجماهير .. جبروتكم من الرب، ومن العلي سلطانكم .. فما أنتم إلَّا حكامه في خدمته، فإذا لم تحكموا بالعدل وتعملوا حسب أحكام الشريعة وتسيروا حسب مشيئته، فسيُنزل عليكم عقابًا شديدًا بغتةً؛ لأن الحكم يكون أشد قساوة على الذين يحتلون المناصب الرفيعة .. الخ" (٦: ١ - ٧). ويختم هذا الإنذار بقوله: "إليكم إذًا أيها الملوك أُوجِّه كلامي، لتتعلموا الحكمة فلا تضلوا .." (٦: ٩).

التمييز الدقيق بين "السلطة"، و"الحاكم" حسب شرح ذهبي الفم:

تعد العظة ٣٣: ١ وما بعدها من العظات على رومية ١٣: ١ - ٧ من أهم النصوص الآبائية التي وصلتنا من عصر الآباء العظام. وهكذا يشرح ذهبي الفم "السلطة التي من الله":

> "يقول (الرسول) لا توجد سلطة إلَّا من الله". ماذا تعني بذلك .. هل هذا يعني أن كل حاكم مختار من الله؟ يجيب (بولس) أنا لا أقصد هذا إذا سُئلت. أنا لا أتكلم عن أشخاص الحكام، بل عن السلطة نفسها. لأن (الحياة) تقتضي أن يكون هناك حاكم ومحكومين حتى لا تحدث فوضى؛ لأن الشعوب يمكن أن تتحرك للفوضى مثل أمواج (البحر)، ولكن ترتيب الحاكم والمحكومين هو عمل الحكمة الإلهية. ولذلك لا يقول الرسول: "لا يوجد حاكم إلَّا من الله"، بل يقول عن "السلطة"؛ لأنه لا توجد سلطة إلَّا من الله لأن السلطات مرتَّبةٌ من الله.
>
> وعندما يقول الحكيم: "الزوجة يرتِّبها الله للزوج" (السبعينية أمثال ١٩: ١٤)، فهو يعني أن الله هو الذي رتَّب الزواج؛ لأنه هو الذي رتَّب أن يتَّحد كل رجل بامرأة في الزيجة. أمَّا الذي يتَّحد بآخر للشر، حتى في شريعة الزواج، فإن هذا نفسه ليس

> مرتَّبًا من الله[٢]، ولكن كما يقول (الله): "إن الذي خلقهما من البدء ذكرًا وأنثى، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بزوجته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا" (متى ١٩: ٤ - ٥ – تكوين ٢: ٢٤) وهذا ما كان يقصده الحكيم سليمان" (راجع الترجمة الانجليزية، ص ٥١١).

التعليم الرسولي، إذن يميِّز بين الحاكم، وبين السلطة المرتَّبة من الله للخير. وهذا لا يخلع على الحاكم أي صفة إلهية، أو شرعية إلهية، وإنما يضيف هذه الشرعية للسلطة نفسها.

ويدعم ذهبي الفم الفصل بين السلطة والحاكم، مؤكِّدًا أن الخضوع هو المقصود، ويقدم نموذجًا للخضوع: "الرجل والمرأة، الابن والأب، الشيوخ والشباب، السيد والعبد، الحاكم والمحكوم، المعلم والتلميذ"، بل ويضيف:

> "ولماذا الدهشة، ففي الإنسانية نفسها، أي في الجسد الانساني، ألا يحدث نفس الشيء؟ لأن كل أعضاء جسم الانسان ليس لها كرامة واحدة" (المرجع السابق).

والتمييز بين الحاكم والسلطة هو محور العظة. ولذلك يقول ذهبي الفم:

> "ما معنى كلمات الرسول "إن من يقاوم السلطة يقاوم ترتيب الله؟ أراد (الرسول) أن يوضِّح خطورة الأمر، فهو موضوعٌ لا يقبل الشك. وحتى لا يقول المؤمنون إن (الرسول) يجعلنا ضعفاء وبلا قيمة؛ لأنك تضعنا نحن الذين في ملكوت السموات تحت سلطان الحكام، ولكن (الرسول) يوضح أن الخضوع هنا ليس للحكام، بل لله الذي يخضع له الحكام أنفسهم، ولأن مَن يخضع للسلطة، إنما هو يخضع لله، فالرسول لم يقل إن مَن يسمع قرارات الحكام يسمع قرارات الله، بل يقول عكس ذلك؛ لأنه في عبارة موجزة واضحة، يؤكد أن من يُحارِب، إنما

٢- لعل كلمات ذهبي الفم توقف الاستعمال الرديء لعبارة الرب يسوع: "ما جمعه الله لا يفرقه إنسان"، وعدم استغلالها استغلالًا سيئًا، وفي غير موضعه.

> يُحارِب السلطة والقانون الذي أقره الله" (المرجع السابق راجع ص ٥١٢).

وذهبي الفم الذي عاش تحت حكم الامبراطورية، يشير إلى التاريخ المسيحي القديم الذي سجَّله ترتليان في القرن الثاني (الدفاع الأول ٣١ – ٣٢)، ويقول ذهبي الفم:

> "كان من الشائع في الأيام السالفة الاتهام بأن الرسل كانوا يحرِّضون ضد الحكم (الروماني)، ويدعون إلى الثورة، وأنهم كانوا يهدمون السلطة القانونية ومؤسسات الامبراطورية" (المرجع السابق).
>
> "المسيحي ملتزم بحكم القانون المدني" (أوغسطينوس: مدينة الله ١: ٣٥).
>
> "وعليه أن يدفع الضرائب" (امبروسيوس: رسالة إلى فالنتيان ٢: ٢١ - ٣٣).

الكنيسة والدولة:

الفصل التام بين الكنيسة والدولة، هو فصلٌ قانونيٌ يفصل بين العقيدة والحياة المدنية. لذلك، فعندما يطلب هوسيوس أسقف قرطبة (أسبانيا) من الامبراطور قسطنطين عدم التدخل في الأمور العقائدية الخاصة بالإيمان، فهو يردد نفس عبارات القديس أثناسيوس الواردة في (تاريخ الأريوسية فقرة ٤٤). ونفس التعبير الخاص بحرية عقيدة الكنيسة، يردده القديس غريغوريوس النزينزي: (المقالة ١٧: ٨ - ذهبي الفم عظة على الرسالة الثانية إلى كورنثوس فقرة ٤ - ٥):

> "الأمور الخاصة بالإيمان لا تخضع لتفسير، أو سلطة مدنية".

دفاع الشهيد يوستينوس سنة ١٥٠:

في الفقرة ١٧ من الدفاع الأول يؤكد الشهيد:

"نحن ندفع الضرائب، وكل ما يُطلب منّا بواسطة الولاة الذين تعيِّنهم (موجهًا كلامه إلى الامبراطور)؛ لأننا تعلَّمنا منه (يسوع المسيح)، فقد جاء إليه أحدهم في زمان تجسده (يسوع)، وسأله هل يجب أن يدفع الضريبة إلى قيصر؟ فقال له يسوع: "لمن هذه الصورة على الدينار؟ فقال لقيصر، فأجاب (يسوع) أعطِ ما لقيصر لقيصر وما لله لله". نحن نعبد الله وحده، ولكن ما هو خارج عن دائرة العبادة، فإننا بفرحٍ نخدمُكَ (الامبراطور) معترفين بك إمبراطورًا وحاكم البشر".

القانون الطبيعي وقانون الله:

في الكتاب الخامس، فقرة ٤٠ من الرد على كلسوس، يقول العلامة أوريجينوس:

"إن كلسوس يقول "إن **القانون** هو ملك King كل شيء"، وعلينا أن نناقش هذه العبارة. أيُ قانونٍ يا سيدي هو ملكُ كل شيء؟ إذا كنت تقصد قوانين البلدان المختلفة التي تحكمها شرائع أو قوانين مختلفة، فإن عبارتك بكل وضوح مزيَّفة؛ لأن البشر لا تحكمهم نفس القوانين، وكان يجب عليك أن تقول إن **القوانين** هي ملك King كل شيء .. نحن المسيحيين نعترف ونوقر قانون الطبيعة كملك King إذا كان هو نفسه قانون الله ونعيش بموجبه ونرفض القوانين التي هي ليست قوانين الله".

القانون والوثنية والمجتمع:

لا يمكن أن يرفض مسيحيو القرون الأولى ما هو سائد في الحياة الإنسانية بشكلٍ عام. ولا تزال كتابات المدافعين مثل الشهيد يوستينوس، والعلَّامة ترتليان من أقدم المصادر الدالة في هذا الخصوص.

يقول يوستينوس الشهيد:

> "إن الوصية الخاصة بمحبة القريب تجعل المسيحي "يرغب في أن يشارك قريبه في كل ما يتمتع به" (الحوار مع تريفو اليهودي فقرة ٩٣).

وفي الدفاع إلى مجلس شيوخ روما يقول عبارة تستحق أن تحفر على الحجر لكي تبقى طويلًا:

> "إذا أضفت كلمات أخرى لكي أغري أحباء الحق، لعلهم يعرفون **أنه مستحيلٌ أن يهرب إنسانٌ من الجهل إذا مُنِعَت عنه معرفة الحق**" (الدفاع الأول ١٢: ١١).

النزاع حول اختصاصات السلطة المدنية والتعليم المسيحي:

أولا: يجب أن يكون واضحًا أمام كل قارئ أن الكنيسة برمتها خاضعة في حياتها لسلطان المسيح الذي لم يقدِّم شريعة مدنية أو قانونية تخلق التعارض والنزاع مع السلطات المدنية أو القضائية. ومن الثابت أن الكنيسة كلها شرقًا وغربًا، كانت تخضع للقوانين الرومانية التي دُوِّنت في شكلها الأخير والنهائي باسم الإمبراطور يوستينوس وتعرف باسم The Institutes of Justinian نشر النص الكامل المؤرخ Thomas C. Sandars وقدم الأستاذ Sandars دراسةً عن تاريخ القانون الروماني في الفترة ما قبل ٤٥٠ قبل الميلاد وما بعدها[٣]. وكان التشريع الروماني قد استفاد من مدارس الفلسفة اليونانية، فأدخل في القوانين Lex Naturoe القانون الطبيعي The Law of Nature إلى أن أسَّس الإمبراطور يوستينوس الثاني في عام ٤٢٥ أول مدرسة لدراسة القانون، ونُشرت المدوَّنة القانونية المعروفة باسمه في عام ٤٣٨ لتصبح المرجع الأول والأخير بعد أن جمعت كل القوانين السابقة.

٣- من الجدير بالذكر أن المجلس الأعلى للثقافة في مصر، أعاد نشر الترجمة التي أنجزها المرحوم عبد العزيز فهمي لمدونة جوستنيان في الفقه الروماني، ضمن المشروع القومي للترجمة، سلسلة ميراث الترجمة، العدد ٧٠٢، ٢٠٠٥.

ثانيًا: مَن يدرس بدقة، طريقة وأسلوب إدارة جلسات المجامع المكانية والمسكونية، يجد أنها التزمت بالتشريع الروماني الذي لا يتعارض مع مبادئ وتعليم المسيحية وهو بالتحديد:

١- سماع الشهود.

٢- تقديم الأدلة المكتوبة من العظات التي نُشرت.

٣- حضور محامين للدفاع.

٤- علانية الجلسات.

حدث هذا في كل المجامع، وأضافت الكنيسة إلى هذا الإجراء، القرار المجمعي الذي لا يصدر من شخصٍ واحدٍ، بل من المجمع، وبذلك حلَّ قرار الجماعة محل قرار القضاة، وهم -كما نعلم من المصادر الرومانية- كانوا أكثر من قاض واحد، إلَّا إذا كان هناك منشورٌ من القيصر يعتبر مثابة قانون، فكان قاضٍ واحد هو الحَكَم.

ثالثًا: جاءت كل التشريعات الأوروبية ثمرةً للتشريعات الرومانية السابقة واللاحقة للمسيحية. وفي مصر خضعت الكنيسة المصرية لأحكام القانون الروماني حتى الفتح الإسلامي. وتشهد الوثائق القانونية تطبيق الشريعة الإسلامية على الأقباط في: المواريث – الزواج، وهما الدائرتان اللصيقتان بالحياة المدنية بشكلٍ واضح لا يمكن إنكاره.

في العصر الوسيط حفظت الكنيسة القبطية المبادئ الأربعة السابقة، أي سماع الشهود - تقديم الأدلة المكتوبة - وجود المحامين - علانية الجلسات، وهو ما دُوِّن في محاكمة البطريرك كيرلس الثالث بن لقلق وتعيين الأنبا بولس البوشي مطرانًا لإدارة الكنيسة. وملفات جلسات هذا المجمع الذي عُقِد في مصر القديمة تحتاج الى دراسة ونشر.

رابعًا: طبعًا، دائرة الحياة المدنية في العصر الحديث أوسع بكثير؛ لأن النظام

السياسي والمدني والقضائي تطوَّر وأصبح لدى مَن يُحكم عليه بالإعدام حق الالتجاء إلى محكمة النقض والإبرام، وهو ما لم يكن معروفًا في العصر الروماني، وجاء مع التشريعات القانونية الأوربية التي وُلِدت في أعقاب حركة النهضة والثورة الفرنسية، وصارت ثابتة بعد صدور وثيقة حقوق الإنسان الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة لا سيما: حق العبادة – التعليم – السكن – حرية التعبير .... الخ.

التمييز بين إبداء الرأي في المسائل المدنية والسياسية، وبين اعتبار الرأي قانونًا كنسياً:

لعل فضيحة الاعتذارات التي كانت تُكتب في جريدة الأهرام، وطلب الغفران بسبب زيارة القدس، هي خير دليل على ما نقول. لأن زيارة القدس تخضع لرقابة القانون والدستور والتشريعات المصرية التي لا تخص الكنيسة بالمرة، وهو أمرٌ لا يمكن النزاع حوله إلَّا إذا كان في عقل وضمائر الذين يدافعون عن أحكام الحرمان بسبب زيارة القدس إيمان بأن الكنيسة دولةٌ مستقلة لا تخضع لسيادة القانون المصري والدولة المصرية. إن ما تسمح به دولة مصر لا يتعارض مع الإيمان بالمرة، ولا يجعل من زيارة القدس جريمة يعاقب عليها مرتكبها أو مخالفة تستدعي الاعتذار والتوبة.

وعلى ذلك، يدخل رأي الأنبا شنودة الثالث في إطار حرية التعبير، ولكن عقاب مَن يخالِفه بعقوبةٍ كنسية هو اعتداءٌ صارخٌ على أقدس ما يمارسه المسيحي، وهو "سر الشركة". وكان يجب على المجمع المقدس أن يتخذ قرارًا بهذا الشأن، ولكن "ربَّ البيت بالدفِّ ضاربٌ، وشيمة أغلب أساقفة المجمع هي الرقص على دقات ربِّ البيت".

وجاءت فضيحة عدم دعم ثورة ٢٥ يناير، وقبلها وبعدها فضائح الزواج الثاني، وهو ما لا نريد الخوض فيه الآن إلَّا بعد أن نأخذ الإذن من ضحايا أبرياء

عجزوا عن تقديم الرشوة للحصول على إذن أو تصريح بالزواج. وعلى الذين دفعوا رشوةً أن يتكلموا وأن يدوِّن كل منهم شهادته لكي تستقيم الأمور حتى يصبح لنا سلوكًا مسيحيًا يليق بنا، وحتى نخلع جذور فساد الذمة.

آفة حارتنا النسيان[١]

تذكَّرتُ هذه العبارة للأديب الخالد في حياة مصر وتاريخ مصر الأستاذ نجيب محفوظ، وهو يقص علينا "حكايات حارتنا". كيف تدفع الكراهية والحسد والبغضة السوداء الشريرة التي يجب أن يقاومها كل مسيحي، إلى نسيان -وعن عمدٍ مع سبق الإصرار- الوثائق المجمعية التي وقع عليها بخط يده، فنجده يقوم بترصد ما يراه خطةً ومؤامرةً تُحاك ضد الكنيسة يقودها مجموعة من الخلقيدونيين (الكفار)؟ وآفة الأنبا بيشوي -كاتب المقال الأخير- في موقع مسيحيو مصر أنه نسى القرارات المجمعية التي صدرت باللغتين العربية والإنجليزية وبمقدمة بخط قداسة البابا شنودة الثالث الذي يريد أن يحتمي وراءه لكي يبرر هجومه على قداسة البابا تواضروس الثاني ونيافة الأنبا باخوميوس الذي أنقذ الكنيسة من عصابات كانت تريد الاستيلاء على كرسي مار مرقس.

في الوثائق المجمعية التي وقع عليها قداسة البابا شنودة الثالث وبحضور سكرتير المجمع المقدس المطران الأنبا بيشوي سوف يجد القارئ مع ملاحظة هامة، وهي أننا في طريق استرداد الشراكة الكاملة:

- اعترافٌ بسر المعمودية عند كنائس الروم.
- اعترافٌ بسر الزيجة.
- توصياتٌ برفع الحرومات وهو أمرٌ لا يحتاج إلى تعليق بالمرة.

أما إثارة الرعاع بهذا الأسلوب الفج الذي لا يليق، فلا تعليق عليه، والكلام

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١ نوفمبر ٢٠١٣.

البذيء يعود إلى صاحبه ولا يرد عليه إلَّا بذيءٌ لأن مقاومة الشر بالشر تجعل المقاوم شريرًا. لكن نشر الحقائق التاريخية أمرٌ ضروري لكي تبقى الضمائر نقيةً.

لقد تم حرمي من الكنيسة بسبب اتهامي لقداسة البابا شنودة الثالث بأنه سقط في النسطورية، ومرفق مع هذا المقال الوثائق الخاصة بذلك[٢]، ولهذا السبب جاء قرار حرماني دفاعًا عن الأنبا شنودة الثالث؛ لأن إخراجي من شركة الكنيسة يمنع محاكمة الأنبا شنودة الذي ردَّد عبارات نسطور بالحرف.

ولكن الحقَ حقٌ.

أخيرًا أقول إن آفة حارتنا النسيان؛ لأن الحق صُلِبَ يوم الجمعة وقام في فجر الأحد، وقد حملتُ الصليبَ ومعي أخوة وأخوات صُلبوا معي سرًا بالمنع من الخدمة والمطاردة من الحياة الكنسية، ولكن القيامة آتيةٌ والادعاءات الكاذبة لا تصمد أمام الحقيقة.

أما إهانة قداسة البابا تواضروس الثاني بأن نيافة الأنبا باخوميوس هو "الريموت كنترول" الذي يحرك قداسة البابا كما يريد، فتلك إهانةٌ تعود إلى قائلها لأنه هو ذاته تعوَّد عيش هذا النمط من الحياة عندما كان يحركه سيده كما شاء، ولذلك رضى لنفسه بلقب "الرجل الحديدي"، وهو اللقب الذي يجب أن يرفضه أي مسيحي؛ لأن هذا اللقب يُخرج حامله من تدبير الرحمة والمحبة الإلهية.

رَحِمَ الله من عرف قدر نفسه، ولزم الحياء عما صدر منه من أفعال مشينة يقع بعضها تحت طائلة القانون المصري الذي لم نتوجه إليه لأن جراح الكنيسة أكبر من أن تحتمل فضائح وجرائم يعاقب عليها القانون. ولكن لنا طلبة دائمة لكل من هو مكبلٌ وتحت عبودية الكراهية أن يحرره رب الحرية وإله المحبة ربنا يسوع المسيح.

٢- يمكن للقارئ الكريم الاطلاع على هذه الوثائق على صفحة موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في تاريخ نشر المقال.

الأسلوب السياسي في تصوُّر وإثارة مشاكل كنسية[١]

لم نفاجأ بما نُشر -عن تعيين ثلاثة أساتذة حاصلين على درجة الدكتوراه في اللاهوت في الكلية الإكليريكية -باسم "مسيحيو مصر"، وإن كان الاسم نفسه يستدعي في ذهن القارئ أن الخطاب باسم المسيحيين المصريين جميعًا، وهذا غير صحيح، بل ينطوي على خدعة إعلامية، ويؤكد أننا لازلنا نعوم في خضم المستنقع الذي تعلمناه من الفضائيات ومن صحافة ليس لها هدف إلا تضليل القارئ ومحاصرة دور العقل في معرفة الحق. فالخبر الذي نُشر يتضمن ذات الصورة السياسية التي انتهجها حزب الحرية والعدالة والأحزاب الاخرى التي كان لها دور تخريبي في الحياة السياسية المصرية، وذلك من واقع المفردات واسلوب الإثارة الذي استُخدم في الهجوم على الدارسين والمتخصصين. ولعل القارئ قد لاحظ الاستخدام السياسي لكلمة "مفاصل" في عبارة: "البابا يسلم مفاصل التعليم للمخالفين للكنيسة". فالكلمة سبق استخدامها في الصراع الدائر بين الحركة الوطنية وجماعة الإخوان المسلمين في الخطاب السياسي الذي تضمن السيطرة علي مفاصل الدولة المصرية. في حين أنه ليس للكنيسة "مفاصل" للتعليم لأسباب لاهوتية يجهلها كاتب هذه المقولة، تتلخص في أن الكنيسة "حياة شركة" لكل المؤمنين وأن هذه الشركة ليس فيها زعامات ولا قيادات؛ لأنها تخضع أولًا لعمل الروح القدس في كل المؤمنين، وتظهر في التسليم الكنسي الذي دُون في كتابات الآباء ومُعلن في الليتورجيا وله الأساس الإلهي في الكتاب المقدس نفسه. ولعل من الملاحظ أيضًا أن الدكتور سعيد حكيم والدكتور جورج عوض والدكتور جوزيف فلتس وهم ثلاثة من المتخصصين لم تصدر ضدهم

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في٢٤ أكتوبر ٢٠١٣.

أحكام كنسية وليس لدى المجمع وثيقة واحدة تؤكد خروج هؤلاء على الإيمان الأرثوذكسي.

نحن نريد أن نتجاوز العقل السياسي القديم الذي يُقسِّم إلي أحزاب وشيع، فهذا مرفوض تمامًا في الكنيسة، فليس للقمص متى المسكين أو الدكتور نصحى عبد الشهيد أتباع، ولم يحدث طوال نصف قرن -حسب ما ذُكر في بيان "مسيحيو مصر"- أن وُجهت لهم تهمة عقائدية واحدة، والاتهام العام بأن هؤلاء مخالفين للتعليم هو اتهام كاذب، ودليل الكذب هو عمومية الاتهام الذي يخلو من تحديد تهمة واحدة، ولم يكن لبيت التكريس طوال عصر قداسة البابا كيرلس السادس – الذي اعترض الأنبا بيشوي في اجتماع المجمع المقدس الأخير علي إعلان قداسته – أية مشكلة تعليمية، ولذلك، الزج باسم قداسة البابا كيرلس السادس هو زجٌ حقير لا يليق ، كما لم يجرؤ قداسة البابا شنودة الثالث على مواجهة عقائدية مع الدكتور نصحى عبد الشهيد، بل كان يستقبله ويستلم منه نسخ الترجمات العربية عن اليونانية لآباء الكنيسة بترحابٍ.

لقد مضى عهد «الكُتّاب» وتدريس الذين ليس لهم إلا شهادة الأمية، ولا يمكن وصفهم بأكثر من أنهم اساتذة الفلكلور والتعليم الشعبي العام، ويكفى أن نذكر في هذا المجال أن كُتيب عقيدة الفداء والكفارة لنيافة الأنبا بيشوي حظي باسم الدكتور جوزيف فلتس تأكيدًا على أستاذية الدكتور جوزيف، وأن الأنبا بيشوي يختفى وراء دارس متخصص لكى يحظى الكتاب بالانتشار والقبول.

إننا نهنئ قداسة البابا تواضروس الثاني على هذا الاختيار، وعلى دخول الإكليريكية عصر التخصص والابتعاد عن الذين اخذوا الارثوذكسية (من بيوتهم) وأن أساتذة الأمية الأرثوذكسية لم يعد لهم مكان في الحياة الكنسية خلاف ما اعتادوا عليه من شوشرة وإثارة مشاعر السذج وضعاف العقول وجمع الرعاع الذين يهتفون لهم بلا وعي، فنحن نريد أن نأخذ من منابع الآباء الصحيحة

التي كانت ولا تزال قوة الحياة الارثوذكسية الصحيحة.

ونتمنى على كاتب هذا الخبر السيئ أن ينشر لنا قائمة موثقة بالدليل، وليس بطريقة الأنبا بيشوي، وهى الاتهامات العامة بلا دليل لكل الأخطاء اللاهوتية للأب متى المسكين أو لبيت التكريس، ويكفي أن نذكر في هذا المجال أن خريج كلية الهندسة جامعة الإسكندرية لم يحصل على أي معرفة لاهوتية صحيحة وأنه تولى سكرتارية المجمع المقدس بسبب الولاء الشخصي دون أن يكون له تخصص في أيٍّ من العلوم الكنسية.

ومرةً أخيرة تهنئة لقداسة البابا وتهنئة للكلية الإكليريكية وللكنسة القبطية أم الشهداء.

التجسد ودعوة الإلحاد في مصر (١)[١]

إذا كان سوء استخدام العقائد الدينية قد أوحى لبعض الشباب والشابات بالبحث عن الإلحاد كطريق للخلاص من السيطرة القهرية على الفكر وعلى الحياة، سيطرة لها منهج وسلطة عليا تضع الله أو نصوصًا مقدسةً لقهر واستعباد الإنسان، ففي تقديري أن الإلحاد ليس هو التحدي الحقيقي لسوء استخدام الإيمان، بل هو أضعف أنواع التحدي. فقد سمعت من أحد أبطال حرب أكتوبر ١٩٧٣ أن رماية مدافع القوات المسلحة على نقط حصينة في خط بارليف لم تكن تؤثر مطلقًا، وكان من الضروري تفجير هذه النقاط الحصينة من الداخل. والعلوم العسكرية منذ أرسطو هي تطبيق لما عرفه الإنسان من المنطق، فقد طبَّق الإسكندر الأكبر بعض نظريات أرسطو في الهندسة على توزيع المشاة ...

لذلك أقول إنه لا بُد من هجوم يقود حركة إصلاح من داخل التراث الديني، وقد رفع علماء الأزهر عَلَم "الوسطية"، وهو ذات الاتجاه الذي عَلَّم به بعض آباء النسك، والذي تلخصه العبارة المشهورة: "الطريق الوسطى (المعتدل) تخلِّص كثيرين".

ومن داخل تراثنا الديني المصري -كما أشار واحد من دعاة الإلحاد- أنه لم يقرأ ما يستحق التقدير سوى كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي. هذه لمسة حق نابعة من قلب أدرك أن العقائد ليست "غيبية"، تشير إلى ما وراء الطبيعة، بل عقيدة المسيحية الأولى هي تجسد ابن الله، والتجسد هو استعلان الله نفسه في "لحم ودم الإنسان". فقد صار الإنسان نفسه هو كتاب

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٦ يناير ٢٠١٤.

الاستعلان الإلهي، أي أن هذا الاستعلان لم يعد حروفًا وكلمات، بل التعبير الحقيقي الإنساني الذي يعلو على كل اللغات، وصار فهم الإنسان لحياته وكيانه كإنسان هو أول فصل من فصول الإيمان.

كان الأب فليمون المقاري -الذي لم يدرس الفلسفة أو اللاهوت- يقول لنا: "قبل أن تؤمن بالله يجب أن تؤمن بنفسك". ولمَّا سُئل عن معنى هذه الكلمات -وكان كلامه دائمًا موجزًا- قال: "إن الإيمان يبدأ بمعرفة الإنسان لنفسه كإنسان. ما هو؟ وماذا يريد أن يكون؟ لأن هذه هي أساسات الحياة الحقيقية" (هكذا نقلت كلماته).

وكان ملخص الحكمة القديمة على معبد دلفي في اليونان هو "اعرف نفسك"، وهو ملخصٌ لما ورد أيضًا في سفري الأمثال والجامعة، وفي حكمة سليمان، وحكمة بن سيراخ. ولكن -بكل أسفٍ- غاب تدريس الحكمة من التعليم المعاصر، وكان ذلك هو أساس التعليم حتى في العصر الوسيط، وهو يعود إلى أكليمنضس وأوريجينوس، هذا إذا استطاع الباحثون عن الحكمة الابتعاد عن الدراسات اللغوية واكتشاف الأهداف الحقيقية للتدبير والثيؤلوجيا (راجع كتابنا: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي).

لقد جاء التجسد بحقيقة واحدة، وهي بحث الله نفسه عن الإنسان، ودخوله دنيا الإنسان، ليس بخطابٍ، بل بحياة إنسانية. ولذلك، الأناجيل، وهي حياة يسوع ابن الله المتجسد، تراه إنسانًا. تعثر في ذلك الأريوسيون، وتبعهم شهود يهوه. ولذلك، الظن بأنه مجرد إنسان وليس إلهًا، يعيد التعليم إلى المربع الأول: مربع الخطاب. ودور الكلمات ومدارس تفسير الكلمات، هي حركة مضادة تمامًا لتجسد الكلمة. والفرق الكبير بين الأسفار عند الآباء، والشرح المعاصر عند عظماء الأكاديميين، هو أن الآباء شبعوا من التدبير وأعلنوا سر المسيح، وهو ما غاب من مؤلفات معاصرة لعلماء كبار في أكبر معاهد اللاهوت.

والشبع من التدبير عند الآباء هو:

- شرح سر المسيح الإله المتجسد.

- شرح حقيقة وأبعاد الشركة الإلهية – الإنسانية التي جاء بها المتجسد. ولكي ندرك أننا لسنا إزاء مسائل غيبية، فإن أصدق وأسهل تعبير هو:

"الكلمة صار جسدًا" (يو ١: ١٤).

والشرح لِما يعيشه الذي يقترب من إنسانية الكلمة المتجسد، هو:

"فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا وأنتم مملوءون فيه" (كولوسي ٢: ٨).

لقد جاء المسيح لكي يعلن لنا إنسانية الإنسان الضائعة، أي الإنسان الذي يحيا لنفسه فقط، فيخسر حياته. وأيضًا الإنسان الذي يتمسك بتقاليد القهر وسيطرة شريعة على الحياة، فقال: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء ..."، ثم أضاف: "أما أنا فأقول لكم ..."، ولم يكن ذلك إلَّا تحرير الإنسان من تراثٍ دينيٍّ قديم استعبد الإنسان إلى الحرف.

تأمل هذه المفارقة: في وسط اليهود، يقدِّم الرب يسوع مثَل السامري الصالح، بينما السامري عند اليهود نجسٌ لا يحفظ الشريعة. ولكنه –السامري- هو الصالح الذي فعل الصلاح مع ضحية اللصوص الذين هاجموه في طريقه إلى أريحا، ولم يذكر يسوع شيئًا عن دين أو جنس الجريح. ولا بُد أن المثَل أصاب اليهود بالخيبة والغيظ معًا؛ لأن "المسيا"، أي المسيح يهدم تراثهم الديني؛ لأن اللاوي والكاهن لم يقدم كلاهما المساعدة للإنسان الجريح؛ لأن "لمس دم الإنسان هو نجاسة"، تمنع من الصلاة.

هذا ليس تعليمًا "غيبيًّا"، بل تعليم إنساني يمس المجتمع المنقسم إلى فئات يحكمها تراثٌ قديم.

وثمة مسألة أخرى ذات دلالة، فقد مات يسوع مصلوبًا، ولكن المصلوب

دخل عالم ما وراء الطبيعة، عالم الغيبيات -من وجهة نظر- الذين قالوا إنه دفعَ ثمن خطايا البشر، فأخرجوا بذلك المصلوب من الواقع، ومن الحياة، ومن الليتورجية نفسها. أخرجوه من الواقع؛ لأن كل صاحب دعوة حق غالبًا يُصلَب. وأخرجوه من الحياة؛ لأن الحياة لا تتقدم إلَّا بالمصلوبين من أجل خير وحرية الشعوب. وأخرجوه من الليتورجية لأن الليتورجية هي خدمة يسوع لنا عندما يدخل كذبيحة وقربان يقدِّم الحياة لكل خطاة الأرض، بينما دفع ثمن الخطايا يلغي كل ما تقدَّم، ويحول الصليب والمصلوب إلى فكرة في ورقة أو مقالة على رفِّ مكتبةٍ وليس في الواقع الحي الذي تحياه الجماعة، أو الشخص الذي يؤمن بأن تقديم الحياة هو طريق التقدم، وأن المعاناة هي إحدى وسائل الحرية التي لا يمكن للحرية أن تعبِّر عن نفسها إلَّا بالمعاناة؛ لأن الحرية تغسل القهر والاستبداد. والذين يملكون سلطةً اخترعوها لأنفسهم ورضي بها العبيد، هؤلاء هم قتلة يسوع، وكل يسوع عندنا هو كل صاحب دعوة للحرية.

وثمة مسألة أكبر؛ لأن التصدي لقضية المصلوب سهلةً، ولكن الانغماس الكياني في الثالوث الآب والابن والروح القدس، هو التحدّي الحقيقي الذي حاول البعض الالتفاف عليه، فقالوا إن الثالوث هو صفات ذاتية جوهرية، فتحول الثالوث -عندهم- من استعلانات شخصية لأقانيم حية عاملة باذلة ومُحبة إلى صفات صامتة قابعة في جوف تلافيف الفكر. أمَّا الثالوث، فهو تحول الإنسانية، هو شركة في محبة الله. ودعوة لاكتشاف هذه الشركة ليس بالكلام أو اللفظ، بل بتغيير الحياة (وسوف نعود إلى هذه النقطة بالذات في مقال خاص)؛ لأن الثالوث -حسب تعبير الأب فليمون المقاري- هو «معاملة»، وكان ذلك تعليقًا على عبارة "الدين المعاملة"، فقال: "الثالوث وحده هو المعاملة الصَّح، (أو الحق)؛ لأننا لا يمكن أن نزيِّف المحبة ...". تلك كانت عبارة سمعتها منه في عام ١٩٥٨ أكَّدتها رحلة البحث الطويلة عن كتابات الآباء، حيث قادتني تلك الرحلة إلى ما سجَّله الآباء باليونانية والقبطية والعربية واللاتينية: أثناسيوس – كيرلس – هيلاريون –

أوغسطينوس – صفرونيوس – غريغوريوس أسقف قبرص (ق ١٢) – ريكاردوس الفيكتوريني ... ثم المؤلفات النسكية في مصر واليونان، وغيرها.

الثالوث هو انغماس الإنسان في المحبة الإلهية؛ لأن المحبة تجيء من مصدرها، وهو الآب، ومن إعلان بنوة يسوع، ومن عطية الروح القدس، تقابل الصدر والقلب في الإنسان، وحاجة الإنسان لأن يُحَب ويُحِب ويتحد أو يشترك، أي الحركة الثلاثية للمحبة. فإذا كان القلب هو مصدر المحبة في الإنسان، فإن العقل الباحث دائمًا هو الذي يقبل الاستعلان، ولكن تبقى الروح أو النفس عارية تمامًا بدون الاتحاد؛ لأن الروح هي أساس الاتحاد، وهي مجال قبول عطية الروح القدس.

هكذا خُلِقَ الإنسان بحركة ذاتية ثالوثية:

يُحِب	to love
يُحَب	to be loved
يتَّحد	to be limited

وعندما قلنا إن الزواج هو ذات الحركة الطبيعية، ثار علينا واحدٌ من الخصيان[٢] لم يتذوق المحبة، ولا عرف كيف يلد أولادًا للآب السماوي؛ لأن أحد أقدم شرح ليتورجي هو للقديس أكليمنضس: "إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون أنا في وسطهم"، فقال: "إن الاثنين هما الزوج والزوجة، والثالث هم الأولاد".

٢- هكذا وصف القديس أثناسيوس أريوس بأنه لا يعرف إلَّا الخصيان Eunucn. "كان الخصيان Eunuchs في قصر الامبراطور قسطنطين هم الذين دبروا المكيدة ضدنا، ومن المدهش حقًا ذلك الاتفاق الغريب أن الهرطقة الأريوسية التي تنكر ابن الله قد أخذت تأييدها من الخصيان الذين بلا خصوبة في أجسادهم ونفوسهم عارية بلا فضائل Doth their bodies are truitless and their Souls barren of Virtue هؤلاء لا يحتملون أن يسمعوا كلمة ابن .. بل يحولون وجوههم بعيدًا عندما يسمعون كلمة الآب أعلن الابن، وبجنون يقاومون بشراسة كل من يقول إن ابن الله هو ابن الله الحقيقي. هذه هي هرطقة الخصيان أنهم لا يؤمنون بالابن الحقيقي المولود من الآب. وعلى هذا الأساس فإن القانون يمنع هؤلاء الأشخاص أن يكونوا في مجمع كنسي" (راجع تاريخ الأريوسية للقديس أثناسيوس الرسولي، فقرة ٣٨، الترجمة الإنجليزية ص ٢٨٣).

في عيد تجسد ابن الله، يدعونا التجسد إلى:

أولا: أن نقبل to receive إنسانيتنا كما هي، لكي نكتشف كيف يمكن أن نصبح أفضل، ليس بالتقدم الأخلاقي؛ لأن المسيح لم يؤسس مدرسةً سلوكية أخلاقية، بل جاء بهبة حياة لتجديد الكيان.

ثانيًا: أن نعيد التفكير في أسلوب حياتنا لأن جذور الوجود الإنساني هو في ثالوثية المحبة التي أشرنا إليها: ما نحِب، وكيف نحِب، وغاية المحبة، وهي الاتحاد. فقد جاء يسوع بالمحبة الأعظم، ومكانها قلب الإنسان، وجاء بعطية أكبر من قلب الإنسان، وهي عطية الروح القدس، روح المحبة (رو ٥: ٥)، وجاء أيضًا بالاتحاد بالله كطريق لتقدم إنسانيتنا، وُصِفَ قديمًا باسم Metamorphosis وهو الاسم الذي يصف تحول الدودة إلى"فراشة"، وهو ما يعبِّر عن تحول الإنسان جسدًا ونفسًا إلى صورة جديدة هي "التجلي" (راجع النص اليوناني لمرقس ٩: ٢)، وعن الإنسان (رو ١٢: ٢)، وهي صورة يسوع الذي بدأ طفلًا ينمو مثل باقي البشر، ولكن ليس النمو بالإرادة الذاتية التي تبع من الذات وإلى الذات، وهي إرادة آدم الأول، بل الإرادة التي بالاتحاد بلاهوت الابن الكلمة لأن الإرادة الذاتية من الذات وإلى الذات المنغلقة هي أفضل ترجمة Gnomic Will وهي الحركة الطبيعية للإنسان الساقط بلا شركة الذي يسعى نحو ذاته، والتي قال عنها معلم الحياة إن شرط التلمذة هو جحد الذات وحمل الصليب والسير مع يسوع. وجحد الذات، أي الميول التي تحركها الإرادة المستقلة "من طلب ذاته يهلكها"، هكذا قال يسوع، ولكن "من جاد بذاته يجدها"، أي وجدها تنمو نحو ما هو أعظم في الإنسان، وهي مسيرة التجديد الكياني.

التجسد ودعوة الإلحاد في مصر (٢)[١]

الإنسان يُولد عاريًا:

يُولد الإنسانُ عاريًا، ليس فقط جسديًا، بل عقليًا (روحيًا). وهو يأخذ اللغة والمعرفة من الأسرة – المدرسة – المجتمع. لم تكن قصة "عري" آدم في التكوين قصة قديمة، بل هي قصة الواقع الإنساني نفسه، ولم تكن شجرة المعرفة -أي معرفة الخير والشر- قصة قديمة، بل نمت هذه الشجرة وصار في كل عقل أكثر من شجرة لمعرفة الخير والشر. فالشجرة تنمو، ومكتبات الجامعات مملوءة بالأشجار، ومعرفة الخير والشر ملأت كل مكان في الكون.

ما يوصف "بالغيبيات" هو الفكر المجرد المتحجِّر الذي وقف عند أطلال الماضي كعادة قدامى شعراء العربية. ونحن أمام فرعين للمعرفة كلاهما مدوَّن في الحضارات القديمة. فرع الدعوة إلى التوحيد، وفرع الوثنية. ووجهة الاختلاف بينهما هي أيهما سبق الآخر؟ وهل هما متلازمان، وهل ولدا معًا من ذات رحم الحياة العارية التي تبحث عن حدود تشبه "الخريطة" التي تحدد الوجود الإنساني، فترسم معالم الطريق الإنساني؟

من أجل تحديد الوجود الإنساني، خَلَقَ الإنسانُ:

- تقسيم الزمان إلى أيام وأسابيع وشهور.
- وخلق مدونات التاريخ.
- وخلق الأساطير، والأسطورة غير الخرافة[٢] لأن الأسطورة Myth هي

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٣ يناير ٢٠١٤.

٢- كان البحث الرائد للعالم Andrew Lang في كتاب أكثر من ممتاز بعنوان Myth, Ritual and Religion نُشر عام ١٨٩٩ وأُعيد نشره ولم يُكتب ردٌّ واحد لتفيد ما ورد في الكتاب، ثم جاء بحث الأب Louis Bouyer

محاولة تاريخية وعلمية لتحديد الحقائق وجمعها في شكل قصة. وتلك هي محاولة الإنسان أن لا يكون عاريًا.

الله قصة الإنسان:

لم تكن الوثنية في كل صورها سوى ذلك المزيج من رغبة الإنسان في اكتشاف الله، وإسقاط ذاته على الله Self – Projection نفسه، وتعدُّد جوانب الحياة النفسية في الإنسان خَلَق تعدد الآلهة. لكن الإنسان لا يرى في الولادة من الأب والأم السبب الحقيقي للوجود؛ لأن التسلسل البيولوجي، أي الولادة من الآباء والأمهات لا تعطي أي معنى ولا تشرح سبب وجودنا. لذلك جاء البحث عن خالق الأب والأم وعن خالق الكون وعن مصير الحياة بكل صورها؛ لأن القوة التي تضرب الذكاء بعنف شديد هي قوة الموت، وهي من العنف بحيث أنها تصطدم ليس بالشعور بالوجود، بل تصطدم بكل ما يمكن أن يوصف بالحياة كما قال شعراء قدامى وكما قال الخيام: لماذا جئت؟ أين المفر؟ فالحياة لا يمكن أن تنتهي بالموت، والبحث عن البقاء لا يمكن فصله عن البحث عن الخالق، والإجابات عبر التاريخ عن إله أو حتى آلهة، أعطت الإنسان قوة للبقاء، ودفعته للاستمرار في الحياة، ولم تدفعه إلى الانتحار (سوى بعض الذين صُدِموا في سبب وجودهم وعانوا العار والذل)، بل حتى هؤلاء الذين يُقْدِمون على الموت، هم بكل يقين مهما كان اليأس ومهما كانت الصدمات القاسية، يؤكدون لنا أن الحياة بدون معنى تساوي الموت، وأن الموت ليس إجابةً عقلانيةً، بل نهاية أليمة غير عقلانية.

هكذا جاء الإيمان بالخالق بحثًا عن معنى للحياة، وعن غاية أعظم تعلو على ما تقدمه الحياة البيولوجية من سبب للوجود، وهو زواج الأب والأم، إلى خالقٍ خَلَقَ حتى الأب والأم؛ لكي يرتفع الوجود الإنسان من محض وجود

في كتاب Le Fils Eternal نُشر عام ١٩٧٧ من الكتب الرائدة في نفس الموضوع .. ولكن لا زال لدينا غموض بين الخرافة قصة لا تمس الواقع والأسطورة التي تشرح الواقع بالمستوى العلمي الشائع في زمان الأسطورة.

بيولوجي إلى غايةٍ أعظم وأكبر.

هل يسوع كتاب الإنسان؟

من أفدح أخطاء العصر الوسيط أنْ تحوَّلَ الإنجيل - البشارة إلى كتاب، وعندما ظهرت المطابع لتطبع الكتاب المقدس بعهديه، تحول يسوعُ إلى كتاب، وأصبحت قراءة الأناجيل والتفاسير هي دنيا الحروف، والكلمات بحر الكلمات الذي أغرقت به المطابع (وهي من أعظم الاختراعات الإنسانية) العقول في بحر كلمات ومصطلحات صارت تملأ الفراغ العقلي بفراغٍ آخر، وهنا مأساة محاولة الإنسان أن يملأ فراغًا بفراغ آخر، أي فراغ الحياة العقلية والتي تبحث عن رداءٍ، فلا تجد في المصطلحات سوى كلمات وعبارات تضيف المزيد من العراء. والسبب هو تحوُّل الشخص إلى كلمات. ولكن يسوع لم يأت بكتابٍ، بل بحياة (١ يوحنا ١: ١ - ٣). وهنا التناقض الغريب، أن نقدم كلمات تقول لنا إن يسوع حياةٌ من عند الآب أُعلِنت، وإن العهد الجديد هو شهادات عن هذه الحياة. وها هو يسوع لا يضع نظريةً واحدةً، ولا يقدم ولا حتى فكرةً واحدةً، بل يقدم:

- الأمثال التي تشغل ٩٠٪ من كل العبارات التي نطقها.
- والباقي ١٠٪ هو عن حياته الشخصية.

وقد شعر يوحنا الإنجيلي أن ما لدى الكنيسة من وثائق وشهادات لم تدخل إلى أعماق العلاقة الكيانية بين الآب والابن، فكتب الإنجيل لكي يؤكد لنا هذه العلاقة الكيانية. ولم تكن الأناجيل الثلاثة: متى - مرقص - لوقا هي أناجيل تاريخية فقط كما جرى الاصطلاح المعاصر، بل هي بشارة تنزع سلطان العهد الأول بكل ما فيه، وهو ما اقتضى الرسول بولس أن يكتب بحثًا مطولًا باسم «الرسالة إلى العبرانيين» ليقول فيه إن كل شيء قد انتهى، وإن القديم كَبُرَ وشاخ ولا وجود له (عب ٨: ٢٣) وإننا أمام الجديد، لأن القديم هو ظِلٌّ ولأن الجديد هو النور.

من الأمثال نرى كيف يملك الله في حياة البشر في مشاهد من الحياة اليومية: الزارع – الابن الضال – الغني ولعازر – الفريسي والعشار – السامري الصالح .. وكل هذه الأمثال لا علاقة لها بالعهد الأول؛ لأن العهد الأول تحوَّل في الحياة -بسبب تحوُّل الإنسان نفسه- إلى قيد، وأحب العبيدُ القيدَ، ووجدوا في الشريعة وفي الطقوس ما يؤكد العبودية، ولكن يسوع جاء لكي يقول: "ملكوت الله داخلكم" (لوقا ١٧: ٢١)، وفي نصٍ آخر شاء كاتبه أن ينسبه إلى الرب نفسه لكي يكتسب مصداقية قال: "لو كان ملكوت الله في السماء، فان الطيور سوف تسبقكم إليه" لأن الطيور تطير في السماء. ولكن تحول المُلك الإلهي إلى القلب كان "النقلة" الخطيرة التي جاءت بالجديد، وهي عودة الإنسان إلى الإنسان، إلى ما في حياته هو، إلى رؤية الله في القلب، ولذلك قال يسوع: «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (متى ٥: ٨). وحتى في عهد الظلال، كان أشعياء يسكن في وسط شعب "نجس الشفتين"، وهو تعبير عبراني جيد، يؤكد أنه شعب يجدِّفُ على الله ولا يشكره، ولم يكن أشعياء يشعر بأنه أفضل من الشعب، ومع ذلك فقد رأى الله وسمع تسبيح القوات السماوية (أش ص ٦). ونقاوة القلب لم تعد النقاوة التي يطلبها الطقس القديم، بل نقاء الرؤيا، أي تلك التي لا تُمزَج فيها القدرات العقلية وتخلطها، هي "العين النيرة" التي تجعل الجسد كله في وحدة واحدة منسجمة مع الروح (متى ٦: ٢٢-٢٣)، بينما القلب المنقسم هو القلب غير النقي.

وجاء يسوع ليقول إنه جاء لكي يعطي الملكوت لمن يريد دون أن يكون لديه مؤهلات، ولم يكن غريبًا أن يقدم العهد الجديد شهادتين:

الأولى: أن تلاميذ يسوع كانوا من عامة الناس وليس من حكماء الشريعة.

الثانية: أنه هو أي يسوع مُعلِن الملكوت بالمحبة وبصلاح الله الذي لا يميِّز بين الصالح والشرير، لأنه يعطي خيرات الكون للكل .. برهان كوني هو الشمس

والمطر (راجع متى ٥: ٤٥).

وكلتا الشهادتين هما معًا في شخص يسوع نفسه، فهو لم يكن من سبط لاوي. بل من سبط يهوذا الذي لم يخدم أحد منه في العهد الأول (عب ٧: ١٤)، هو نفسه لم يميز في معاملته بالمرة بين تلميذ يتبعه، وزانية كادت ترجم (يوحنا ٨: ١ - ١١) كلاهما في حاجة إلى رحمة الله ومحبته.

هكذا **نقل يسوع الإيمان بالله إلى الحياة اليومية لا إلى ما وراء الطبيعة.** وقد قرأت أخيرًا في إحدى الصحف العربية أن سبب رفض المسيحية هو الآب والابن والروح القدس، باعتبارها أسماء أُخذت من الحياة الإنسانية، وانتابتني موجة من الضحك؛ لأننا لا يمكن أن نتكلم عن الله نفسه إلَّا بلغةٍ بشرية، وحتى الإيمان بالتنزيل جاء بلغة بشرية سواء كان هي العبرانية أو العربية أو اليونانية. فكيف يمكن لنا أن نخاطب حتى بعضنا البعض عن الله إلَّا بلغة بشرية ..!!

مأساة الإنسان أنه كان يبحث عن ما هو إلهي، فوجد ما هو إنساني، فرفض ما هو إنساني، وبذلك رفض ما هو إلهي.

وكان يبحث عن ما هو إنساني ورفض ما هو إنساني، بحثًا عن ما هو إلهي فأنكر الإنسان، فتم ليس نفي الانسان، بل إلغاء الانسان إلغاءً كاملًا.

لكن يسوع جاء لكي يُولد الله والانسان، ليس في كتاب، بل في شخصه الواحد - شخص الاله المتجسد الذي هو إنسانٌ عند الله، وإلهٌ عند البشر؛ لأن الله والبشر يتقابلون معًا في شركة في شخص يسوع المسيح.

التجسد ودعوة الإلحاد في مصر (٣)[١]

من الإنسان وإلى الإنسان:

غاية تعليم يسوع ابن الإنسان -كما ذكرنا سابقًا- هي في الأمثال، تلك التي تشكل ٩٠ ٪ من تعليم الرب. لم يجيء ابن الإنسان بكتاب أو نصوص، ولكن بثلاث حقائق أساسية:

أولا: جاء من أجل الإنسان، وقد عبَّرت الكنيسة الجامعة كلها عن هذه الحقيقة في عبارة قانون الإيمان: "هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسَّد من الروح القدس ....".

ثانيًا: وكانت دعوة الإنسان لأن يكون إنسانًا، منسجمةً تمامًا مع ما جاء في التعليم بالأمثال عن ملكوت الله في واقع الحياة اليومية: الزرع - الصلاة - صيد السمك - إعداد العجين - الرفق بالآخر - تجاوز الحدود العرقية والشرعية التي خلقت انفصال البشر عن بعضهم البعض .... وهكذا كانت هذه الأمثال هي رواية عمل الله في دنيا الإنسان، وبكل ما هو إنساني.

ثالثًا: على أن ما هو إنساني، ليس كافيًا في حد ذاته لأن يقود الإنسان إلى أن يجد في إنسانيته حقيقة ثابتة، وهي الإحساس بالله؛ لأن هذا الإحساس، لمَّا افتقده الإنسان في مراحل سابقة، أدَّى به إلى الوثنية.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢١ يناير ٢٠١٤.

الآخر، الله والإنسان:

لا يمكن أن ننتزع الآخر من حياتنا، هو كائنٌ في الوعي – في النطق – في "أنا والآخر I and Thou" حسب تعبير مارتن بوبر Buber[2].

وفي أمثال ابن الإنسان، الآخر هو البشر مثل الابن الضال، واللصوص، والسامري الصالح، والزارع، والمرأة التي تعجن، والمرأة التي تفتش عن الدرهم المفقود.

والآخر هو البيئة: بحيرة – صحراء أو برية – أورشليم – السامرة ... فلا يمكن للآخر أن يحيا إلَّا في بيئة، والبيئة ليست دائمًا على وفاق مع "الأنا". العداء الظاهر في الحوار الدائم الذي يشكل حوالي ثلث إنجيل يوحنا، ورد يسوع على من دعاهم الإنجيل "اليهود"، ليس أولئك الذين ينتمون إلى أصلٍ عرقي، بل لو كنتم أولاد إبراهيم لكان لكم إيمان أعمال إبراهيم (يو ٨: ٣٩)، بل في لمحة ضرورية لنا: "أبوكم هو الشيطان"، وهي ردٌّ عنيفٌ قاس على اتهامات أكثر قسوة من رد يسوع نفسه.

والآخر هو من لا يمكن فصله عن الملكوت. هو في الملكوت ولكن ليس بالضرورة -حسب سر الأمثال نفسها- يقبل الملكوت، مثل الابن الأكبر في مثل الابن الضال، بل -وهنا المفارقة- الفريسي في مثل الفريسي والعشار هو خارج الملكوت رغم أنه في الملكوت لأن الملكوت ليس مكانًا جغرافيًا، بل هو قلب الإنسان وحياته الإنسانية التي ليست للفرد Individual بل للشخص Person، وبدون أن ندخل في مساجلات عن الفرق بين المصطلحين، لا سيما الفلسفة وعلوم الاجتماع والنفس، فإن أي مصطلح يجب أن يعبِّر عن حقيقة كيانية؛ لأن النطق هو خطاب Discourse وهو لا يوجَّه للذات بل للآخر صديقًا كان أو عدوًا، فردًا كان أو شخصًا. والخطاب هو بحث، والبحث هو

٢- ولد عام ١٨٧٨ وتوفي ١٩٦٦ في النمسا. كتب بالألمانية. من أصل يهودي وهو أقرب مفكر يهودي إلى المسيحية. وقيل إنه اعتنق المسيحية، ولكن هذا غير ثابت.

محاولة اقتراب قد تكون لكسر العزلة، أو تأكيد للخصوصية، أو لغيرها من المشاعر الدفينة التي لا يُدرك كنهها المتحدثون؛ لأن النفس كما قال أستاذنا السابق F.Lack أعمق من المحيط الأطلسي، وما يطفو على السطح -إذا جاز التعبير- هو أقل القليل من الحقيقة الراكدة أو النائمة في الوعي.

عندما أتى الأديب والفيلسوف ميخائيل باختين Bakhtin بتعبير Heteroglossia وهي كلمة يونانية الأصل تؤكد أن تعدد معاني كلمة واحدة في اللغة الواحدة، أكَّد على وجود طبقات من الوعي والإدراك وكثافة الخطاب لاسيما في الحوار، في الرواية، في القصة. ولذلك، الأناجيل هي قصة يسوع والآخر بالمعنى الذي أراده باختين: رواية أحداث وحوار تحمل ليس معنىً واحدًا في نصٍّ واحد، بل المعاني المتراكمة في نصٍّ واحد مثل: أخطأت يا أبتاه إلى السماء وإليك (قدامك)، (مثل الابن الضال):

* فهناك قراءة سطحية تتمثل في الاعتراف بالخطية.

* وهناك قراءة أخرى تعبِّر عن تمسك الابن الضال بالآب كأبٍّ له.

* وقراءة ثالثة بمثابة طلب غفران، لا سيما وقد أسرع الآب جاريًا نحو ابنه.

هكذا قرأ كلٌّ من متى ومرقس ولوقا ويوحنا، يسوعَ. ليس قراءة كتاب، بل تعبير عن كثافة وتعدد معاني الرسالة التي تدور كلها حول الإنسان في انكساره، وفي لهفته على معرفة الله، وفي عدم البقاء عاريًا، أي البحث -بلغة الخطاب السياسي المعاصر- عن "خارطة طريق" تجعله يحيا مع الآخر ومع البيئة.

الشيطان هو الآخر، ولكن بأي صورة؟

عندما سجَّل سفر التكوين "سقوط آدم" -بشكلٍ رمزي- في الحية والشجرة، فإن القصة يمكن أن تُقرأ بشكلٍ سطحي يساعد على الإلحاد؛ لأنه من غير المعقول أن يدور حوارٌ بين حيةٍ وإنسان، بل ونذهب إلى ما هو أبعد من

النص عن شيطان يدخل في الحية لكي نبرر القراءة السطحية، في حين أن هناك مستويات مختلفة لقراءة هذه القصة:

* الصراع بين الإنسان والزواحف، وهو صراعُ الحياة والموت.

* تحديد الموت كخطرٍ آتٍ من مصدرٍ آخر غير الذات الإنسانية.

* دور المعرفة المتعدد في الصراع بين الإنسان والزواحف، ثم الشيطان الذي صارت له «الحية القديمة» رمزًا. والاسم نفسه يحتوي على:

* الإشارة إلى ما حدث في الماضي، الذي لا يمكن فصله عن الحاضر؛ لأن الإنسان كائنٌ حيٌّ له تاريخ.

* اشتراك عناصر من البيئة، مثل الحية في مشكلة انكسار الإنسان وفشله في المشروع الإلهي أن يكون «صورة الله»؛ لأن صراعًا دار على أرض المعرفة، وعلى ذات الأرض خسر الإنسان ولا زال يخسر كل معاركه التي تدور على **أرض المعرفة وحدها**.

وعندما وَضَعَت صلاةُ الصلحِ "الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس"، وهو نصٌّ مأخوذٌ أصلًا من أقدم كتب الحكمة (يشوع بن سيراخ ٢: ٢٣ - ٢٤)، فإن القراءة المتعددة تأخذنا إلى كثافة القصة:

* البحث عن المصدر المجهول للشر الذي يدفع الإنسان إلى تصرفات غير عقلانية عبَّر عنها فرويد باسم "اللاشعور"، أو "العقل الباطن"، وعند رسول المسيح "الإنسان القديم"، الذي له مرجعية أخرى للتمييز بين الخير والشر.

* إغراء غير واعٍ بأن يكون الإنسان هو قانون أو شريعة الخير والشر لنفسه، وهذا الإغراء مازال ساريًا وسيظل كذلك حتى نهاية التاريخ: يوم تأكل تصير مثل الله عارفًا الخير والشر (تك ٣: ٥، ٢٢). فالإنسان الذي يدخل

مجاهل المعرفة بلا مرجعية، وبلا خارطة طريق يسقط في أوهام، ولذلك في خبر قديم ورد في أساطير اليهود، تقول الأسطورة إن الشيطان جاء بنكتة لكي يضحك مع آدم، ولكن آدم كان مغفلًا، فصدق النكتة وظن أنها الحقيقة، فتولد لديه حُب الاكتشاف، ولذلك تحتوي كل لغات العالم على تعبير "لازم نجرب"، و"لازم نكتشف". والفرق بين الحكمة الحقيقية التي تحسب النتائج قبل القرار، والغباوة التي تجمع النتائج بعد الخسارة أو النكبة، هو فرقٌ كبيرٌ جدًا.

* البحث عن غير المنظور، وهو هنا عقل الإنسان. وهنا ننبه إلى أن حياة القديس أنطونيوس الكبير بقلم العظيم أثناسيوس، لازالت في حاجة إلى دراسات؛ لأن الصراع مع الشياطين هو صراعٌ مع غير المنظور في مناظر عقلية، كان أنطونيوس يدرك أنها غير حقيقية، لاسيما هجمات وحوش وسباع وثعابين ... هذه رؤى عقلية من مصدر غير منظور، وكان أن تجاوز أنطونيوس الكبير كل هذا واحتفظ بإنسانيته كما هي، دون أن تصاب بالهزال أو الضعف كما ذكرت السيرة.

مَن هو الشيطان إذن؟

كل ما وصل إلينا في تراثنا المسيحي، ومن قبله اليهودي، لا يقدم لنا سببًا واحدًا للسقوط غير «الكبرياء»، وأن الإنسان أراد أن يكون «مثل الله». ولكن هذه الإجابة بلا ثمرة لأن المخلوق لابُد له أن يتشبَّه بالخالق على قدر إمكانيات خلقته، وإلَّا لماذا خُلِقَ؟ وتأله الإنسان في تألقه في الطب والفلك والعلوم والفلسفة ... إلخ ظاهرٌ لمن يدفن رأسه محاولًا أن ينكر أننا مثل الله في الإبداع الفلسفي والأدبي والنحت والموسيقى والشعر، بل أليست كل الحضارات هي محاولات خلق الإنسان لتاريخه وكيانه من جديد في كل عصر؟ قارن بين الحضارة الفرعونية، ومصر الحديثة، وعلى سبيل المثال جيش تحتمس الثالث،

وجيش مصر الآن، فقد أُعيد تكوين وخلق كل أسلحة الهجوم والدفاع، ألا يفصح ذلك عن تأله الإنسان؟

لكن إذا كانت القصة القديمة تقول إن الشيطان أراد السيطرة على الكون كله، فإن أحد ملامح هذه القصة موجودة في تجربة الرب يسوع في البرية: "أعطيك كل ممالك المسكونة ومجدهن لأنه قد دُفِعَ إليَّ وأنا أعطيه لمن يريد إن خررت وسجدت أمامي يكون لك الجميع" (راجع لو ٤: ٦).

* الذي دفع المسكونة إلى الشيطان هو آدم وليس الله؛ لأن آدم هو الذي تخلَّى عن ملكه الذي أُعطي له حسب (مز ٨)، وعن القوة الإلهية «صورة الله ومثاله».

* فلماذا لم يسترد الإنسان الملك من الشيطان؟ والجواب يكمن في الموت الذي أصاب الإنسانية كلها بالعجز وانعدام المعرفة وفقدان الشركة مع خالق الكون.

* وهنا، يسوع مع القوة القديمة، وقبل الخدمة العلنية، وقبل أن يتكلم مع الإنسان عن الإنسان (في الأمثال وغيرها)، لكي يعيد الإنسان إلى إنسانيته، يرفض الإغراء الكامن في ثلاث مصادر للقوة:
  - الطعام.
  - السيطرة على المسكونة بقوة غير منظورة.
  - سوء استخدام مواعيد الله.

لو قرأ دعاة الإلحاد تجارب يسوع في البرية من جديد لوجدوا أنها كتاب كامل يحفظ تاريخ الإنسانية كله.

عندما درست الحرب العالمية الثانية، وهي أكبر مجزرة في تاريخ البشرية، وجدت أن عدد القتلى كان حوالى ٧٠ مليون إنسان من الجنود وغيرهم. وكانت الحرب تدور حول: السيطرة على العالم، والسيطرة على الموارد الطبيعية ... إلخ

وحلَّت نظريات السيادة العرقية (الجنس الآري، الألماني) محل مواعيد الله. وحلَّ هتلر محل الكتب المقدسة. ولم يكن الحلفاء أكثر طهارة، فقد جاء ضرب وتدمير المدن الألمانية نفسها مثل درسدن بحوالي ٥٠ ألف قتيل في غارة واحدة. ونصب الروس مدفعًا في كل متر لضرب برلين. لا أكتب هذا بدافعٍ من شفقة على أحد -فليس هذا محور الحديث- بل لأن العنف انفلت تحركه قوة العقل، وكل ما هو غير منظور من نظريات وأفكار وأيديولوجيات مثل الفاشية – النازية – الشيوعية ... إلخ ما وراء الطبيعة سواء كان من انتاج البشر أو من الحية القديمة، لا فرق لأن النهاية هي الدمار.

والآن، مشاكل مثل مشكلة الطعام والمياه والهواء، هي في الطريق لأن تكون أعقد مشاكلنا المعاصرة.

فمن يقرأ قراءة سطحية يحتاج إلى جرعة ثقافية من ميخائيل باختين[٣] للبحث عما هو غائب من مستويات السرد السطحي إلى ما هو كامن في Heteroglossia لأن السرد الخالي من العمق في التعليم الديني، هو سردٌ عن الماضي وحده لا البحث عن كثافة ومستويات إدراك.

أخيرًا، ونحن نعيِّد اليوم لختان الرب يسوع في جسده، نؤكد على أن الكنيسة القبطية ليست أوطاخية تنكر إنسانية يسوع. يا ليت العيد يوحي لنا بأن بشارة الملكوت للإنسان، ومن أجل الإنسان كانت لاتزال في كلمات قانون الإيمان: "نزل من السماء ... لأجلنا نحن البشر". فقد وحَّدت هذه البشارة السماء والأرض، الله والإنسان.

وليعلم الكل أن إنكار أيهما هو بالضرورة إنكارٌ للآخر.

٣- ولد في ١٧ نوفمبر ١٨١٥ وتوفي في مارس ١٩٧٦ ومُنعت كتبه من النشر في روسيا الشيوعية.

التجسد ودعوة الإلحاد في مصر (٤)[١]

لماذا التجسد في مواجهة الإلحاد؟

الفرق الكبير بين دنيا وعالم الحروف وبحر الكلمات، والإنسان نفسه -جسدًا وروحًا- هو فرقٌ بين حبة رمل في صحراء، وجبال الهيمالايا. إن عالم الكلمات أو بحر الحروف هو من الاتساع والضخامة بحيث أن من لا يتوه فيه يعتبر معجزة. وخداع العقل بالكلام أو بالخطاب نفسه، هو أسهل أنواع الخطاب. ما من حدث أليم في حياة أي شعب إلَّا وخلَّف هذا الحدث خداع قائدٍ أو زعيم تمكن من السيطرة على عقول الناس. وعندما قال شاعر العامية المصري أحمد فؤاد نجم: "يا مسلسلين رجلين وراس"، وهي عبارة ذات دلالة، فقد أصاب كبد الحقيقة؛ لأن السلاسل ليست في الرجلين فقط، بل في داخل الرأس أيضًا. فقد ذكر شاعر الهند طاغور إنه كان كثير الحركة والنشاط، ولذلك سخَّرت أمه له خادمًا من طائفة الهندوس لكي يراقبه ويهتم به ليلًا ونهارًا، وكان الخادم على قدر ثقافته، يريد بعض الوقت لحريته الشخصية، فكان يرسم على أرضية الغرفة دائرة بالطباشير ويقول لطاغور إنه لو خرج من هذه الدائرة، فإن وحشًا سوف يأتي لكي يأكله. وكبر طاغور وقال: أدركت أن الدائرة كانت في عقلي.

إذا كانت الحقائق والمعارف تدخل العقل عن طريق الكلمات والخطاب، فإن كل الأكاذيب تدخل أيضًا بالكلمات وبالخطاب. ولذلك، القصة القديمة في سفر التكوين ص ٣ عن حوار الحية مع حواء، ثم حوار حواء مع آدم، هي حوارٌ عن الخداع، فقد كُتِبَت لتحذير كل من يسمع ويقرأ عن الكذب الذي يدخل

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ يناير ٢٠١٤.

الحياة العقلية تحت جلد أو ثوب ما يبدو معقولًا.

بسبب هذه الفوضى العقلية، ولعدم قدرة الإنسان على التمييز؛ صار الكلمة جسدًا. فقد جاء التجسد ليس بمثابة رسالةٍ لفظيةٍ، بل حقيقة تعبِّر عن نفسها باللحم والدم، لكي يصبح اللحم والدم من الثوابت التي لا يمكن النزاع أو الاختلاف عليها إلَّا بإنكار اللحم والدم، أي إنكار التجسد نفسه. وعندما سمعنا صوت الآب ينادي الابن بعد خروجه من مياه الأردن: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا". فقد غابت كلمات الآب في بحر الكلمات والحروف؛ لأننا مطالبون بأن نرى:

* الابن الحبيب
* له اسمعوا

ولذلك، نقول، وسوف نكرر دون ملل: **إن الرب يسوع هو الوحيد الذي تنطبق حياته وكلماته تطابقًا تامًا؛ لأن اللحم والدم أعطى مصداقية لكل ما قال.**

وحتى دستور الملكوت في متى (ص ٦ – ص ٧)، لو قرأه أي إنسان ذكي لوجد أيقونة يسوع بكل ملامح يسوع الشديدة الوضوح، تحدد التعليم وتقول لكل من يسمع عن الملكوت هو عني أنا لأنني أنا القريب near وأمَّا انعدام المسافة، فلأن "الملكوت قد اقترب"، وهو تعبير مركب ثلاثي:

* الملكوت، أي ملكوت الله قريب.
* الملكوت أمامك يمكن أن تراه.
* الملكوت ليس فكرة في العقل، بل ندخله بالتوبة.

وتجريد الملكوت من أن يكون فكرة، بل الواقع الذي يجب أن يدخله الإنسان بالتوبة -حسب المعنى الإنجيلي، أي تغيير الاتجاه والفكر- وليس حسب ما هو سائد في مؤلفات العصر الوسيط، الامتناع عن الخطية. لأن الامتناع عن الخطية

لا يؤهِّل الإنسان لشيء، ولا يعطي له حتى الحرية لاكتشاف الخير والمحبة.

ثوابت الإنسان حسب تعليم يسوع:

أول هذه الثوابت هي المحبة، والثاني الحرية، والثالث هو التحول أو الميلاد الجديد، والرابع هو النمو أو التطور والتجديد. لقد ابتعدت عمدًا عن الاقتباسات من العهد الجديد، لعل القارئ يحاول بجهده أن يرى أن القوى الكبرى التي تحرك الإنسانية عبر التاريخ الإنساني كله متضمَّنَة في العهد الجديد، والتي يمكن حصرها هي:

* المحبة
* الحرية
* التغيير
* النمو أو التقدم.

عندما تنعدم الحرية، تموت المحبة، فلا محبة بلا حرية. والمجتمع أو الأسرة التي تفتقد إلى المحبة أو الحرية تصبح معتقلًا أو جهنم صغيرة.

عندما يتوقف التغيير، يتوقف النمو، وينعدم التقدم، ولذلك جاء زعيم الاتحاد السوفييتي السابق جورباتشوف ليقول إن النظام كله يمر بمرحلة ترهل Stagnation فقد سقط في مستنقع البيروقراطية، حيث يسود النظام الذي يُفسِد البشر، ويستغلون الفجوات التي في المجتمع في صراعاتهم ونزواتهم وبحثهم عن القوة.

لقد جاء يسوع ليعلِّم دستور الحياة، وكلمة "وصية"، ليست مثل كلمة Commandment التي تعني "أمر"، لأن الوصايا دخلت كهف القوانين، بينما هي خاصة -بالأساس- بالتوبة Metanoia أي تغيير الاتجاه لكي يصبح الإنسان إنسانًا، ولكي يجد -كما يقول أثناسيوس العظيم- أنه ظِلٌّ يتبع اللوغوس

مثل تبعية الظل للنور (تجسد الكلمة ٣: ٣، ١١: ٣). وجاء معلم Logos النسك الحقيقي أنطونيوس الكبير ليقول لكل من يريد أن يكون إنسانًا: إن لدى الإنسان "ناموس الطبيعة والحرية" التي خُلِقَ بها (الرسالة الأولى)، وأن الإنسان له "طبعٌ ناطق" (الرسالة الثانية)؛ لأنه ظِلُّ الكلمة اللوغوس.

الثوابت في الإنسان:

إذا ذكرنا: المحبة – الحرية – التغيير – النمو، فإن هذه قوى حيوية كافية في الإنسان لا يمكن أن تنفصل عن كيانه الإنساني. تحركه دائمًا لكي يحيا ويفكر وينمو ويتقدم ... هذه كلها لها اسمٌ قديم مهجور هو "صورة الله"، وصفها القديس أثناسيوس بأنها -أي الصورة- مثل المرآة التي يرى فيها الإنسان الله نفسه (راجع الرسالة ضد الوثنيين ٢: ٢، ٣).

وعندما يفقد الإنسان هذه الرؤية، يفقد اتزانه، وهو ما نعبِّر عنه بالسقوط بالخطية؛ لأن غاية الإنسان هو الله، فإذا فقد هذه الغاية وتحول كيانه عن النظر إلى هذه الغاية إلى غايات أخرى، سقط في قبضة الموت ... والموت هو فناء الإنسان، أي أن يفقد حياته كإنسان.

وعندما قال يسوع على لسان الأب في مثل الابن الضال: "إنه كان ميتًا فعاش"، فقد أضاف: "وكان ضالًا فوجِد"، أي عاد عن ضلاله إلى الوجود الحقيقي. يظل الله هو إلهام الإنسان في بحثه عن الآخر. وهنا الآخر هو المطلق - غير المنظور- الغاية الأعظم - الكمال.

قال أرسطو قديمًا: "إن الجمال لا يحتاج إلى برهان"، و"الحرية لا تحتاج إلى مدافعٍ عنها". ولم تكن كل صراعات الإنسان عبر التاريخ سوى محاولات للحرية، ويظل أمام الإنسان الكمال – الجمال – الحرية – الصلاح – الخير – المحبة – الحرية، هذه كلها هي حركة الحياة الإلهية، وهي كلها متجسدة في يسوع.

ومرةً ثانيةً لن نقدم كلمات العهد الجديد؛ لأن القارئ مدعو لقراءة العهد الجديد بصورةٍ أخرى.

هذه بعض اللمسات من حياة يسوع: لأنه بلا خطية، لم يرجم الزانية، ولكن كماله في محبته؛ لأن العداوة أسرٌ وعبوديةٌ للذات، ولذلك عندما جاد بحياته وصُلِب، كان كمال محبته في حريته. وهنا لابُد من أن نضع أمام القارئ ذات كلمات يسوع: "لي سلطان أن أضع حياتي وسلطان أن آخذها. هذه الوصية قبلتها من أبي"، وقبل ذلك قال: "لهذا يحبني أبي" (يو ١٠: ١٨). ولا يمكن فصل المحبة عن الحرية، عن الكمال. النقص الذي فينا هو الذي يجعلنا نتشدد في معاملة الآخرين، إذا أخطأوا، وكلما زادت الشدة في المعاملة كلما ظهر أن النقص الذي فينا أكبر؛ لأننا نقاوم ما نعجز عنه أو نخاف منه، ويأتي المخطئ ليقول لنا إن الخطية كشفت ما هو خفيٌّ فيكم. ولكن عندما قال الآب: "له اسمعوا"، لم نعد نسمع يسوع، بل نسمع خطاب التهديد. وتلاحقنا كلمة العقوبة وغضب الله على الخطاة، وهو ما لم يظهر في حياة يسوع بالمرة. وعندك اللص – السامرية – بطرس الرسول، وغيرهم، بل لم يبكت زكا جامع الضرائب، ولم يرفض المرأة الكنعانية ... مشاهد تعبر علينا كما لو كانت آتية من عالم آخر، في حين أنه عالمنا نحن الباحث عن الحرية.

تجسُّد الثوابت الإنسانية:

لم يعلِّم يسوع إلَّا بحياته ... وأذكر سؤالًا سمعته من مئات من الأصدقاء: هل ترك البابا كيرلس السادس كتابات؟ والجواب: قليل جدًا ... كان يؤمن بالقدوة، وكان قد أخلى ذاته وترك صلاته الخاصة للقلاية، وصلاته العامة هي صلوات الكنيسة فقط ... وكان يقول أحيانًا: "من كثرة المواعظ قلت المواعظ"، ونسب العبارة للقمص عبد المسيح المسعودي.

لقد تجسدت الحرية في دستور الملكوت الذي عاش به يسوع ونقله بالقدوة والمثال .. فبالنسبة للفقراء .. لم يكن له أين يسند رأسه .. ولصانعي السلام،

كان هو السلام ... والبحث عن أمثلة أخرى متروك للقارئ حتى لا نحرمه لذة الاكتشاف.

وتجسد الثوابت يعني في النهاية أن الله دخل حياة الإنسان، ليس فقط لكي يعيش كإنسان بيننا، بل لكي يكون الإله المتجسد، وهو كإله لم يرعب أحدًا ولم يهدد أحدًا ... أخبر عن نهاية أورشليم وسقوط كل ما أُصيب بالترهل، وحدث ذلك فعلًا في عام ٧٠ ميلادية عندما دمر القائد الروماني تيطس الهيكل نفسه.

كان حرًا، فلم يعِش حسب الشريعة الموسوية، وكان يكسر وصية السبت كما فهمها اليهود ورفض رجم الزانية، وقال عبارةً لابُد أن تُحفَر على جدران كل كنيسة: "السبت جُعِلَ للإنسان"، فلم يُخلق الإنسان لكي يحفظ السبت ... وله مساجلات ثابتة مع الذين كانوا وكلاء موسى.

الله والثوابت الإنسانية:

نحن لا نعرف الله، ولا علاقة لنا بالله، بل نحن نعرف الآب، أبو ربنا يسوع المسيح ... كل صور الألوهة تطهَّرت بتجسد ابن الله، وكل إعلانات الألوهة السابقة على يسوع المسيح يجب أن تمر بمصفاة العهد الجديد، والعهد الجديد لس كتابًا، بل هو شهادة حياة. وعندما تحول العهد الجديد إلى كتاب وصار الناس يتبارون في شرحه، فقد مكانته، وتحول إلى قراءات مختلفة وتفاسير أحيانًا متضاربة، ودخل كأي كتاب إلى أنفاق الشك، في حين أن كتاب الحياة يجب أن يقرأ بشكل آخر:

أولا: هو شهادة لحياة الله المتجسدة في إنسان اسمه يسوع المسيح، وكل ما ذكره يسوع ابتداءً من بشارة الملكوت حتى صعوده هو الإنسان ومع الإنسان وفي الإنسان، ولكن مع الإنسان وفي الإنسان جاء الله. تلك صدمة قاسية للعقل الذي لا يريد إلَّا فكرةً يحشرها في عقله لكي يفعل بها ما يريد، ولكن عندما

يصبح يسوع الإله المتجسد هو السجين والمريض والغريب والجائع، فقد نقل التجسدُ اللهَ إلى الآخر الذي نراه، ولذلك قال يوحنا الإنجيلي: "إن كنت لا تحب أخاك الذي تراه فكيف تحب الله الذي لا تراه".

ما نقرأه قد يقدمه لوقا بشكلٍ مختلف عن متى أو مرقس أو يوحنا، وقد سكبت على الصفحات كميات كبيرة من الحبر عن "اتفاق الأناجيل الأربعة"، ولا يزال هذا الموضوع على برامج الدراسة في معاهد اللاهوت في العالم. ولكن قراءة الكلمة بدون حياة، تجعل الكلمة أهم من الموضوع، وتجعل النص مفتاح الحقيقة، في حين أن البشارة المفرحة -وهذا هو معنى كلمة إنجيل في اليونانية والقبطية- هي استعلان ما هو جديد، والاستعلان هنا هو في شخص، لا في خبر يُكتَب، وما كُتِبَ هو شهادات، ولو اتفق الشهود، فإن الاتفاق يحول الشهادة إلى شهاداتِ زورٍ.

يجب أن تختلف البشائر الأربع؛ لأن الاختلاف الحقيقي هو ما يجيء على مستوى الحياة، لا اللفظ. الاختلاف اللفظي واختلاف الكلمات لم يغيِّر شيئًا من الحقيقة، وهي العلاقة الجديدة الثابتة مع إله متجسد يتكلم ويشهد له الذين سمعوه عن الجديد. وهو نفسه قد يغيِّر كلماته، وهي ليست مشكلة ترجمة من الآرامية إلى اليونانية، ولا هي مشكلة أصلًا، وإنما نحن هنا أمام طريقين:

- موسى
- يسوع

الأول: هو وساطة الشريعة وحكم النص ثابت.

والثاني: هو عطاء الحياة، وعطاء الحياة هو للحرية – المحبة – النمو – التقدم.

وعندما قال بولس تلميذ يسوع: "الحرف يقتل"، فماذا يقتل؟

يقتل التقدم – النمو – الحرية – المحبة، وهذا حديثٌ آخر.

ثانيًا: وشهادات الحياة تعني أن يكون لنا ثوابت الحياة نفسها، أي ثوابت الإنسانية التي سبق وأن ذكرناها. فكيف نقرأ على سبيل المثال اختلاف الأناجيل عن عنوان يسوع المصلوب الذي عُلِّقَ على عود الصليب؟

والجواب هو ماذا نريد من المصلوب:

* ملك اليهود
* يسوع الناصري
* يسوع المسيح

فالحياة لا تقف عند كلمة أو عبارة، بل السؤال الحاسم هو ماذا تريد من الحياة؟ ماذا تحب أن تكون؟ وهنا لابُد أن تكون القراءة مختلفة، بل لابُد أن تكون القراءات مختلفة. لقد درست الأناجيل باللغة الآرامية (السريانية)، وكانت القراءات أحيانًا مختلفة عن اليونانية؛ لأن الكلمات الآرامية جاءت من البيئة الآرامية، ولكن مع ذلك، التقدم على طريق الحرية والمحبة كان بيسوع المسيح نفسه كشخصٍ وحَّد الله والإنسان في كيانه.

وعندما يوحِّد يسوع الله والإنسان، فإننا كما قال أسد كبادوكية -غريغوريوس النزينزي- نحتاج إلى لغةٍ جديدةٍ، وهو ما وعد به الرب يسوع نفسه: "يتكلمون بألسنةٍ جديدة" (مر ١٦: ١٧)، ولم تكن كلمة الرب هنا عن موهبة التكلم بألسنة فقط، بل عن الألسنة التي نطقت باللاهوت في ٣٢٥ – ٣٨١ – ٤٣١ أي في المجامع المسكونية ... لسانٌ نطق بالحياة، وهو مجموع ألسنة، ومع ذلك فهو لسانٌ واحد؛ لأن بشارة الحياة (الإنجيل) في ٣٢٥ كان هو الله المساوي للآب، وفي ٣٨١ عن الروح المعزِّي (الذي يعاني اليوم من عذابٍ دائمٍ في الكنيسة)، وعن الاتحاد الأقنومي الذي يحتاج إلى قوة حياة فينا من روح يسوع لكي نفهم أن "الحياة أُظهِرَت" (١ يو ١: ١ - ٣)، وأن "كلمة الحياة" هي بشارة وليست نصًا. ولذلك، ما نما في المجامع هو نمو الحياة، وهو نورٌ يجعلنا نقرأ العهد الجديد

بنور الحياة حتى لا نعود إلى ظلمة الدهر التي حاولت إخضاع البشارة إلى الفلسفة اليونانية في الأريوسية، وكراهية الجسد في المانوية والغنوسية، وإلى انفصال الله عن الإنسان في النسطورية ... وها هي ذي قواعد مدارس تفسير العهد الجديد لا تزل موجودة ولا زلنا نسمعها، بل لازال أوطاخي يصول ويجول في عظاتٍ ومقالات تنكر علانيةً تجسد الابن.

الإلحاد، أشرُّ من الخرافات (١)[١]

"مساء الخير يا دكتور جورج .. نعمة ربنا تكون مع حضرتك .. يا دكتور أنا متابع السجال اللي داير الأيام دي بين حضرتك والمرنم ماهر فايز .. وكنت عايز أعرف .. هل حضرتك عارف أن في يوم من الأيام الناس هتبطل تسمع ماهر فايز وهتبطل تسمع غيره لأن الإلحاد أبتدى ينتشر في مصر ووسط الأقباط؟؟ ليه حضرتك مش بتكتب حاجة ضد الإلحاد؟ تكتب عن نظرية التطور ورأي حضرتك فيها؟ ليه مش بتكتب عن اللاهوت الليبرالي اللي أبتدى ينتشر في مصر؟ دلوقتي فيه بولتمانيين مصريين وابتدا يكون ليهم تأثير؟ إيه؟ حضرتك مش شايف كل ده وبتتكلم بس عن ماهر فايز؟

شكرا .."

تلك هي الرسالة التي وصلتني مؤخرًا من الأخ مايكل.

صديقنا مايكل يعاتبني على ما أعتبره هو "سجالًا" بيني وبين الأخ ماهر فايز، وقال إن خدمة التسبيح أفضل من تيارات الإلحاد واللاهوت البولتماني، إشارةً إلى المؤلف والأستاذ اللوثري النشأة (١٨٨٤-١٩٧٨) Rudolf. Karl Bultmann صاحب التفسير الوجودي الذي أعاد تفسير العهد الجديد على أساس ما هو تاريخي وفلسفي، وما هو ميثولوجي Mythical وننتهز هذه الفرصة لننبه إلى أنه من الخطأ ترجمة كلمة Myth إلى خرافة؛ لأن الخرافة لها معنى آخر في العربية، وهو الخيال والوهم، بينما كلمة Myth تعني الأسطورة التي تشرح الكثير من الأمور الطبيعية، بل وما وراء الطبيعة بشكل يتفق مع

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ أغسطس ٢٠١٤.

العلوم السائدة في ذلك الزمان.

أولا: لا يوجد "سجال" بيني وبين أحد، سوى أنني أقاوم ما يحدث من هدم لأُم الشهداء بوسائل قد تبدو بريئة، في حين أنها وسائل تؤدي إلى اغتراب الأقباط في الكنيسة، وبالتالي جمع هؤلاء المغتربين في تجمعات لها شكل التقوى، ولكنها -كما ذكرت- تفتقر إلى الأساس المسيحي اللاهوتي الصحيح التاريخي الثابت عبر العصور.

إن خلق هذه التجمعات لا يخدم قضية المسيحية المصرية، بل يحول الأقلية المسيحية إلى تجمع أقليات لا يربط بينها أي رباط تاريخي.

ويبدو أن الأخ مايكل لم يقرأ مقالات ظاهرة الإلحاد في مصر التي نُشرت على الموقع، ولكنني أريد أن أعود إلى هذا الموضوع بعد أن وصلتني رسائل عديدة تطالب بنشر كل ما يمكن نشره عن الإلحاد الأوروبي والمصري أيضًا.

الإلحاد، يا ليته عدم الإيمان بشيء:

لو كان الإلحاد هو عدم الإيمان بأية عقيدة أو فكرة أو مبدأ مهما كان، أو كانت، فهذا في حد ذاته يمكن أن يكون بداية جديدة، ولكن الإلحاد يخلق بدائل للإيمان بالله. فما هي هذه البدائل وما هو خطرها على الشخص الذي يدَّعي الإلحاد؟

لقد ظهرت هذه البدائل في حياة الحكومات والشعوب التي تدَّعي الاشتراكية أو الشيوعية أو ..... الخ. صار الزعيم هو البديل. حلَّ محل الله أو المسيح أو الكنيسة. وظهرت أيقونات أرثوذكسية لكل من: ستالين – لينين – وغيرهما من زعماء الحزب. وعبادة الزعيم في كوريا الشمالية موثقة بالصورة والتسجيلات، وهي عبادة تجعل عقوبة مخالفة الزعيم = الارتداد = القتل، أي أنها لا تختلف عن الاتهام بالكفر.

هذا سهلٌ وموثق في التاريخ الذي رأينا "ذيله" أو "ذنبه" في ما عشناه. ولكن ما هي البدائل الأخرى؟

الفرد، وليس الشخص هو مقياس ومرجعية الحقائق:

الفرد Individual هو الكائن المنغلق الذي يدور حوله كل شيء، فهو مركز الكون كله، والآخر أو الكل يجب أن يدوروا حوله، وهي صورة مُعدلة من النرجسية Narcissism وتعديل أو تحسين هذه الصورة راجع إلى الاحتياجات الضرورية التي يجب أن ينالها الفرد من الذين حوله. الضرورة Necessity هي التي تخلق ما يريده الفرد من المجتمع، وهي مصدر النفاق – الكذب – القهر – الاستبداد؛ لأن الفرد لا يريد إلَّا ذاته وحدها على حساب الآخرين.

أنا أحمل في قلبي كل احترام لمن يصارع، ولكنني في نفس الوقت، أدعو من اكتفى بالانغلاق إلى إعادة قراءة مقال نُشر في الدستور الأصلي في ٢٩ يوليو ٢٠١٤ بعنوان "في بيتنا ملحد"، وقد كُتب المقال بشكل عام دون الدخول في تفاصيل حتى يتجنب الكاتب جهنم الحمراء التي قد تشن عليه حربًا شعواء في الفضائيات.

بكل وضوح تكلم المقال عن انعدام الحوار. وبكل وضوح أيضًا كتب الأستاذ حمدي رزق مقالًا في المصري اليوم ٨ أغسطس ٢٠١٤ بعنوان بنطلون الأنبا بيشوي. وقبل ذلك خاض الأستاذ إبراهيم عيسى حوارًا ساخنًا عن "عذاب القبر"، وقبله عن بول البعير، وانضم الأستاذ عاطف بشاي إلى رَكْبِ الإعلام بمقال "الأنبا بيشوي – الأسقف الوهابي"، ثم جاء دور إمام ميدان التحرير (الشيخ ميزو) عن عذاب القبر، مع هجوم عنيف على صحيح البخاري.

إذا تجاوزنا هذا كله رغم ما فيه من إنذارات واضحة، وحاولنا أن نقترب لا من الموضوعات التي كُتبت رغم أهميتها، بل من جوهرها كظاهرة في حياة مجتمع

متدين منذ فجر الحضارة الإنسانية وهو مصر، نجد أن هناك سؤالٌ هام يطرح نفسه بشدة: ما هي الأسباب الجوهرية لارتفاع نبرة الحوار "غير المعقول" و"الفتاوى القهرية"؟

أولًا: فقدان دور الإيمان بالله في بناء الشخصية:

أي فقدان تحول الفرد إلى شخص Person والشخص هو الانسان الحر المنفتح بحرية ومحبة وعطاء على الآخرين. ولذلك، كل ما يقال عن الله يجب مراجعته؛ لأن الله يظهر بشكل طاغية يلغي حرية الشخص، يرصد الأخطاء ولا يُلهم بالتقدم والنمو والتراجع عن الأخطاء من أجل التقدم والنمو العقلي والنفسي.

ثانيًا: منهج الكسل العقلي:

ذلك المنهج الذي شاع من قبل في اجتماعات الجمعة، ثم الأربعاء. "خُذ الأمور ببساطة"، وهي تعني "خليك عبيط". ومع أن لدينا قديسين تظاهروا "بالعبط" في زماننا وفي التاريخ، إلَّا أن هؤلاء كانت لهم بصيرة نافذة روحية، ولم يكونوا مرضى بكسل العقل مثل القمص ابراهيم؛ بني صامت - أو القمص عبد المسيح المقاري وغيرهما.

ومع قبولي للطرح العام لمقالة الدستور الأصلي، فهي جيدة جدًا، إلَّا أنها لم تدخل في التفاصيل حرصًا على المشاعر وتجنبًا للصدام مع التيارات الدينية التي تلهث وراء السلطة المدنية وتختفي خلف الدين والعقيدة.

ثالثًا: الخطاب الترهيبي لدرجة التنفير أو الترغيب الطفولي:

وهو السبب السابع. لم تذكر المقالة أي تفاصيل، ولكن الترهيب قائم على اختيارين: الله، أو جهنم الحمراء.

واعتقد من خلال المعايشة طوال ٣٥ عامًا في مصر أنه لا يوجد فرق جوهري بين أي مسيحي ومسلم مصري في حصار الاختيار بين اختيارين: الله أو جهنم .. لا زال موقفنا من الشك سلبيًا. حاولت أثناء وجودي في القاهرة، أن ألتقي بأعظم مثقفي مصر للحوار عن معالجة الشك في المجتمع، ولكنهم -بعد حوارات طويلة- أحجموا عن النشر، فهم في غنى عن معارك اعتبروها كلهم خاسرة؛ لأن مستوى الحوار الذي يقوده الإعلام هو مستوى لا يليق بالحوار الرصين؛ لأن كل معالجة لأي قضية دينية، يوجد تحت جلدها هدف سياسي. وهنا لا أملك أن أشير إلى صاحب هذه العبارة، فقد رحل عن هذه الدنيا، وهو لا يملك أن يراجع عبارته بالنفي أو التصديق.

لكن هل لدينا في الخطاب الديني اختيارين فقط: الله أو جهنم، أي الإيمان بالله من أجل الهروب من "عذاب النار"، أم أن هناك اختيار ثالث، وهو الانسان نفسه؟

عندما درست القرآن في جامعة كامبريدج من أستاذنا العظيم أرثر Arberry كانت له وجهة نظر، وهي أن القرآن احتوى على دعوة كونية "للناس"، ودعوة عامة "للمؤمنين"، ودعوة خاصة "للمسلمين"، وأن الدعوة الكونية هي دعوة إنسانية من "رب الناس إله الناس". وإذا صح هذا المنهج، فإن اختيار الحياة الإنسانية، هو كيف يكون الإنسان إنسانًا، وكيف يساهم الإيمان في "أنسنة" الإنسان. تلك هي قضية كونية الآن في ثقافة عالمية يوشك قطارها أن يتركنا على محطات السلفية والأصولية ومحطات فتاوى الإكليروس وما أكثرها .. فقد جعلت هذه الفتاوى البشر بلا رؤوس، ولك أن تتصور أجسادًا تسير بلا رؤوس؛ لأن الفتاوى قطعت العقل وحطمته بشرائع تهدف إلى تكوين عبيد.

رابعًا: كيف نكون عبيدًا؟

العبودية الكامنة في العقل والقلب هي أن يصبح الانسان آلة يحركها آخر بفكرة أو ممارسة أو طقس يُمارَس باسم سلطة عليا إلهية تهدد مَن يفكر "بعذاب السعير"، أو "عذاب النار". أتمنى أن يقوم المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بدراسة عن فكرة جهنم النار في تراثنا المصري ودورها السلبي والإيجابي أيضًا في تكوين الوعي الديني المصري، الذي اعتقد جازمًا في ضوء ما جاء في دراسة د. ميلاد حنا "الأعمدة السبعة للشخصية المصرية" أن جهنم صارت البديل لله الخالق، وكأن الله قد تحول إلى هذه النار المدمرة. وكأنه قد خلق بشرًا لكي يكونوا وقودًا للنار. أليس هذا الخوف المطلق هو أحد أركان الإرهاب المسلح الذي يختفي وراء الإسلام من أجل الوصول للسلطة؟ وإلَّا كيف نفهم داعش وغيرها والاعتداء على رجال الشرطة والقوات المسلحة باسم الدين.

الإلحاد أشر من الخرافات (٢)[١]

الإلحاد في العالم القديم حسب ما ذكره الفيلسوف الأبيقوري Philodemus (١١٠ قبل الميلاد) كان أصلًا تصدٍّ للأساطير. وحدد ثلاثة أسباب:

١- إنكار وجود الآلهة؛ لأنها خرجت من أساطير قديمة أصلها قصص من اختراع الإنسان.

٢- عدم الاكتراث سواء وُجدت الآلهة أو لم توجد.

٣- إن الآلهة لها ذات رذائل الإنسان ولا نفع منها بالمرة.

لكن الهجوم على آلهة الأساطير بشكلٍ سافِر بدأ قبل ذلك في مؤلَّفٍ فُقِدَ ليوناني آخر هو Protagoras (٤٢٠ قبل الميلاد)، وله عبارة مشهورة ضمن الشذرات التي جمعها معًا كل من Diels – Kranz وهي الشذرة B4 حيث يقول: "بخصوص الآلهة، أنا لست قادرًا على اكتشاف هل لهم وجود أم لا؟ أو ما هو شكل هؤلاء الآلهة؟ توجد معوقات وغموض وندرة معرفة". وعلى هذا الأساس يعتبر Protagoras ليس ملحدًا، بل لا أدريًا Agnostic وهو تصنيف الأديب الكبير شيشرون Cicero وعلى ذلك يكون اتهام الفيلسوف الأبيقوري بالإلحاد، هو هنا تحديدًا، إنكار وجود الآلهة.

كانت الأساطير هي أدوات لتنظيم العلاقات الإنسانية – ضبط مواعيد الزراعة – تحديد شكل واستخدام السلطات – الزواج والعلاقات الانسانية – الجنازات والدفن ومكانة الأموات. وقد ذكر العظيم في بطاركة الإسكندرية أثناسيوس أن مرثاة أوزوريس كانت لا تزال تُنشد في أيامه (الرسالة إلى الوثنيين:

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ سبتمبر ٢٠١٤.

ف ٩ – راجع أيضًا دفاع ترتليان ١٧ - ٢٣).

فلم يكن لدى الإنسان العلوم التجريبية التي بدأت في الظهور مبكرًا في أوروبا بالذات، حيث احتكم المفكرون إلى العقل الذي نما وتطور بعد حقبة طويلة من سيطرة الفلسفة على الكثير من مناحي الحياة. وكانت الانهيارات المتتابعة التي تحدث عقب الحروب، والمجاعات وغزوات الشعوب الأوروبية غير المتحضرة الوافدة مما يُعرف الآن باسم ألمانيا ودول اسكندافيا التي لم تكن تعرف التراث الإنساني الذي دُوِّن بلغةٍ غريبةٍ عليهم (اللاتينية)، هي قوى التدمير التي امتدت إلى مكتبات العواصم الكبرى، وأدت إلى فقدان الكثير من التراث. ولعلنا وقد أشرنا إلى مرثاة أوزوريس، فإن النص لم يصلنا.

الحضارات القديمة:

نشأت الحضارات المصرية والبابلية والأشورية والفارسية واليونانية والرومانية في أحضان ما صرنا نصفه بالوثنية، ولكن الأساطير كانت منابع إلهام للموسيقى والشعر، والمسرح بالذات ظهر أولًا في المعابد عندما كانت أساطير الآلهة تُنشد، وبجانب المسرح نشأ النحت والرقص ... كانت هذه أدوات التعبير عن النفس، وخلق الصور العقلية التي تحفظ إبداعات الفكر؛ لأن أعظم ما جاءت به كل اللغات الإنسانية هو الاستعارات والقدرات اللفظية على تشبيه شيء مثل الأنهار أو جمال الوجه أو حتى شجاعة المقاتلين. وعندما تجد الاستعارات مكانًا لها في وصف شيء، ثم يصبح الوصف عدة نقوش على جدار معبد مثل ما نراه حتى اليوم في وادي الملوك والملكات في الأقصر، فإن انتقال الفكرة المجردة إلى ما هو محسوس سواء في نقش أو استعارة أو تشبيه، فإن الحياة الإنسانية نفسها تخرج من العزلة، وتجد في وسائل التعبير السابقة رئةً تتنفس بها في وسط الصراعات الاجتماعية التي عرفتها كل المجتمعات ولا تزال تعرفها.

حتمًا دخلت الرذائل مع الثقافة وأدوات التعبير، وحتمًا كان ظهور الموبقات

حتى في العبادة نفسها مثل فترات وأزمنة الخصوبة في العبادة الكنعانية، عندما كانت النساء والرجال يخصصون فترات معينة في السنة الزراعية للزنى، على أن تُدفع أجرة الزنى للمعابد، وعرفت اليونان وفارس نفس الممارسة. لا يوجد لدينا حتى الآن إشارة إلى زنى المعابد في مصر الفرعونية.

لكن كل الحضارات حتى الآن لا تعرف ولا تملك وسيلة لضبط الأهواء والنزوات سوى القوة الرادعة للقانون، وعندما تتحول هذه القوة الرادعة العقابية من المنظومة المدنية القانونية أي قوانين العقوبات إلى العقيدة الدينية، ويصبح الإيمان خادمًا للقانون ويمتزج به، يفقد الإيمان دوره الرائد الملهم بالتحرر من الأهواء.

وامتزج شر الإنسان بأساطير الآلهة التي كانت كلها تعبر عن فضائل ورذائل الإنسان، ولم تفصل الأساطير إلَّا في القليل النادر عن مصير طريق الرذيلة. وكان هذا المزيج هو أضعف مكان في الأساطير؛ لأن الإنسان آمن بأن الشر متأصلٌ فيه، ولأنه حتى الآلهة تزني وتقتل وتخدع وتحارب وتخطف بجانب أعمالها الحسنة الأخرى التي قسمت الآلهة إلى آلهة خير وآلهة حروب وشر. ولعل أشهرها هو الإله "مارس"، وفي شمال أوروبا الإله "ثور"، وهو ليس اسم الحيوان الثور في العربية.

الإله الواحد:

الاسم الذي ساد في المؤلفات الأوروبية بعد أن وصلت حركات الاستعمار الأوروبي في نهاية القرن التاسع عشر إلى أقصى مكان في الأرض، هو "الديانات السماوية"، وهي حسب الترتيب التاريخي: اليهودية - المسيحية - الإسلام. في آخر القرن العشرين يسود اسمٌ آخر هو "الديانات الإبراهيمية"، أو الإيمان الإبراهيمي إشارة إلى أب الآباء ابراهيم. على أن المضمون كان دائمًا أهم من الأسماء ومن الشعارات. والمضمون هو القصد والغاية التي يسعى إليها الإيمان

بالإله الذي جاء برسالة من السماء، أي رسائل الأنبياء.

لدينا في عالمنا العربي حساسية زائدة لثلاثة قضايا كبرى:

الأولى: هي اعتبار رسالة كل دين نقية خالصة لا دخل للإنسان فيها. وأي محاولة لتحليل حتى الجانب اللغوي وربط ما وصلنا من كتابات بما ساد مجتمع الأنبياء من أفكار ومنظومات وأدبيات الشعوب المجاورة، هي محاولة مرفوضة. تقابَل هذه الدراسات بغضب وبتجريم وتحريم، ولعل قصة كتاب فقه اللغة العربية لأستاذنا الراحل د. لويس عوض هي واحدة من عدة أمثلة أخرى سبقها الشعر الجاهلي د. طه حسين، والقصص الفني في القرآن د. محمد أحمد خلف الله. وعلى الجانب المسيحي منع د. مراد كامل من تدريس مقدمة التوراة، وأظن أن الدراسة لم تُنشر، ونال الأب أنطونيوس نجيب عدة اتهامات لمقالات عن العهد القديم نُشرت في مجلة صديقي الكاهن.

الثانية: إنكار كل دور أو مساهمة إنسانية حتى تفاوت مستوى اللغة بين عامية عاموس جامع الجميز، وفصاحة أشعياء. وبين أسلوب بولس المتميز، وعامية متى، وسيادة التركيب الآرامي على إنجيل يوحنا الذي فَرَضَ طابعًا يونانيًا – آراميًا فريدًا .. الإنسان الذي ضُرِبَ بقساوة بالجهل والكذب والشك يريد نصًا سماويًا من الله نفسه، مع أن الله عندما يخاطب البشر، لابُد وأن يستخدم لغة بشرية؛ لأن أي لغة إلهية -إن وُجِدَت- فهي مستحيلة على الإنسان؛ لأنها ليست لغة تخاطُب، ولا هي لغة مدوَّنة، وإذا دُوِّنت بحروف، فالحرف هو من اختراع الإنسان، وهو أول أداة التطور الحضاري والثقافي والمعرفي الذي به شقت الإنسانية طريقها إلى التقدم.

الثالثة: مقاومة أي مساحة مشتركة بين الله والإنسان. وهي مقاومة غريبة؛ لأن الإنسان يريد أن يسجن الله في السماء وحدها خوفًا من عودة الوثنية، ويريد أن يقترب من الله حبًا وطلبًا للنصرة على صعوبات أكبر من قدراته. ومن

هنا اختلطت العبادة بالسحر في كل بقاع العالم، حتى تحت غطاء الديانات السماوية. وقد عَرفتُ من الراحل العظيم الأنبا مكسيموس قصة كتاب «دلال المزامير» الذي وضع في أحد مجلدات رسائل صفرونيوس، ونشره بعدها المعهد الفرنسي للآثار في مصر. والثابت هو أن هذه الممارسة تعود إلى يهودية العصر الوسيط، وعنها نقل قبطي ذات المنظومة. أظن أن المتنيح الأنبا مكسيموس أشعل النار في المخطوطة. ولكنني وجدت في سياحتي لكنائس الصعيد عدة نسخ منه عند بعض الكهنة والمرتلين. وجاء نشر الكتاب قبطيًا وعربيًا وفرنسيًا بواسطة معهد الآثار الفرنسي مؤكِّدًا انتشار الكتاب. وفي الجانب الإسلامي يوجد المثيل، ولا داعٍ لإحراج أحد. لكن جوهر هذه المشكلة هو استخدام ما هو مقدس في الحصول على غايات وأهداف لا علاقة لها بالإيمان بالله .. ومحاولات إخضاع الله إلى رغبات وأهواء الإنسان لن تتوقف، طالما أن الإنسان يجوز صراعات نفسية واجتماعية وسياسية وعسكرية.

لا أستطيع أن أنسى مأساة د. صادق جلال العظم المدرس السابق بالجامعة الأمريكية ببيروت عن كتاب لم يكن فيه أي دعوة إلحادية، وهو "نقد الفكر الديني"، عندما حاول المؤلف رد مشاكل الإنسان إلى الإنسان نفسه، إلى سوء الإدارة، وإلى سيطرة أفكار شبه إيمانية على الإيمان نفسه.

وفُصِلَ الأستاذ، ومُنِعَ الكتاب من التداول في لبنان رغم وجود كل المؤلفات التي تدعو إلى الإلحاد التي تُرجمت من الفرنسية أو الإنجليزية.

والحرج يمنعني من عرض مجلدات: الدكتور الجابري ومعه محمد أركون، وعبد الله العروي، هؤلاء لم يدعون إلى الإلحاد مطلقًا، وإنما اقتربوا من المشكلات التي نعرضها في إيجاز لما قد يشنَّه البعض علينا من حروب تهدم ولا تبني، تزرع الكراهية والبغضة، ولا تحرر الإنسان من أوهام الماضي، ولا تجعل من الإيمان بالله طاقة عمل وبناء.

ذكرنا في البداية رفض أساطير الآلهة في باكورة المدارس الفلسفية الأبيقورية، ولم يكن لدى أفلاطون وأرسطو أي اهتمام بالتدين الشعبي، وقصص الآلهة لم تدخل في أي منظومة فلسفية. كانت ملاحم هوميروس Homer بكل صورها الإنسانية هي مصدر نقد عنيف عند اكسينوفانوس Xenophanes وحتى في حوار سقراط - كما كتبه أفلاطون، يقول في الفقرة ١٨ في دفاعه عن سقراط: "هذا الرجل الحكيم سقراط لديه نظريات عن السماء، وهو يحلل كل ما هو كائن على الأرض. هو قادر على أن يجعل أضعف برهان يغلب أقوى برهان .. لأن كل مَن يسمعه وهو يحاول أن يبحث يظن أنه (أي سقراط) ملحد".

اتهام المسيحيين في بداية العصر المسيحي بالإلحاد:

من كتابات المدافعين عن المسيحية: يوستينوس الشهيد - ترتليان، نعرف أن أحد الاتهامات الموجَّهة للمسيحيين كانت تهمة الإلحاد (الحوار مع تريفو ٨٠: ٣). بل يقول ترتليان إن عدم عبادة الآلهة الوثنية، كان سبب الاتهام بالإلحاد. والعظيم في فلاسفة المسيحية، العلَّامة أوريجينوس يقول ردًا على هذا الاتهام إن الوثنية هي (إلحاد وتعدد آلهة معًا)، بل هي أيضًا تعدد للإلحاد (الحث على الاستشهاد ٥: ٣٢ - ضد كلسوس ١: ١ - ٧٣٣). لكن أكليمنضس السكندري يعُتبر هو أول من قال إن الإلحاد الحقيقي هو عدم الإيمان بالله وبالعناية الإلهية (المتنوعات ٥: ١٠٦٠١ - ١٥: ٣٠١٢٢) ومن اللغة اليونانية جاء التعبير atheos- وحرف a هو للنفي α-Θέος.

الإيمان بالله ليس لسد فجوة، بل لاكتشاف الوجود الإنساني:

إذا كانت الوثائق القديمة قد سخرت من العبادة الوثنية، وتحجُّر الوثنية هو ما يذكره مزمور ١٣٥: إن أصنام الأمم لا تسمع ولا تتكلم، وليس فيها حياة، هي من صنع أيدي الناس. ولا يقف المزمور عند ذلك، بل يضيف: "مثلها

يكون صانعوها وكل من يتكل عليها" (مز ١٣٥: ١٨). فالإنسان هو ما يعبُد، وعندما يتحول الإنسان إلى صنم لا يحس ولا يشعر، يتحجر الإيمان نفسه. والإنسان هو ما يعبُد لأن جذر هذه الحقيقة هو خلق الإنسان على صورة الله الحقيقي ومثاله (تك ١: ٢٦ - ٢٧)، أي أن الإنسان دائم التطلع إلى "مرجعية" كيانية. فإذا كانت هذه المرجعية في ذات مستوى الإنسان، انحط الإنسان، أمَّا إذا كانت أعظم وأكمل منه، اندفع الإنسان إلى ما هو أعظم. كلما توقفت الحياة الإنسانية كلها عند صورة واحدة، ونمط واحد، كلما أصابها العطب. هذه هي خطورة الوثنية، عندما يصبح الإيمان صيغة لفظية لا تشجع الإنسان على الاكتشاف.

قرأت مرة حوارًا بين اثنين. قال الأول: يعني أيه الله واحد في ثلاثة؟ وجاء الرد: ويعني أيه إن الله واحد؟ وجاء رد صاحب السؤال الأول: يعني مفيش غيره. ورد الآخر: يعني لازم نعرف غيره علشان تعرف أنه موش الله. يعني عندك اثنين: الله ومَن هو ليس الله. يبقى ده كلام واحد (لاحظ أن كلام واحد تعني الكلام الحقيقي، وتعني أيضًا الشخص الواحد)، وأيضًا: هل هذا كلام يحدد لنا الواحد؟

انتهى الحوار؛ لأنه حوار حول الصيغ والعبارات. والله يسبق كل عبارة ويعلو على كل لفظ.

عندما تظهر مشكلةٌ ما ونقول عنها إنها إرادة الله، دون أن نبحث في أسبابها الحقيقية، صار الله هو إله سد الفراغات العقلية، عندما يعجز العقل، أو يصاب بالكسل عن بحث مشكلة معينة.

الإنسان دائمًا ما يميل إلى آخر. والآخر الأقرب هو الإنسان الآخر، ولكن الإنسان الآخر لديه نفس الاحتياج، وإذا كان البحث عن الآخر المطلق غير المقيد بما نعرفه من قيود خاصة بالإنسان مثل الزمان، والشكل، والحركة، وصفات

الجسد إلى آخر ذلك من قيود، ارتفع فكر الإنسان إلى ما هو فوق المحدود إلى غير المحدود. وإلى اكتشاف أن الوجود الإنساني هو وجودٌ لا يكتمل ولا يتطور ولا ينمو إذا ظل محصورًا في الوحدة الكيانية للإنسان، أي الجسد والروح، بل يتطور كلما بحث عن المطلق، وعن غير المحدود؛ لأنه لم يقف -مثلًا- عند حدود حركة الانتقال بالدواب، بل اكتشف السيارة ثم الطائرة. ولم يقف عند رسائل تُكتب باليد وتنقل عبر البحار في أسابيع، بل جاءت الاكتشافات الحديثة لتنقل البريد إلكترونيًا حول الكرة الأرضية في زمن قليل جدًا يتوقف على نوع وسرعة شبكة المعلومات ووجودها.

لقد تأخرنا كثيرًا في الخطاب الديني في اعتبار أن الإيمان اكتشافٌ، وحوصر الإيمان في صيَغٍ أضاف إليها الفلكلور الشعبي الكثير من الخرافات، ولذلك جاء رد فعل أجيال عاشت حراك شعب مصر وإسراعه نحو الجديد، لكي تحارب القديم.

فهل انتبهت الكنيسة إلى توجيه السيد رئيس الجمهورية "بتحديث الخطاب الديني"؟ أرجو ذلك؛ لأن العاصفة الفكرية القادمة هي أكبر بكثير من الخطاب الكنسي المعاصر.

الإلحاد أشر من الخرافات (٣)[1]

الصلب والمصلوب ودعوة الإلحاد في مصر:

لا يمر أسبوعٌ دون أن أتقابل مع شخصٍ أو أكثر من الذين يقولون إنهم ملحدون. حتى في رحلة إلى شمال الولايات المتحدة، إلى أقصى مكان فيها، وهو "ألاسكا"، تقابلت مع أسرة من استراليا، هجرت المسيحية بدعوى أن كل الحروب المدمِّرة التي عانت منها الإنسانية، كانت حروب قام بها الذين يؤمنون بالله. وعندما سألتُ رب هذه الأسرة عن هذه الحروب،

قال: الحرب العالمية الثانية التي ذهب ضحيتها ما يزيد على ٦٠ مليون إنسان، ودُمرت فيها مدنٌ، وكانت أفظع صراع دموي لازال جيل الذين حاربوا يذكرونه، لا سيما ما يعرف D. Day وهو يوم نزل الحلفاء على شاطئ نورماندي في فرنسا ..

وسألت الرجل: هل كانت النازية في ألمانيا، والفاشية في إيطاليا دعوة دينية؟ وصمتَ.

وسألته ثانيةً: هل كانت الحرب المدمرة التي خاضتها اليابان في الشرق الأقصى دينية؟ وسكت.

ولكنه استعاد أنفاسه، وقال: ولكن الجيوش الألمانية والحلفاء كان فيها مقاتلون من الذين يؤمنون بالله.

فقلت: هذا صحيح؛ لأن الخضوع للسلطان المدني هو تعليم مسيحي يفصل بين ملكوت الله وممالك الأرض، وطالما نحن نحيا الملكوت في الروح القدس، ويملك

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٦ سبتمبر ٢٠١٤.

الله علينا في المسيح، فإن الفصل بين الأبدي والزمني، هو فصلٌ أنقذ الحياةَ من الفوضى العارمة؛ لأن تطبيق مبادئ الملكوت على الأرض، بكل ما فيها من تعقيدات، يفسد الحياة الأرضية والحياة السماوية معًا، لأن غفران الخطايا هو مسألة شخصية لا يمكن أن تُنقل إلى حياة شعب يدافع عن كيانه، ويغفر العدوان ويتحول إلى عبيد. كما أن الفقر الاختياري والبتولية، هذه اختيارات شخصية لا يمكن أن تصبح عامة عند كل البشر. وللفيلسوف الدنماركي الوجودي كيركجارد عبارة مشهورة: "لو آمن كل البشر بالمسيح المصلوب، فهذا يعني أن هناك خطأ ما قد حدث؛ لأن الصليب هو شريعة البالغين، فالعالم لن يكون مسيحيًا في أي يوم من الأيام، إلَّا إذا تم تزييف التعليم الذي يبرز بشكل خاص الحياة المصلوبة".

حديثٌ طويل جرى مع واحدِ من جيلٍ، أو أكثر شَهد النهضة الإنجيلية الأمريكية التي تدور حول أن خطايانا هي التي صلبت المسيح وليس محبة الله هي سبب صلب المسيح. لأن تحديد الإنجيل بهذا الشكل يعني أن الله أحبنا بسبب مشكلة، وهي الخطية، وأن الخطية هي التي حرَّكت المحبة الإلهية، وهذا يعني بالضرورة أن الله ليس محبة، وأنه في الحقيقة لم يكن حرًا في تقديم محبته للإنسان.

الإله المصلوب بالجسد:

مما لا شك فيه أن مشكلة "الشر"، ومعها أيضًا مشكلة "الألم" تزعج أي إنسان مهما كان الانتماء العرقي أو الثقافي أو الحقبة التاريخية التي يحياها هذا الإنسان. **مشكلة الشر قال عنها برديائيف إنها تمثل "اللامعقول"، وبالتالي التصدي العقلي لها مستحيل، ولأنها غير قابلة للتحليل والدراسة الفلسفية، ومعها أيضًا مشكلة الألم.**

ومشكلة الألم أكثر تعقيدًا؛ لأننا نرى أبرياء مثل الأطفال الذين يولدون ولهم تشوهات خَلقية أو بأعضاء ناقصة أو يُولدون بدونِ أعين، مثل أشهر عمياء "هلين كيلر"، بل والإصابات بالأمراض التي تؤدي أحيانًا إلى فقدان عضو أو انعدام كفاءته. والسؤال الخالد: لماذا يسمح الله بهذه الأمور؟

بالطبع هناك شرور مصدرها الإنسان نفسه، وهي الانقسام والتناحر والصراعات الدولية على المواد الأولية ومصادر الطاقة .... الخ. لازال المجتمع الانساني يحيا بشريعة الغاب، وهي افتراس الضعفاء. وهناك مشاكل خلقها الانسان في إخضاع البيئة، فقد أدى التوسع الزراعي لفقدان أكبر قدر من المياه الجوفية في ولاية كاليفورنيا، وملايين الأفدنة مهددة بالعطش؛ لأن التوسع الزراعي اعطى الولايات المتحدة قدرة على تصدير القمح والمواد الغذائية، وهذا لن يستمر بالشكل الذي كان عليه سابقًا. وبالطبع، سوف يضرب الكساد ولاية كبرى وترتفع نسبة البطالة وتكثر السرقات وينال الأبرياء من البشر نصيبًا من العنف الدموي.

وهناك أيضًا مشاكل الزلازل وارتفاع درجة الحرارة وغيرها من ظواهر طبيعية لا تزال غير مفهومة بشكل علمي كامل ..

هذه كلها أمور تبدو كما لو كانت من صنع الإنسان، ما عدا ثورات البراكين والزلازل والفيضانات.

الرؤية المسيحية الأصلية ترى أن الله أخضع الكون كله للإنسان، وأن الإنسان وُضِع قليلًا عن إلوهيم حسب النص العبراني لمزمور ٨ وهو أقدم نشيد ديني يجعل الإنسان "إلهًا" للكون. ولكن فقدان هذه السلطة الملوكية "أخضعت كل شيء تحت قدميه"، ظاهرٌ بشكل واضح، ولذلك يُعد الإصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين وهو مقارنة الرب يسوع بالملائكة، والتأكيد على أن مزمور ٨ هو عن "ابن الانسان" يسوع الذي وُضِع قليلًا على إلوهيم أو الملائكة -حسب

السبعينية- تجعلنا نرى مشكلة الشر والألم برؤيا أخرى، وهي أن الكون يمر بمخاض كوني لا يمكن فصله عن مخاض الطبيعة الإنسانية نفسها التي تعبُر من الموت إلى الحياة، ومن الخطية إلى القداسة، وهو ملخص (رو ٨: ١٨-٢٤)، وأن هذا المخاض هو انتظار الخليقة تجديد الإنسان، وكأنها تصرخ وتطالب به لكي يحدث، هو أن يعود أولاد الله إلى حرية الإنسان من كل قيود الشر والألم والموت بشكل خاص لكي يتم تجديد الإنسان.

في قلب هذه الرؤيا القادمة لحياة كونية جديدة، نرى محور التجديد، وهو الإله المصلوب إنسانيًا، أو بالجسد، حسب اعتراف الكنيسة، فهو يعاني معنا، فقد جاء لكي يقدِّم لنا صورًا متعددة عن الملكوت، ولعل القارئ المدقق يرى أن الأمثال الخاصة بالملكوت كلها تدور حول الجديد الآتي مثل مَثَل الزارع – الابن الضال، وغيرها من أمثال لا ترى في الملكوت إلَّا "الوليمة"، ليست إلَّا سعي الراعي الصالح للبحث عن خروف واحد وعن دينار مفقود.

كان العلامة أوريجينوس هو أول من قرأ عبارة سفر الأعمال: «أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أع ٣: ٢١)، ورد كل شيء حسب اليونانية Apocatastasis هو تجديد الخليقة الشامل؛ لأن هذا يُعدُ انتصارًا للمحبة الإلهية التي لا يمكن أن تقف عند حدٍّ، وهي المصالحة الكونية مع كل الخليقة. وطبعًا، قفز في شرح هذه الرؤيا الخطاة الأشرار والشيطان. وتاريخيًا، لم يذكر العلامة أوريجينوس نفسه شيئًا، فهو قد أشار إلى نار جهنم الأبدية في العظة ١٨ على نبوة ارميا، وأن المصالحة أو تجديد الكون كما يقول أوريجينوس نفسه: "ليس تعليمًا أو عقيدة، بل هي مجرد محاولة للفهم يجب أن نهتم بها" (جيروم رسالة ١٢٤ فقرة ٤ إلى Avitus).

وفي الترجمات اللاتينية لرجلٍ أحب أوريجينوس، وهو روفينوس، وضع عدة كلمات لاتينية مثل "teca" أي ربما، أو dokei بمعنى يبدو لي، ولعل أفضل

النصوص هو شرح إنجيل متى ٣: ٨٨٦ عن الظلمة الخارجية، إذ يقول العلّامة: "يُطرحون في الظلمة الخارجية حتى يفهم هؤلاء ويتجددون ويصبحون مستحقين للخروج من هذه الظلمة، وربما لهذا السبب الذي لا نعرفه عندما نقرأ في كتابات واحد عاش قبلنا (أكليمنضس السكندري) الذي شرح الظلمة الخارجية على أنها خارج الكون. وإذا أردنا أن نعرف إذا كان شرحه صحيحًا، فإن هؤلاء غير المستحقين، قد طُردوا من الكون إلى الهاوية التي شرحها (أكليمنضس) على أنها ظلمة بلا نور، ولذلك هؤلاء هم خارج تجديد الكون".

وفي العظة ٨ على سفر اللاويين فقرة ٥ كان العلّامة قد شرح بأن هناك خطايا يمكن التطهير منها بعد الموت، "وأخرى غير قابلة للتطهير"، وهو هنا كعادته يقدم رأيه ولا يشرح عقيدة. ونص سفر الأعمال يسير في هذا الاتجاه، ومع إرادة الله بأن يخلص كل البشر (١تيمو ٢: ٤). وسار على نفس المنهج غريغوريوس النيسي واسحق السرياني ومكسيموس المعترف. ولم يقبله ذهبي الفم ولا كيرلس الكبير.

هنا نرى صراع الوعي الإنساني بمشكلة لا يمكن حلّها عقليًا؛ لأن المحبة الإلهية ليس لها حدود تقف عندها، ولكن مع ذلك، فإن فرز الخراف عن الجداء، والنار وجهنم ليست مجرد إشارات عابرة يُستهان بها، وإنما -كما شرح العلّامة أوريجينوس في كتاب المبادئ- إن أبدية الشر تجعل الشر إلهيًا؛ لأن الله هو وحده الأبدي، وأعمال الإنسان -مهما كانت- لا يمكن أن تصبح أبدية لأنها صادرة من مخلوق ..

هذه تمنيات ورؤيا لم تأخذ بها الكنيسة الجامعة، ولكن خارج التعليم الرسمي يقف من يرى أن للشر نهاية، وأنه لا يمكن أن ينال صفة إلهية، وهي الصفة الأبدية. ولذلك كتب الأب اللاهوتي الكبير Von Balthasar كتابًا جيدًا بعنوان Dare we hope all men be saved وأضاف للعنوان أن البحث

يتضمن خطابًا قصيرًا عن جهنم with a short discourse on hell نُشر بالإنجليزية في ١٩٨٨.

تحدِّي المصلوب للإلحاد:

المصلوب بالجسد أنزل الألوهةَ من عرش التفرد والعزلة إلى مخاض الألم بل والموت ونزل إلى القبر.

كنت أُدرِّسُ فصلًا في مدرسة شبرا الثانوية، وكانت حصة "دين"، وقبل عيد القيامة، أي أثناء أسبوع الآلام جاء طالب مسيحي وأعطاني ألبوم صور عن الصلب والدفن والقيامة. وفي حجرة المدرسين، كان يجلس بجانبي مدرس مسيحي، وآخر مسلم، وبدأت أفحص الصور. كانت هناك صورة لدفن المسيح يحمله يوسف الرامي ونيقوديموس. وسألني المدرس المسلم، وكان صديقًا: ما هذه الصورة؟ فقلت له: هذه صورة دفن عيسى المسيح. ولم يعلِّق الرجل بكلمة. كان مهذبًا جدًا، ولكن المدرس المسيحي قال بصوتٍ عالٍ: يا أخي قول الحق. ده ربنا رايحين يدفنوه. وانزعج الصديق المسلم، ونظر إليَّ وقال: ده صحيح؟ فقلت له: "ربنا في الجسد". وتمتم: رايحين يدفنوه، يا ساتر يا رب. وجذب كرسيه بعيدًا. أذكر هذا الواقعة كما لو كانت قد حدثت أمس، إذ بدت فكرة الإله الذي يعاني الموت -حتى في الجسد- ضد القوة، وضد العزة الإلهية، وضد كل ما يمكن للعقل أن يتصوره عن الله. لقد مرّت قرابة ٤٠ عامًا تقريبًا على هذه الواقعة، وتأتي أحداثٌ كثيرة تؤكد القتل باسم الله. التعذيب لمن يختلف في الرأي، بل وأضافت السلطات الكنسية عليها الحرمان. صار الله في "جيوب" قيادات دينية لم تحاول أن تُعلِّم الناس عن الرحمة والعدل (تحوَّل العدل إلى الانتقام) والله جالسٌ على عرش عظيم يراقب ما يحدث على الأرض ولا يهمه شيء.

عندما كتب اللاهوتي الألماني Jurgen Moltmann كتابه الذي نُشر بكل اللغات الأوروبية الحديثة:

The Crucified God: The Cross as the Foundation and Criticism of Christian Theology.

وطُبِعَ عدة طبعات آخرها ١٩٩٣، أحدث الكتابُ ضجةً؛ لأن العنوان ليس فقط الإله المصلوب، بل الصليب أساس نقد اللاهوت المسيحي. والنقد هنا ليس التدمير، بل إعادة تقويم الفكر. فقد جاءت ضربات الفلسفة الأوروبية بالذات لكي تضع الله فوق كل ما هو حادث في الزمان والمكان والإنسان، أي ليس له صلة بالكون ولا بمحنة البشرية.

لكن كان أضعف ما جاء به الكتاب هو الاتهام بأن الآباء اليونانيين وضعوا آلام المسيح خارج تاريخ الإنسانية، ولم يحاولوا أن يجمعوا بين معاناة الله الروحية -أو الأدبية كما كان أستاذنا وهيب عطا الله يقول- والجسدية؛ لأن التجسد لا يفصل اللاهوت عن الناسوت بشكل يمنع حتى استمرار المسيح بعد دخوله إلى المجد من أن يشعر بمحنة وعذاب البشر، كأنه بعد الصعود، فَقَدَ إنسانيته، بينما تعلن رسالة العبرانيين لمن يعيشون في بوتقة الألم أن الرب نفسه «رحيمًا ورئيس كهنة أمينًا في ما لله حتى يكفِّر عن خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألم مجربًا يقدر أن يعين المجرَّبين» (عب ٢: ١٧-١٨) ولا يجب أن نفقد الشطر الأول وهو:

- رئيس الكهنة الرحيم الأمين في ما لله.
- يكفر، أي يرفع، ليس بالاستماع فقط، بل بقبول المعاناة ومشاركة المجربين.
- ويعين المجرَّبين بالصبر والثبات ومواجهة الموت لأن هذا هو حمل الصليب.

لأنه "ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد» (عب ١: ٩)، بل تضيف الرسالة: «لأن لنا رئيس كهنة ... يرثي لضعفاتنا، بل مجرَّبٌ في كل شيء مثلنا بلا خطية (ولذلك) فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمةً ونجد عونًا في حينه

...... تعلَّم الطاعة مما تألم به" (عب ٤: ١٥ – ٥: ٨).

هذه هي سمات الشركة الحقيقية: لأن المسيح لم ينتهِ بعد من خدمته الكهنوتية بعد صعوده. وجلوس الرب عن يمين الآب لا يعني أنه فَقَدَ الإحساس، وفَقَدَ الشركة، وفَقَدَ إنسانيته؛ لأنه رأس الجسد الكنيسة، أي المؤمنين (١كو ١٢: ٢٧).

عندما يصبح الناسوت شبحًا أو ظلًا للاهوت، يفقد الإنجيل بشارته بالفرح والتجديد الشامل المدعوة إليه الخليقة، حتى وإن كان هذا التجديد قد انزلق في المصالحة الكونية وتوقف عندها، وشَنَّ عليه حربًا ضروسًا، المجمعُ الخامس في القسطنطينية (٥٤٣)؛ لأن كتابات العلَّامة، صارت أحد مرجعيات الشيع التي كانت تمزق وحدة الكنيسة الجامعة وتنادي بتناسخ الأرواح.

إذا تركنا الهجوم على العلَّامة وخوف المتشددين، فإننا أمام الصورة الكاملة كما وردت في (رو ٨: ٢١-٢٣) عن مخاض الخليقة، وهو موضوع لا يمكن فصله عن الآلام الرب يسوع الإله المصلوب بالجسد:

أولًا: لأن تجديد الكون هو تجديدٌ لكل الأشياء حسب (أع ٣: ٢١)، وهو ما جعل الرسول بطرس يصف هذا التجديد بأنه ما كان الأنبياء نطقوا به، وهو حتمًا: أن يرقد الحمل مع الذئب والأسد يأكل التبن (أش ٦٥: ٢٥)، وهو تحوُّلٌ جذري في الطبيعة يحدث على مستوى الكون. طبعًا الذي يرسف في أغلال الألم ومصائب الدهر، يريد أن يرى ذلك في أيامه، وعندما لا يتحقق ذلك، يفقد الرجاء.

ثانيًا: نحن البشر لا يمكن فصلنا عن النظام الكوني الذي أُخضع للبُطل (رو ٨: ٢٠) والبُطل، أي انعدام غاية واضحة للمعاناة.

إذن، المصلوب يتحدى الإلحاد:

أولًا: لأنه ليس بعيدًا عن عالم يعاني، بل هو شريكُ هذه المعاناة.

ثانيًا: إنه ليس متفرجًا، بل يدعو كل الكائنات إلى تجديد تام حيث تقوم

السماء الجديدة والأرض الجديدة من السماء الأولى والأرض الأولى.

نحن ننتظر، والانتظار صعبٌ على متألم يستعجل الحل.

آمين تعال أيها الرب يسوع.

يسوع رب الحياة في عصر الانهيارات

أخلاقية - سياسية - دينية - اقتصادية[١]

في مقال للدكتور وحيد عبد المجيد "ترقبوا داعش في الداخل وليس عبر الحدود" نُشر في المصري اليوم – الجمعة ٥ سبتمبر ٢٠١٤، حدد:

أولًا: البيئة المجتمعية، أي الأعداد الهائلة المتزايدة من الشباب الضائع الذي تتباين مشاعره بين الإحباط والمرارة والاستياء والغضب والاغتراب. كما يكمن في مجتمع مضطرب ممزق يحاول جزء منه التمسك بالأمل الجديد، ويسعى قسم ثان إلى تحطيم الأمل، بينما يفتقد بعض ثالث أي يقين بشأن المستقبل.

ثانيًا: التمزق المجتمعي الذي أصاب "مناحي الحياة وأنساق القيم والعلاقات الاجتماعية، فالمجتمع يمر بحالة غير طبيعية تجعله مؤهلًا لإنتاج التعصب والتطرف، ولا أريد أن أُلخِّص المقال، فقد قدَّم قطاعًا مرضيًا في شجرة الوطن.

لماذا بدأت بمقال د. وحيد عبد المجيد؟

سبق ذلك حديثٌ صريح من رئيس الجمهورية عبد الفتاح السيسي عن "تحديث الخطاب الديني"، وحدَّد الأزهر والكنيسة. والأزهر له علماء ومكتبة وتخصصات؛ لذلك سوف أقصر حديثي على الشأن الكنسي.

لم يكن صدمة لي أنا شخصيًا أن قدَّم أحد علماء الأزهر رسالة ماجستير عن الأب متى المسكين. ولم أُصدم أيضًا عندما قام مؤرخ مسلم بتحقيق كتاب تاريخ البطاركة للأسقف القبطي ساويرس ابن المقفع، مع ما يحمله ذلك من

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في في١٢ سبتمبر ٢٠١٤.

دلالة واضحة على تجفيف منابع البحث وأدواتها وإحاطة كل متخصص بحلقة من الخوف والريبة والشك، والإنفاق على أمور ثانوية باطلة مثل الفضائيات والمجلات الورقية وغيرها.

ورغم أن مؤتمر التعليم المنعقد بالأنافورا بقيادة قداسة البابا تاوضروس جاء بتحليل دقيق للواقع وفتح عدة نوافذ للأمل. لكنني لم أُصدم بالمرة للحرب الشعواء التي شنها مطران دمياط على تعيين ثلاثة من المتخصصين للتدريس في الكلية الإكليريكية. حربٌ بدأت في الواقع قبل أن ينطق المطران باسمه، قادها الراهب أنطونيوس السرياني على مؤلفات الأب متى المسكين، وزادت الحرب عندما وصل إلى كرسي البطريرك: الشك في مصداقية الكتب، دون تقديم دليل واحد يؤيد الشك - اتهام الكتب بالهرطقة دون تحديد الهرطقة من تراث الكنيسة - جَمَعَ الكتب وأشعل النار فيها، ومصادرتها من مكتبات الآباء الكهنة.

عندما تقرأ مقال د. وحيد عبد المجيد، فانت تقرأ عن الكنيسة المصرية كلها مهما كان تاريخها، فلا فرق حقيقي بين الأرثوذكسي والإنجيلي سوى الصوت العالي وتبادل الألقاب، وخلق اتهامات مبطنة غير مباشرة، وإدخال الشك في مصداقية هذا وذاك، وفتح ملف الأكاذيب عن الحياة الأخلاقية، ولذلك لا تعليق لنا إلَّا كلمات د. وحيد عبد المجيد: التمزق والانهيار.

رسالةٌ لم تصل:

ظن بعض الإخوة أنني أدافع عن الكنيسة القبطية. لكن أُم الشهداء يدافع عنها تاريخها. وظن البعض الآخر أنني أهاجم الأخ ماهر فايز، ود. القس سامح موريس، ولكن الرسالة كانت عن:

* الشركة الكيانية التي تتعرض لغياب الوعي بسبب الترانيم العاطفية التي لا إيمان فيها ولا لاهوت.
* إن اتحادنا بالمسيح ليس لمحاربة الخطية، بل للنمو في "الخلقة الجديدة"،

وإعادة الرب يسوع أساسًا أبديًّا للحياة، وبالتالي حذف كل الترانيم، بل والصلوات والدراسات التي تبعدنا عن هذا الاتحاد، وتُشتِّت الوعي.

وبالتالي، لا خلاف مع أحد، ولا دفاع عن أحد، ولكن في وسط الانهيار الحادث على مستوى العالم كله في مرحلة أطلق عليها الغربيون ما بعد الحداثة، ولا يوجد اسم عندنا عما يحدث سوى الأوصاف السلبية، إضافةً إلى التحليل الدقيق الذي قدمه المركز القومي للبحوث منذ أكثر من 20 سنة عن الإرهاب، وإن كان الذين قدموا أعظم ما كتب عن التطرف عندنا لم يلمسوا الآثار السلبية للفساد السياسي، وانقطاع التواصل بين الحزب الحاكم والحارة والعشوائيات.

تلك هي الفجوة التي تسلل إليها الإخوان، لذا لم يكن غريبًا ظهور مهندسين ومحامين وأساتذة في بعض الجامعات في مجالس وتنظيم الإخوان. هذا كله خلقه فراغ سياسي غابت فيه القوى الوطنية التي مزقها الخوف.

ولكن بكل دقة، يظهر العطب الذي أصاب مصر في الآتي:

- انعدام الحوار الحر الصريح بلا تأثيم وتجريم.
- انعدام آليات الحوار نفسها؛ لأن الصحافة وأدوات الإعلام ليست في يد من ينتمي إلى غالبية شعب مصر، بل إلى رجال الأعمال والأغنياء الذين لهم أجندة سياسية معروفة.

الحوار على المستوى الكنسي:

كنت أراقب الظاهرة التي صارت تُعرف بـ"العلمانيين"، وكان لي أمل فيها كبير، ولكن ما فعله الحزب الوطني، وقيادات النظام السابق، فعله بعض الإكليروس، أي تهميش من له رأي، وإحاطته بأكبر قدر من الأكاذيب، ولا مانع من الاتهام بالبروتستانتية واتباع ما يقرأه في كتب الغرب .... إلى آخر ذلك من أكاذيب، كانت تقال علنًا وتُكتب وتُنشر دون أن يحاول أصحابها تحديد

ولو كتاب غربي واحد معروف يمكن الرجوع إليه. ووصل الأمر إلى اتهام من يرفض تقبيل أيدي الآباء الكهنة بأنه بروتستانتي، كأن قبلة الاحترام النابعة من مجتمع مصر الزراعي، صارت من أركان الأرثوذكسية!! وعندما قال واحد من الإكليروس إن القبلة واجب؛ لأن الكاهن يحمل جسد الرب على يديه، وسألته: وماذا عن أفراد الشعب الذين يأكلون هذا الجسد؟ صَمَتَ الرجل؛ لأنه كان يفكر في كرامته فقط، وينسى أو يجهل أننا جسدٌ واحدٌ في يسوع المسيح، وأن لكل الأعضاء كرامة واحدة (١كو ١٢: ٢٢ - ٢٧)، بل حتى الأعضاء القبيحة لها نفس الجمال عند خالقها الله الآب (١كو ١٢: ٢٢ - ٢٣).

الاستحالة الجوهرية، وقضية التطرف في الكنيسة:

عندما كتب أستاذنا د. موريس تواضروس مقالًا نُشر في مجلة الكرازة التي تعتبر -على نحوٍ ما- الصوت الرسمي للبطريركية، انزعج عدد كبير من الخدام، وطلبوا مني كتابة رد على أستاذنا الكريم. ومع أن الرد ميَّز بدقة بين الاستحالة السرية Mystical والاستحالة الجوهرية الوافدة من فلسفة أرسطو التي تقوم على التمييز بين "الجوهر والعَرَض" والتعبير له تاريخ معروف في الغرب يدرسه طلاب اللاهوت (ما عدا طلاب معاهدنا في مصر)، إلَّا أنني بعد أن نُشِر الرد على موقعنا، وجدت نفسي قد دخلت الفخ الذي ينصبه الأنبا بيشوي، وهو خلق معارك فكرية جانبية تستر عورة التعليم الذي انزلق في قضايا جانبية وترك أهم ما في التعليم. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فذلك الدفاع الشاذ والغريب على تراث كنيسة مصر أُم الشهداء، والادعاء بأن روحٌ قدس، وليس الروح القدس هو ما نأخذه، هو محاولة لصرف الأذهان عن الموضوع الأصلي الذي يجهله الأنبا بيشوي: "عمل الروح القدس في الإنسان في الحياة الداخلية"، وفي "السرائر"، وفي "علاقتنا الشخصية الذاتية والكيانية بالمسيح رب الحياة". فلو دخلت مثل هذه الموضوعات مجال البحث، لتوقفت الترهات.

التطرف الكنسي هو إقصاء الآخر، وكما كان الرد على تطرف الإخوان بتطرف مماثل، العزل السياسي ... التطرف عندنا هو ذلك الكم الهائل من الهجوم على أم الشهداء:

* بالادعاء بأن الروح القدس لا يسكن في هذه الكنيسة.

مَن يصدق هذه الكذبة، هو مجدِّف على روح الله؛ لأن روح الرب يملأ كل مكان ويعمل حتى في غير المؤمنين (أمثال ص ٨ كله) بقيادة الخليقة نحو الله.

* والادعاء بأن حياة الأرثوذكس جافة ميتة.

وكأن صاحب هذا الادعاء صار الله نفسه، يفحص أعماق قلوب الناس، فيرى الجفاف والموت، بل وكأنه قادر على رؤية كل الأرثوذكس.

دُهشت من تعليق واحد من الإخوة على رسائل الأب فليمون المقاري، بأنه كان مملوءًا من الروح القدس، وكان صاحب التعليق قد دُهش لوجود هذا النوع من الرهبان. وماذا عن القمص متى المسكين – القمص عبد المسيح المقاري – بل والكاهن المتزوج القمص ميخائيل إبراهيم، والأنبا كيرلس السادس وغيرهم كثيرون ..".

تطرُّف مستتر بلغ دون أن يدري حدَّ الإقصاء، في ردٍّ على إقصاء بلغ عمره ٤٠ عامًا على الأقل بدأ بتحريم كتب القمص متى المسكين.

كان لي صديقٌ رحل عن الدنيا، شغل وظيفة وزير أوقاف في عصر الرئيس السادات، وكان يزور ابنته التي تسكن في نفس العمارة التي كنت أسكن فيها في حي الدقي، وتعرَّف الرجل الفاضل عليَّ وسألني عن مرجع باللغة العربية عن "الثالوث"، ولم يكن لديَّ ما أقدمه، وقال في دهشةٍ: كيف يكون هذا الموضوع، وهو أحد علامات الدين المسيحي، غائبًا وغير مدوَّنٍ ولا تكتبون عنه؟

* التطرف هو خلق معارك جانبية عن أمور ثانوية بلا قيمة.

* التطرف ليس فقط إقصاء الآخر، بل حشد أكبر قدر من الاتهامات.

* التطرف هو محاصرة الفكر بالشك وقتل الحوار بالتهديد.

لقد درست الإلحاد الأوروبي، كطالب في جامعة كامبريدج، وصارت هذه الدراسة هي أحد موضوعات التشهير بي في قائمة الأنبا بيشوي: "ده درس مع ملحدين"، وقد جعلني هذا الاتهام أضحك طويلًا، فقد تذكرت قصة سمعتها عن جدي "عم بباوي"، وكنا نجلس على المصطبة في قرية الكوم الأخضر – مركز مغاغة، وكان الراوي هو أبي "عم حبيب"، عن ملكٍ بني برجًا عاليًا جدًا لا يدخله إلَّا الأمراء والنبلاء والأشراف والأغنياء. وأغلق المدارس، وحرَّم استخدام كلمة الحرية، وبث الرعب والخوف في نفوس الشعب الذي كان ينحني له عابدًا إياه من بعيد. بل لقد حذفت كلمة الحرية من كل الأناشيد وكتب التاريخ، وكل ما له صلة بالفكر الإنساني. وتمر سنوات والملك قابعٌ في برجه، يسمع كلمات المديح التي قيلت عن أبطالٍ خاضوا معارك حقيقية، في حين أن الملك لم يحارب أية معركة إلَّا معركة بناء سطوته وبث الرعب والخوف؛ حتى بات الشعب يخاف أن يفكر .. وتمر السنوات، وحتمًا يقترب الطاغية من الموت، وتدور معركةٌ خفية طاحنة حول العرش ومَن يخلف الملك. وفي ذات يوم يموت الطاغية وتدور معركة الخلافة علانيةً، فقد اكتشف الذين يصارعون، حاجة كل واحد منهم إلى التأييد وحشد الأتباع، وفي حُمى الصراع يبحث الذين يصارعون عن كلمة غائبة لم ينطق بها أحد طوال ٤٠ عامًا، وفجأة على لسان أحد الذين يسعون للعرش تظهر كلمة «الحرية»، وسألت أبي عن خاتمة القصة، فقال لي في ابتسامة الفلاح المصري الذكي، إن القهر يولِّد الحرية.

لم يكن قانون نيوتن "لكل فعل رد فعل مساوي له في القوة ومضاد له في الاتجاه" خاص بالفيزياء فقط، بل هو نابع من الواقع الإنساني.

سوف تأتي موجات الإلحاد المصري بما هو مضاد، مزيدٌ من التطرف، بدأت

ملامحه تظهر في خطاب بعض التجمعات السياسية ضد الشيعة والعلمانيين، وسوف يولِّد التكفير المزيد من التطرف الديني، والتطرف الديني بدوره سوف يولِّد موجات من الإلحاد.

هل يا ترى بنى الإكليروس لأنفسهم برجًا عاليًا؟

هل بنى العلمانيون ذات البرج العالي وعاشوا مع الأحلام ... أحلام اليقظة؟

يسوع، الوجه الإنساني الإلهي:

ما هو الفرق بين مقال في جريدة، وقراءة باردة لإصحاح في الإنجيل، على سبيل المثال (يوحنا ص ٤). مقال الجريدة يتناول الواقع: ما يحدث يوميًا، والمثال على ذلك، مقال د. وحيد عبد المجيد، السابق فهو يصف ما لدينا .. بينما لو سمعت عظة عن يوحنا ص ٤، فأنت لا تسمع إلَّا نفس النغمة والايقاع: السامرة – العداء مع اليهود – مشكلة المرأة – حنان يسوع .. وهنا يكون الإنجيل قد خرج من دائرة بشارة الفرح والخلاص إلى دائرة الإعلام على مستوى الجرائد.

يسأل أحد الأخوة المعلِّقين على المقال السابع في سلسلة التقوى المزيفة، والمنشور على موقع الدراسات القبطية عن "السر"، وما إذا كان هناك سرٌّ أخفي علينا عن المسيح لا نعلمه، وهو سؤال جيد جدًا .. لأنه يكشف عن الإهمال المتراكم في التعليم. "السر" حسب يسوع، هو ما هو غير مألوف لنمط الحياة اليومية، ولا ما هو معروف على مستوى النظام السياسي أو الاجتماعي، ولذلك يوصف بأنه "سِرٌّ". ويسأل نفس الأخ هل يجوز أن يكون هناك سرٌّ بعدما أعلن الله عن نفسه بنفسه في تجسده؟ وهو أيضًا سؤال جيد جدًا، ولكنه أيضًا يكشف عورة التعليم الذي لم يُسلِّم للأخ صاحب السؤال أن الإنجيل لم يولد من ثقافة، ولا هو من اكتشاف البشر، ولا هو وليد ديانة أخرى، رغم أنه ولد ونشأ في اليهودية ولعل (يوحنا ص ٤) يكشف عن صدام يسوع الدائم مع الفكر اليهودي الذي أصابه العفن في أيام يسوع. فكل الأمثال تضرب في جذور

التقاليد اليهودية، ولكن برفق. يوحنا (ص٤) عن حاجة الإنسان إلى الحياة الأبدية إلى ماء الروح القدس (استعارة من الحوار نفسه) وهنا يرد الإنجيل الانسان إلى الواقع الذي يحياه.

يسوع الإنسان غاب، وأصبح ظلًا ليسوع الإله. وأُلوهية الرب هي نصف الحقيقة، والنصف الآخر هو إنسانيته "الكلمة صار جسدًا".

"الله ظهر في الجسد"، وبالرغم من ذلك لم يعد الإنسان، اللحم والدم، هو مجال الترنيم والصلاة، ولا حتى رد الإنسان إلى إنسانيته بواسطة نعمة الشركة في الحياة الإلهية، باعتبار أن التجسد والصلب والقيامة هي محاور تجديد الإنسان ليكون إنسانًا، ويحيا إنسانًا إلى الأبد. **وعندما قال واحد من الإكليروس إن الشركة في الطبيعة الإلهية تعني فقدان الإنسان لما هو إنساني، كشف عن جهلٍ عميق بالتجسد الإلهي، وبيسوع الذي ظل إنسانًا حتى بعد صعوده وجلوسه عن يمين الله** (أع ٧: ٥٥).

- راقبوا العظات والصلوات والترانيم .. إذا غاب اتحادنا بالثالوث عنها، فهي مزيَّفة، تشتت الوعي، بل تقتل الحياة الروحية الصحيحة.
- كل وصف أو تحليل يضع الله خارج حياة الإنسان هو وعظ نبي كذاب يشبه من يصف مباراة كرة قدم لا يشترك هو فيها، ولا يشترك مَن يسمعه إلَّا بالسمع والمراقبة أو المشاهدة .. هكذا يعصف التعليم المزيَّف بأساسات الإنجيل.
- وكل اجتماع كنسي، أينما كان، بلا إفخارستيا وبلا حلول للروح القدس، وبلا شركة في المحبة المذبوحة، هو اجتماعٌ يدعو إلى تزييف الحياة.

قال لي صديق إنجيلي محب للجدل، إن يسوع قدَّم نفسه مرة واحدة، حسب ما جاء في العبرانيين. التجسُّد مرة واحدة. الصَلب مرة واحدة، القيامة مرة واحدة .. فهل نحن نشترك في تجسد ابن الله الذي صار بكرًا بين إخوةٍ كثيرين وفي صلبه في موتنا وقيامتنا معه في المعمودية بل وفي جلوسنا معه في السماء»

كولوسي ٣: ١-٤.

فقلت له هذا حقٌّ يُراد به باطل.

فعندما تتحول بعض نصوص وكلمات ومقاطع من العهد الجديد إلى وسيلة لتدمير تدبير الخلاص، فهل يوجد تزييف أعظم من هذا؟

إن المحصلة النهائية لتعليم العصر الوسيط هي استخدام العهد الجديد نفسه لهدم أسس الإيمان المسيحي، وهو ما يظهر في:

- هدم وحدانية جسد المسيح الكنيسة بإنكار شفاعة القديسين وبسلطان الحرمان المزعوم الذي يستخدم ضد المعارضين.
- إنكار اتحادنا بالمسيح بتصوير الصلب كحدث تم في الماضي، وهو فعلًا حدث في الماضي، ولكنه يتم عندما يجمع ذلك الذي ارتفع على عود الصليب إلى شخصه "أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢).
- إنكار عطاء الرب في سر الشكر بالادعاء بأنه رمزٌ لِما تم.
- إنكار وحدة جوهر الثالوث باعتبار الابن ترضيةً قُدِّمت للآب.
- إنكار سيادة الرأس، أي المسيح على أعضاء جسده الكنيسة، باعتبار أن رأس الكنيسة هو البطريرك أو الأسقف.
- إنكار كهنوت الرب نفسه بالادعاء بأن من أقيموا بواسطة الرب بالروح القدس صاروا هم كهنة بديلًا عن الرب الذي وحده يقدس ويعطي السرائر بواسطة الذين أُقيموا لكهنوت المسيح وخدمة سرائره.
- تمزيق جسد المسيح الواحد الكنيسة الواحدة الوحيدة، واعتبار أن لدينا ثلاثة أجساد: جسد الابن الكلمة الذي أخذه من العذراء – جسد الرب في سر الشكر – جسد الرب الكنيسة؛ لكي تتمزق الوحدة الإلهية التي أسسها الرب نفسه كرأس منه تولد كل الأعضاء (كولوسي ٢: ١٩).

نداء إلى رجال الأعمال الذين يهمهم التعليم:

أمام ما نحن فيه من مصيبة، فإني أرجو من رجال الأعمال والقادرين والمهمومين بقضية التعليم، جمع ٢٠ مليون جنيه كحد أدنى لحساب الكلية الإكليريكية، توضع كوديعة في أحد البنوك كرأس مال يُصرف عائده على الكلية الإكليريكية. هذا ما سبق وأن فعله القديس حبيب جرجس عندما جمع المال والأوقاف من الأراضي الزراعية. ولابد من تجديد العمل.

منعُ الكتبِ استنساخٌ للعبيد[1]

فليكن معلومًا لكل ذي شأن: لن يغيب القمص متى المسكين عن الحياة الفكرية لمسيحيي مصر. فكلما اشتد الهجوم عليه، كلما زادت مبيعات كتبه.

قد لا يدرك الذين يجترئون على منع كتبٍ، ويباركون كتبًا، أنهم يقفون في خندقٍ واحد مع كل جماعات الإرهاب الفكري، بل والمسلح أيضًا؛ ذلك لأن الإرهاب المسلح، بدأ في كل عصور الإنسانية فكرةً، ومن ثمَّ تحول إلى أيديولوجية.

إنه لأمرٍ مخجلٍ حقًا، أن يقف مجمع أقدم كنائس الدنيا في خطٍّ واحدٍ مع داعش، ومع كل جماعات الإرهاب!!! هل هذه مبالغة أو تشنيع؟ أبدًا. الإرهاب يبدأ برفض الآخر، والرفضُ دائمًا قرارٌ يُستَغَلُ فيه الدين والاقتصاد والانتماء الاجتماعي، فرادى أو مجتمعين.

كان العصر الوسيط الأوربي عصرَ إقطاعٍ. كان للنبلاء فيه والأمراء حججٌ لاهوتيةٌ يحافظون بها على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، ولذلك كان إقصاءُ العامةِ بذرةً قبعت داخل التركيب العقلي والاجتماعي، تحولت -فيما بعد- إلى أشكالٍ مختلفة مخيفة في شكلها السياسي الرهيب، كالشيوعية والنازية والفاشية، وبالتالي لم تُولد خرافة تفوق الجنس الآري من فراغ، بل كانت إحدى ثمار تخمُّر طويل المدى، جَمَعَ شرائحَ متعددةً من تعالي النبلاء، وتعالي الحرفيين وسطوة رجال الصناعة، بل وبعضًا من أدبيات الكنيسة التي كانت في الأصل تعلِّم بمحبة الأعداء، فصارت تشعل النار في الأحياء من الهراطقة، وهكذا ينام

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٩ نوفمبر ٢٠١٤.

العنف الاجتماعي كالمارد إلى أن يأتي من يوقظه؛ لأن المساواة مشروعٌ يهدد حياة المعاقين نفسيًا الذين يرفضون الآخر، فضلًا عن أنهم قد يجدون في بعض الأدبيات القديمة ما يعطي قدسيةً للقتل.

إن سقطة المجمع (المقدس) للكنيسة القبطية -بخصوص منع كتب الأب متى-أكبر من كل ما يُكتَب، وأثقل من أن يتحمل أحدٌ الدفاع عنها. هي بالحقيقة تكريسٌ لكل عنفٍ يجرد الآخر من حرية الفكر، وهو ذات عنف الإقصاء، بل هو –في النهاية- دعوةٌ للقتل المعنوي، قد تلد في زمن القهر الاجتماعي قتلًا للجسد.

لقد سبق للمجمع أن صادر كتاب "أقوال مضيئة"، وهو أكبر أنثولوجية آبائية عربية في العصر الحديث تضم فقراتٍ من كتابات وأقوال أعظم آباء الكنيسة.

سقطةٌ سابقة وقرارُ تحريمٍ بلا أسبابٍ معلَنة:

والآن، قرارٌ بمنع بعض أو كل كتب القمص متى المسكين، في الوقت الذي يحرص فيه د. القس سامح موريس على توزيع ما يمكن وصفه بالمؤلفات الروحية منها. عجبٌ وأيُ عجبٍ!!!

وهنا يجيء قرار المجمع (المقدس) بمثابة خدمة لا تقدر بثمن لأكبر حركة تبشير في مصر يقودها د. سامح موريس، عجز أسقف ما يسمى بأسقفية الشباب عن التصدي لها أو حتى القيام بنهضة موازية. وهنا أيضًا يزداد العجب!!!!

ألا يعلمون أن استنساخ العبيد، فضلًا عن أنه تعدٍّ على نعمة البنوة، هو ديدن النظم الاستبدادية؟ فهل تساوى المجمع بأحد هذه النظم؟!!!

لقد سبق أن مُنعت رواية "مزرعة الحيوانات" للكاتب البريطاني جورج أورويل. وسبق لي أن حاولت إقناع مؤسسة أكتوبر بنشر ترجمة عربية لكتاب

ديفيد براون عن "تكنولوجيا الإغراء، وغسيل العقل"، وجاءت اعتراضاتٌ كثيرة. وأدركت أن الرفض ليس حمايةً للوطنية، ولا هو دفاعٌ عن تراث مصر، بل هو الحرص على أن لا نفكر، ويبدو أن ذلك هو ذات ما يحرص عليه المجمع (المقدس)!!!

ألا يعلم الذين يحرصون على استنساخ العبيد أن الأحرار سوف يتركون الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ولن يبقى فيها إلا العبيد؟ هؤلاء سوف يفقدون القدرة على أن يقولوا شيئًا أو يسألوا عن شيءٍ طالما أن "سيدنا قال". بل أنبئكم بأنه سوف يحدث ما هو أفظع وأفزع وأشر من كل هذا حين يصبح الوعي تحت سيطرة سلطة دينية تمارس الإقصاء وتنقل وعي الشخص إلى خارج الشخص، فلا يفكر -عندئذٍ- في حرية، بل يفكر حسبما يقال له، وحسبما تريد له السلطة أن يفكر.

عندما تُنزع إرادة الشخص منه لتصبح ملكًا لآخر، هل يختلف ذلك عن منهج داعش، ومنهج جماعات الإرهاب كلها، مهما تنوعت الأسماء؟

وماذا يمكن أن يتبقى من شخصٍ تم استنساخه عبدًا، أراد أو لم يُرِد؟

تحديث الخطاب الديني (١)[1]

الاحتماء بالماضي دون دراسة التاريخ:

أملٌ يتحرك في داخلنا، يسير مع الأحداث ومشاهد العنف الدموي الذي نراه تقريبًا كل يوم، والأمل في انحساره بفضل شجاعة القوات المسلحة والشرطة، ويقظة الشعب المصري الذي لم يكن للإيمان دورٌ ثانويٌّ في تاريخه الطويل. فهو يؤمن ويمارس ما يؤمن به. فظاهرة الإيمان ليست غريبةً على مصر، بل هي أحد ثوابت الحياة المصرية.

على أن استغلال الإيمان والخطاب الديني عبر تاريخ مصر، ليس جديدًا، ولا هو ابتداع الحركات الإسلامية، بل هو سابقٌ على ما يسمى بالإسلام السياسي في زماننا.

ولو بحثنا عن مقاومة النهضة الفكرية في عالمنا الناطق باللغة العربية، فإن الباحث سوف يلاحظ أن العودة إلى التراث القديم كانت أحد نقاط الوثوب على السلطة وقهر الحياة. لأن التراث يقدَّم حسب اختيار مَن يقدمه، وحسب اختيار مَن يستغله، بل وحسب الهدف السياسي أو الاجتماعي.

ليست هذه ظاهرة مصرية فقط، بل هي ظاهرة عامة في دول العالم الثالث. أتحدث عن ظاهرة استبعاد التاريخ إن كان عن جهل أو عدم قصد. لكن غياب التاريخ هو بالضرورة أساس كل تطرف يرى أن الحق المطلق هو عند هذا أو ذاك من البشر.

ومع غياب التاريخ تنمو الفتاوى والاجتهادات الآنية التي تخدم حقبة زمنية معينة، تُفصَل عن السياق التاريخي، ولا تضع في الاعتبار "المستقبل"، ذلك البُعد الغائب.

١ - مقال نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في٢٤ نوفمبر ٢٠١٤.

إذن، سيبقى الخطاب الديني كما هو حتى تنمو دراسات التاريخ، أي تاريخ الأفكار والمعتقدات – تاريخ الممارسات – تاريخ تطور القيم الاجتماعية – تاريخ المدارس الفكرية، ميلادها وموتها – تاريخ حركات العودة إلى الأصولية – تاريخ الانتصارات والهزائم الثقافية قبل العسكرية.

فإذا ما نظرنا إلى الحراك الفكري السائد في داخل الكنيسة القبطية، فإننا نجد ما أكثر الذين ارتدُّوا عن الواقع الكنسي إلى مغارات الفتاوى وكهوف الخطاب الديني الذي يجهل تراث الاسكندرية المسيحي والإنساني والكوني معًا. هؤلاء يريدون العودة إلى أوهام الماضي لا إلى نتاج العصر الحديث، ولا حتى إلى الواقع، يبغون سحق الرأي المعارِض وخلق أكبر قدر ممكن من الأكاذيب حول دعاة التجديد.

مؤلفات الأب متى المسكين:

بكل تأكيد، تُعدُّ هذه المؤلفات طليعة النهضة المعاصرة، ليس فقط بسبب التنوع وكثافة ما نُشِر، بل لأن الآب متى دخل إلى عرين الفكر المسيحي العالمي المعاصر وعاد منه إلى تراث المسيحية القديم، مبتعدًا عن رد فعل العصر الوسيط الذي ولد حركة الإصلاح. مبتعدًا أيضًا عن رد فعل حركة الإصلاح على حركة التنوير وتحديث النظام اللاهوتي الذي ولد في أحضان التراث الغربي الذي تجاهل التراث الشرقي كله. تلك قضيةٌ لا يعرفها إلا من درس تاريخ العقيدة المسيحية في جامعة أوربية حديثة تهتم بالدراسات التاريخية.

من هنا يبدأ الحديث الحقيقي عن تحديث وتجديد الخطاب الديني المسيحي؛ لأن كل من يصرخ مطالبًا بمراجعة كتب الأب متى المسكين دون أن يكون قد حصل على دراسة جامعية في معهد لاهوتي أوربي، هو أشبه بمن يرى في الذهب رصاصًا في حين أنه لا يعرف الفرق بين الاثنين.

أكتب هذا مشفقًا على كل من يقول إن كتب الآب متى المسكين تحتوي على تعاليم غير أرثوذكسية. بل هي أرثوذكسية بكل حق عند من درس التاريخ، وغادر مستنقع العصر الوسيط.

العوائق الحقيقية للتحديث:

لعل أول هذه العوائق، ذلك الجيل الذي لم يدرس الكتاب المقدس، ولا اللاهوت، ولا اللغات القديمة، ولا التاريخ الكنسي. هؤلاء إن اكتفوا بخدمة الكنيسة، فإن ضررهم يكون أقل بكثير ممن يدعي العلم وهو في دركات الجهل يرسف.

إن من يريد أن يحاكم فكرًا لا يعرف عنه إلا ما كتب الحاقدون، هو بالضرورة أيضًا لا يقل عنهم حقدًا ولا جهلًا. وإذا جلس هؤلاء على منصة التعليم، ظهرت فضائحهم، وإذا عجزت الصحافة القبطية عن التعليق عليها، فإني أقول لهم إن الإعلام الكنسي العالمي يعرف كل دقائق الفكر المصري كله وليس المسيحي فقط.

لقد نمت المؤسسات التعليمية في الغرب بواسطة الأساتذة، والكتب الدراسية، والمناهج التي لا تنزيل فيها، بل هي نتاج محاولات البحث والاكتشاف الدائم، حتى أن القواميس لم تقف عند طبعة واحدة، يُعاد طباعتها، بل دائمًا ما يعاد النظر فيها مع مراجعة الأبحاث التي كثيرًا ما تؤكد خطأ الباحث، والتي تفرد لها الدوريات المجال للمراجعة.

كان ولا زال الحوار الأكاديمي هو قاعدة التقدم الذي يحترم الرأي، ولا يهدد. بل لقد سمعنا منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة "بالتي هي أحسن"، إلَّا أن طوفان المشاعر وحملات الكراهية قد أضاعت ذلك النداء الذي كان يمكن أن يكون الماء الذي يطفئ لهيب الأحقاد.

تحديث الخطاب الديني (٢)[١]

أهمية اللغات القديمة:

اهتمت مراكز البحث في جامعات أوربا بالدراسات اللغوية منذ ٢٠٠ سنة تقريبًا. فالكلمات هي التي تكوِّن الوعي، ولا وعي بدون كلمات. فقد أدرك علماء الكتاب المقدس بالذات أن اللغات الأوربية الحديثة قد تجاهلت المعاني الصحيحة لكلمات عبرية كثيرة. وعلى سبيل المثال لا الحصر:

كلمة العهد. في العبرية "بريث"، وفي اليونانية "Diatheke"، وفي اللاتينية، وهي أصل كل اللغات الأوربية الحديثة تُرجمت إلى Foedus والكلمة اللاتينية تعني Contract أي الوثيقة القانونية التي تنال رضى الطرفين. لكن عهد الله مع إبراهيم لم يكن كما نقول في مصر باللغة العامية "كونتراتو"، أي عقد، ولا هو معاهدة، بل جاء بتطوعٍ إلهي بسبب الصلاح والرحمة الإلهية، ضد Chesed. فلم يطلب إبراهيم عهدًا مع الله، ولكن الله هو الذي تطوع حرًا بأن يعطي العهد، وبقسمٍ أفاض في شرحه وتأكيده الرسول بولس في رسالتي رومية والعبرانيين.

ولدينا مثالٌ آخر: لازلنا نقول الاسم اليوناني Nomos التي تُرجمت في اللاتينية إلى Lex أي القانون، وبدقة أكثر القانون الطبيعي الذي تخضع له كل المخلوقات. في حين أن التوراة تعني أصلًا التعليم. والشريعة لا الناموس Lex هي الحكمة التي تميِّز بين الخير والشر، وليس الناموس كقانون طبيعي.

وما حدث في حقل اللاهوت الغربي هو أن كلمة عهد صارت وثيقة – عقد

١- مقال نُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في٣٠ نوفمبر ٢٠١٤.

قانوني، أضاف إليها سوء فهم الكلمة الخاصة بالبر، وهي صدقه Tsedaqah التي تُرجمت إلى justitia أي عدل، وبالتالي ضاع المعنى العبراني؛ لأن بر الله هو أمانة الله مع شعبٍ يخون العهد، مع إسرائيل "الزانية" -حسب نبوة هوشع- التي عاد إليها زوجها، رغم أنها خانت وعبدت الأوثان.

هذا الخلط الذي وُلِدَ بسبب عدم الفهم أدَّى إلى ظهور التفسير القانوني Legalistic لعلاقة الله والإنسانية في العهدين القديم والجديد.

وتحصن لاهوت العصر الوسيط في سوء الفهم هذا، ووجد في بعض كلمات الرسول بولس بعض ملامح الفكر القانوني المبني على سوء فهم العبرانية، بل واليونانية أيضًا. وهنا نتعجب: كيف غاب عن عقول قادة حركة الإصلاح عبارة الرسول بولس: "أما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس، أو الشريعة"(رو ٣: ٢١)؟

تلك أمثلةُ أسوقها ردًا على "فضائح" الدراسات التي قُدِّمت في مصر، بزعم أنها رسائل علمية، وأشرف عليها مَن لم يحصل على درجة علميةٍ عليا في الدراسات اللاهوتية، ولا يعرف اللغات القديمة، وتحديدًا اللغة العبرية واليونانية، بل وحتى القبطية، التي لا يعرف منها إلَّا ما يردده -حفظًا- في الصلوات، والأمل أن يكون مدركًا لما يقول!

أقول تلك أمثلةُ أسوقها، لعلنا ندرك خطورة ما نفعل، وجدية ما يتطلبه منا تحديث الخطاب من إجراءات.

انعدام التخصص:

كيف يُشرف على قسم اللاهوت في معهد الدراسات القبطية مَن درس اللاهوت دراسة منزلية؟ لماذا لا يحصل على منحة ليدرس في معهد لاهوتي، ويحصل على شهادة في التخصص في أي فرع من فروع علم اللاهوت؟

كيف يمكن أن نسير في موكب التحديث الذي طلبه الرئيس عبد الفتاح السيسي، وليس لدينا من يقود موكب التحديث هذا، بل والانتقال من مستنقع العصر الوسيط إلى تراثنا الأرثوذكسي الأصيل؟

صحيحٌ ما قاله أحد قادتنا السياسيين من أن تحديث الخطاب الديني المسيحي قد يستغرق الفترة التي يجلس فيها ثلاث باباوات على الكرسي المرقسي، مدركًا أن القيادات الحالية لن تترك المجال للعلمانيين المتخصصين. خصوصًا وقد شاهد الكل الزوبعة التي أثيرت ضد تعيين ثلاثة من الحاصلين على درجات علمية من الخارج للتدريس في كلية اللاهوت "الإكليريكية"، وانتهى الأمر إلى عدم تعيين هؤلاء كمدرسين بمرتب، بل انتدابهم لتدريس بعض البرامج.

هكذا تُظهر زوبعة الجهل والخوف ما تسترت عليه سكرتارية المجمع طوال ٢٥ عامًا، من عزفٍ على نغمات طبل جميع الهرطقات، بينما لم يتجاسر أحدٌ على القول بأن تناول الناسوت فقط هو تعليم نسطور الذي حُكم عليه في مجمع مسكوني في ٤٣١، ولم يتراجع مَن أخطأ، بل حَكَمَ على غيره الذي لم يخطئ في ظل صمت أعضاء المجمع، بل وتوقيعاتهم!!!

وإن كان القرار الأخير بتأسيس مكتبة التراث القبطي هو بارقة أملٍ في عتمة ليل الجهل الطويل، إلَّا أن التساؤل لا يزال مطروحًا: كيف يمكن أن نبدأ بالتحديث، بينما قرارات المؤتمر الذي احتضنه قداسة البابا تواضروس الثاني لا تزال حبرًا على ورق؟

تحديث الخطاب اللاهوتي
في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية[١]

سوف يختفي حتمًا "ضباب الاتهامات" التي استمرت زُهاء ٤٠ عامًا؛ لأنها كانت -بكل أمانة ودقة- "كلام فارغ" يهدف إلى تأليب الرعاع ضد أشخاص كانت ولا تزال لهم خدمتهم وعرقهم وتعبهم في سبيل استرداد الوعي الأرثوذكسي بالتسليم الكنسي. هذا الرجاء ليس مجرد "سراب"، بل حقيقة تلوح، ليس في الأفق البعيد، بل هي أقرب إلينا مما كنت أظن أنه عمل مستحيل، فطوال ٤٠ سنة يشن فيها الإعلام الكنسي حربًا تساهم فيها الفضائيات لترويج التعليم الشعبي الذي يفتقر إلى الأصالة والصدق، والذي تحول فيها إلى صرخات تجمع الرعاع للهجوم على أشخاص قدَّموا حياتهم كلها للبحث والترجمة والنشر لكي تعبر الثقافة والفكر ما ساد في السنوات ١٩٤٠-١٩٨٠ وبعدها إلى ما هو صحيح وحق في الأرثوذكسية.

الاختلاف حول ترجمة الآباء:

الاختلاف حول ترجمة الآباء ليس هرطقةً، بل هو نوعٌ من البحث. فكلُّ عاقلٍ حرٍّ لا بُد وأن يفهم أن الآباء كتبوا باليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية، ولم تظهر كتابات عربية مسيحية إلَّا بعد انتشار الإسلام، ربما بعد القرن العاشر، وإن كانت لدينا ترجمة عربية للعهد الجديد نشرها المستشرق الدكتور H. Staal بإشراف د. عزيز سوريال عطية تعود إلى القرن الثامن. وانكب على دراستها مستشرق آخر هو الدكتور R. Bailey وساهم الأب سمير خليل

١- مقال نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٥ ديسمبر ٢٠١٤.

اليسوعي بقسطٍ وافر في نشر الوثائق العربية مع تحقيق النصوص.

وإذا تجولنا في هذه الترجمات، لوجدنا أن كلمة "مخلص" قد تُرجِمَت في عربية القرن الثامن إلى "المحيي"، أي واهب الحياة، وهكذا انتقل معنى فعل "يخلص" إلى فعل "يحيي"، وتُرجمت كلمة "شك" إلى "قلبين"، أي الإنسان الذي له قلبين .. وما أكثر المفاجآت في الترجمة العربية.

أكتب هذه الكلمات ليس ردًا على الأستاذ مجدي داود، وهو باحث ممتاز، نقل عن الترجمات الإنجليزية، ولديه إصرارٌ على استخدام مصطلح "الاحتواء"، رغم أن الفعل "يحتوي" له دلالات أخرى في العربية، ولا يصلح أولًا لشرح تجسد الرب، ولا يجوز استخدامه في التعبير عن هبات تجسد وصلب وقيامة الرب الفاعلة، والواهبة لشخص أو أقنوم الكلمة نفسه في السرائر؛ لأن اللاهوت لم يحتو الناسوت، ولا الناسوت احتوى اللاهوت.

هذا، ورغم براءة الفعل، إلَّا أنه يقود إلى عودة الأوطاخية؛ لأنه إذا جاز لنا أن نتكلم عن احتواء اللاهوت للناسوت، لا يجوز أن نتكلم عن احتواء الناسوت للاهوت. وقد سبق ونشرنا دراسةً عن تألُّه ناسوت الرب يسوع، وبقاء هذا الناسوت طبيعة مخلوقة؛ لأن الخلاص لا يُبيد ولا يُدمِّر ما خُلق، بل يعطي له الحياة. ولذلك لا يصلح استخدام هذا الفعل لما له من تشابك مع دلالات الأفعال العربية مثل الاحتواء والسيطرة والغلبة.

الجهد الأول:

ما ينبغي علينا عمله، ليس التمسك بما ورد لا في العربية ولا في الإنجليزية، بل ولا حتى في اليونانية نفسها. وأرجو من القارئ العزيز ألَّا ينزعج؛ لأن مشكلة كل الهرطقات هي الألفاظ، وحروف الجر، والاستخدام اللغوي لتدمير الإيمان. ولكي لا نسقط في حفرة الهراطقة، علينا أن نسأل: هل لدينا عدة ألفاظ أو عدة

مصطلحات تعبِّر عن حقيقةٍ ما؟ يبدو مأساة الهراطقة في المصطلح الواحد الذي يشمل كل شيء. وهذا هو مدخل الباطل، وطريق إنكار الإيمان. واذا أخذنا اتحاد اللاهوت بالناسوت مثالًا، لوجدنا أن لدينا عدة مصطلحات:

أولًا: لدينا تعبير "الاتحاد الأقنومي" السائد في القرن الخامس.

ثانيًا: لدينا تعبير آخر هو "تبادل الصفات"، أو
Communicatio Idiomatum

ثالثًا: إخلاء الذات (فيلبي ٢: ٦ - ٨).

رابعًا: تحول الخبز والخمر.

الاتحاد الأقنومي:

من التعبير الأول نعرف أن الابن عندما تجسَّد هو واحدٌ معنا في الجوهر حسب الناسوت، وواحدٌ في الجوهر حسب اللاهوت، وهو ما نرتله في التسبحة السنوية، أو بالأحرى اليومية، وشرحه القديس كيرلس بوفرة في المقالات الخمس ضد نسطور، وفي "شرح تجسد الابن الوحيد"، وغيرها.

تبادُل الصفات:

وتعبير "تبادل الصفات" لا يسمح بالاحتواء، بل يقبل الحلول والاتحاد؛ لأن صفة من صفات الناسوت مثل الموت، التي أخذها الرب وبها أباد الموت، لا يحتويها اللاهوت، بل تُباد، وتظل في الاتحاد حسب التدبير إلى أن يحين استعلان الخلاص. ويقبل الرب الموت الذي يأتيه لا من الداخل مثلنا، بل من الخارج[٢] لأنه ليس مثل الخطاة الذين تدمِّر الخطيةُ الحياةَ فيهم؛ لأن الطبيعة القابلة للموت وغير الخالدة، رغم اتحادها باللاهوت ماتت فعلًا وحقًا، وبموتها مات الموت، أو حسب تعبير العظيم أثناسيوس: "مات الموت" (تجسد الكلمة ٣٠: ١)؛ لأن ذبح المسيح قد أمات الموت.

٢- من الخارج، راجع العظيم اثناسيوس: تجسد الكلمة ٢٢: ٣، ٢٤: ١.

إخلاء الذات:

وطبعًا، إذا كان الابن مخلصنا قد أخلى ذاته، وقَبِلَ الضعف والموت صلبًا، فإن تعبير الحلول والاتحاد هو أقرب إلى فهم سر المسيح من استخدام تعبير الاحتواء، مهما كان القصد؛ لأن صورة العبد التي صُلب بها الرب نالت المجد الذي كان مخفيًّا حسب التدبير واستُعلِن في التجلي على الجبل، وظهر بكماله بعد القيامة، فلم تحتوِ صورة العبد مجد الابن لأنه أخلى ذاته.

تحول الخبز والخمر:

نشرنا من قبل دراستين عن تأله ناسوت الرب ردًا على تُرَّهات بعض الإكليروس، وعن تحول الخبز والخمر، وهو ذات الفعل الذي استُخدم له تعبير Meta-Stoicheisis وتُرجمت إلى Transelementing والمحتوى وليس اللفظ وحده هو تحول الخبز والخمر بتجلي الحياة، ولذلك يجانب الأنبا بيشوي الصواب عندما يقول: "نقيم تذكار آلام الرب وموته وقيامته"، فهذا ليس ذكرى فقط، بل هو شركة في الصلب والقيامة ونوال الحياة الأبدية وغفران الخطايا وميراث الملكوت.

ونحن لا نحتوي المسيح، كما أن المسيح لا يحتوينا؛ لأننا جسده أي الكنيسة، وكل عضو له الخصوصية والتمايز، هو لا يُحتوى ولا يحتوي، بل يتَّحد.

الجهد الثاني:

ما ينبغي علينا عمله ثانيًا، هو ألَّا نقف عند تعبير واحد، بل كما سُلِّمَ إلينا، علينا أن نتبع "مجال الأسفار" (القديس أثناسيوس في الرد على الأريوسيين ٣: ٢٨، ٢٩، ٣٢). والمقصود بـ "مجال الأسفار" المعنى الكامل الذي لا يُدرك من عبارات ولا مصطلحات، بل:

أولًا: غاية التدبير، وهي نوال الحياة الجديدة وميراث الملكوت ... إلخ

ثانيًا: إن ما استُعلِن في تجسد الرب وموته وقيامته وصعوده وانسكاب الروح القدس، يجب أن يقودنا إلى فهمٍ صحيحٍ للإيمان بعمل الثالوث الواحد. ولذلك كل من يقول بأن الابن له المجد دَفَعَ فديةً لله الآب، هو مُجدِّفٌ -عن جهل- على وحدانية حياة وجوهر الثالوث. وكل مَن يقول إن الطاقة أو القوة هي غير الأقنوم، ينكر التجسد؛ لأن الذي تجسد ومات وقام وصعد حيًا لم يكن طاقةً ولا قوةً، بل هو أقنوم الله الكلمة المتجسد، وما يمنحه الابن له المجد، إنما هو يمنحه من كيانه: "أنا هو القيامة والحياة". وعطية الروح المعزِّي الذي من عند الآب ينبثق ليس طاقةً، بل هو الأقنوم (يو ١٥: ٢٦)؛ لذلك، ليست الألفاظ، بل الهدف هو المطلوب إيضاحه؛ لأن استعلان الابن والثالوث هو استعلانٌ يهدف إلى خلاص الإنسان، ونقله إلى حياةٍ إلهيةٍ، أي الحياة الأبدية.

ولاحظ -عزيزي القارئ- أنه عندما يميِّز أحد مدعيّ المعرفة بين تعبير "حياة إلهية" و"حياة أبدية"، فهو حسب اللغة، على صواب، أما حسب الإيمان، فهو هرطوقي؛ **لأن ما هو أبدي هو إلهي، فليس أبديًا إلَّا ما كان إلهيًّا.**

إذن، الاحتكام إلى الألفاظ فقط، هو سبب ذلك الضباب الذي ينقشع إذا توفرت لدينا نيةٌ صادقةٌ للبحث عن الهدف.

التحليل اللغوي لا يحدد الإيمان:

ليس لدينا سياسة اتهام أحد بالبدعة إذا أخطأ في التعبير أو استخدام لفظًا قد يطوح بالحقيقة في مجال آخر، بل نحن نرد -حتى على مَن يحطم الثوابت ويهاجم التسليم الكنسي- بالحق والشهادة، داعين إلى الحوار لا إلى العقوبة أو الحرمان.

ولعل أهم ما يجب أن نحرص عليه هو العودة دائمًا إلى ذات الأفعال والأسماء التي وردت في الأسفار المقدسة، وإلى المناسبات التي استخدم فيها الآباءُ لفظًا معينًا وتحديد معاني استخدامه من خلال المحتوى، لا بمرجعية التحليل اللغوي

وحده، بل بالرجوع أيضًا إلى مجال الأسفار، وهو ما أشرنا إليه توًا. ولعل أفضل مثال على ذلك هو فعل "يحل" وفعل "يسكن"، فكلاهما له هدفٌ واحد، أن يحل ملء اللاهوت في الابن (كولوسي ٢: ٩)، ويسكن فينا الآب والابن (يوحنا ١٤: ٢٣). طبعًا -لغويًا- نحن إزاء فعلين مختلفين، ولكن في تدبير الخلاص لا يحدده الفرق اللفظي بين "يحل" و"يسكن"؛ لأنه في النهاية، أي الغاية هو أن نصبح نحن أعضاء جسد المسيح الكنيسة (١كو ١٢: ١١ - ١٢)، وحتمًا لا يجمع المسيح أعضاء جسده بوسائط بيولوجية، بل بالاتحاد الأقنومي، وأيضًا بإخلاء الذات الذي يجعل الابن يسكن فينا، ونحن فيه الأعضاء التي تنمو في النعمة والمعرفة، والتي ليس لها ما يؤهِّلها لأن تنال عضوية في جسد الرب.

في النهاية

هل سيأتي زمان الحوار الصادق والأمين، أم سيظل الدفاع عن أخطاء الجيل الذي نعاصره هو المحرِّك والملهِم لكل ما نكتب؟ هذا سؤال يقع في إطار مسئولية هذا الجيل الذي ترك أدبيات الأربعينات، والذي أطلق عليه باحث قبطي معاصر اسم "الأربعينيين"، ثم تراه بعد ذلك جيل "السبعينيين"، ثم جيل "الكرازيين"، أي الذين تربوا على مقالات مجلة الكرازة التي كانت لها بداية حسنة في نشر أبحاثٍ، ولكنها تحولت إلى صحافة إعلام وأخبار وثقافة شعبية.

ملحق[1]
رَدٌّ على تعليق الأخ صليب

ورد إلى الموقع تعليق من الأخ صليب على مقالنا عن تحديث الخطاب اللاهوتي في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، قال فيه:

أستاذي الفاضل الكبير، دكتور جورج حبيب

لك الحق في كل ما تكتبه، وأما فكرك اللاهوتي، وتعليمك، فهو أنقي وأرقي فكر لاهوتي، وذلك لأنه امتداد لفكر الآباء الأولين، الذين أناروا عيون وقلوب المؤمنين على مر العصور. ولقد تمتعت وما زلت أتمتع بهذا التعليم الراقي، وذلك منذ أن تتلمذت على يديك في سبعينات القرن الماضي. ولقد تأملت وما زلت أتأمل على ما كل ما أصاب محبتكم طوال هذه السنوات الماضية، نتيجة محاولاتكم الأمينة والمخلصة لإعادة التعليم في الكنيسة إلى الينابيع الأولى، وإنني أؤمن كما ذكر سيادتكم، أنه نعم، سيصير فكر الآباء، فكر الينابيع الأولي، هو فكر الكنيسة في هذا الجيل والأجيال القادمة، وذلك لأن تعبكم ليس باطلا أبدا في الرب.

الشيء الوحيد الذي أود أن أناقشه مع حضرتك يا دكتور جورج، فما لفم، هو أن قادة هذا الجيل وخاصة سيدنا البابا القديس البابا شنودة، فرضت عليهم تحديات زمانهم، أن يكون لهم فكرهم اللاهوتي الخاص، لمواجهة الفكر الإرهابي التكفيري، الذي عانت وعاني منه الكنيسة والمؤمنين.

وأنا لن أكون غريب أبدا عليك يا دكتور جورج، للحضرتين في قلبي محبة كبيرة، وأيضا في قلب محبتكم محبة كبيرة لضعفي، حتى وإن كانت قد مرت

١- نشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢١ ديسمبر ٢٠١٤.

سنوات كثيرة لم نتقابل، ولكني أتقابل كل يوم مع تعليمكم الرائع والذي تغتذي به دائمًا، فليحفظ المسيح حياتك الغالية، يا أستاذنا الجليل.

تلميذك، المخلص والمحب لك.

وردًا على هذا التعليق نقول:

أولًا: أشكرك جزيل الشكر على ما أبديتموه من شعوركم تجاه شخصي الضعيف، طالبًا لك من رب المجد كل نعمة وبركة.

ثانيًا: ليت روح الحق وحده، ينطق على لسان كل من هو مهموم بالكنيسة.

لقد قرأت تعليقك، وأمامي أحد احتمالين:

١- إما أنك لم تكن موجودًا في مصر طوال ٤٠ عامًا.

٢- وإما أنت ترى وتفهم بالعاطفة وحدها.

الإيمان ليس له علاقة بالمرة بالأشخاص. نحن نقر ونعترف -بعد جحد الشيطان- حسب طقس كنيستنا: "التصق بك أيها المسيح إلهي"، وهو المعنى القبطي الذي يُدخلنا في شركة حقيقية مع الرب يسوع المسيح نفسه؛ لكي يصبح يسوع هو الوجود والحياة.

أما "صوت العاطفة، فهو ضعيف الحجة، بعيدٌ عن إدراك الحقيقة"، وأتمنى أن يُحرِّك الفهم والتمييز عواطفك؛ لأننا لسنا أمام ولاءٍ لشخصٍ، مهما كان هذا الشخص. لا ولاء لنا إلَّا للمسيح المخلص والفادي، والكنيسة تعلِّمنا ذلك؛ لأن الرب يسوع -حسب التسليم الكنسي- هو: "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح"، تلك صيغةٌ لم أجد لها صيغةً ليتورجية مثيلة عند الكنائس الأرثوذكسية الأخرى. طبعًا أنا أقصد الولاء للإيمان، للحياة التي من الرب والإله والمخلص ربنا يسوع المسيح، والذي هو يملك كل ما فيها، فلا فضلَ فيها لقسٍّ أو قمصٍّ أو أسقفٍ أو بطريركٍ؛ لأن الحياة التي أخذناها، بالرغم من أن هؤلاء

خدموها فعلًا، ولكنها ليست حياتهم هم، بل هي حياة الرب يسوع: "هبة الله هي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٣)، لذلك -يا أخي الكريم- أضع أمامك هذه الحقائق التي نُشرت في مجلة الكرازة، والتي لا تزال تنشر على عدة مواقع الكترونية، على أنها تعليم أرثوذكسي.

أولًا: الثالوث القدوس:

هو ثلاث صفات: الوجود والعقل والحياة. وهي بدعة سابيليوس.

ثانيًا: تجسد الابن الوحيد:

يقول إن ناسوت الرب "هو مولود غير مخلوق"، والعبارة خاصة بلاهوت الابن وليس بتجسده، وهي هرطقة ابوليناريوس.

ثالثًا: الكنيسة:

أدخَلَ البابا شنودة الثالث ما صار يعرف بنظرية الأجساد الثلاثة: جسد الرب من والدة الإله – جسد الرب في العشاء الرباني – الكنيسة جسد المسيح. وفَصَل بين الثلاثة، فلم يعد لدينا كنيسةً واحدةً مقدسةً، وجسدًا واحدًا، هو جسد ربنا الواحد غير المنقسم إلى ثلاثة أجساد. وهذه هرطقة خاصة به وحده، فلا وجود لها في التاريخ الكنسي.

رابعًا: الإفخارستيا:

كما قال هو إننا نأخذ ناسوت الرب فقط، وليس المسيح الله الكلمة، وهي هرطقة نسطور.

خامسًا: الروح القدس:

الروح القدس ذاته لا يُعطى، وإنما الذي يُعطى هو المواهب، ووصلت البدعة في شكلها الجديد إلى "الحلول المواهبي" حسب تعبير بعض تلاميذ أنبا شنودة الثالث.

سادسًا: رئاسة الكنيسة:

البابا هو رأس الكنيسة وليس المسيح الرب، وذلك نقلًا عن المصادر الكاثوليكية التي تنازل عنها الكاثوليك. وكاد يحاكَم نيافة الأنبا بفنوتيوس أسقف سمالوط على كتاب «رئاسة أعمال الكهنوت» الذي قال فيه إن رئاسة الكهنوت هي للرب وحده.

هذه هي قائمة مختصرة عن تعليم الأنبا شنودة الثالث، وهي كلها تجدها منشورة في مجلة الكرازة – وكتاب بدع حديثة، وغيره مما كتب.

أنا -يا أخي- لا شأن لي بحياته الشخصية. هو المبتدع، وبالرغم من ذلك، يحاكِم غيره على بدع غير موجودة إلَّا في عقله هو، وعقول أساقفته التي تم شحنهم بها.

الإدارة الكنسية:

انتهينا إلى وجود جيش من الأساقفة، لم يدرس لا الكتاب المقدس، ولا التاريخ، ولا العقيدة الأرثوذكسية، مما جعل الحوار متعذرًا، بل مستحيلًا.

أليست فضيحة -جعلت كنائس المسكونة تسخر منا- أن يوضع في سكرتارية المجمع طوال ٢٥ عامًا، ثم بعد ذلك يرأس معهد الدراسات القبطية، مَن لم يدرس ولم يدخل حتى إكليريكية، ولا درس في أي معهد لاهوتي أرثوذكسي؟ ويُقال لنا إن لديه من يُترجم له ويُقدم له دراسات "منزلية"، وهو ما تشهد به مقالات مجلة الكرازة عن الخطية الأصلية وموت المسيح النيابي .. إلخ وما كان منشورًا على موقعه الذي تم -بحمد الله- تعديل الكثير فيه يشهد بأنه لم يتجاوز العصر الوسيط.

ثم، ما هو سر العداء والهجوم الدائم على الأب متى المسكين؟

أنت تقول "إن قادة هذا الجيل وخاصة سيدنا البابا القديس البابا شنودة،

فَرَضَت عليهم تحديات زمانهم، أن يكون لهم فكرهم اللاهوتي الخاص، لمواجهة الفكر الإرهابي التكفيري، الذي عانت وعاني منه الكنيسة والمؤمنين". فهل كان تعليم الأب متى المسكين هو سبب إثارة الجماعات الإسلامية؟ وما علاقة التعليم بالخطية الأصلية، ونظرية الأجساد الثلاثة، والموت النيابي، وعدم حلول الروح القدس فينا بل المواهب ... إلخ بمواجهة الفكر الإرهابي؟ هل تقصد أن التعليم بتلك الترهات كان وسيلةً لمواجهة الفكر الإرهابي والحد من معاناة الكنيسة والمؤمنين منه؟!!!

لا يليق يا أخي أن تسمح للعواطف بأن تقدم لك حجةً واهيةً؛ لأن ما حدث طوال ٤٠ عامًا كان هدمًا منظمًا لكل ما سُلِّم إلينا من تعليم وحياة، تراه اليوم سافرًا في حياة أساقفةٍ صاروا ملوكًا وأمراء لشعب يبحث عن القوت الضروري والدواء والسكن. وإذا حدثت مشاكل زوجية، فإن إصدار تصريح الزواج الثاني يتطلب دفع ما بين ٢٠ إلى ٤٠ ألف جنيه، وبعضها دُفع بالدولار الأمريكي ..

لو كان لدينا نخوة وشجاعة، لشكَّلنا لجنة تقصي حقائق لمحاكمة المسئولين، ولكن يبدو أنهم فوق المسائلة ..

في النهاية، أرجو ألَّا تضعني في صفٍّ واحدٍ مع الأنبا شنودة الثالث؛ لأن هذا ضد كل ما تشهد به الأحداث والوثائق. ليترأف الرب على قداسة البابا تواضروس الذي ورث تركةً ثقيلة، سوف تكلفه مواجهتها الكثير، أعانه الله على حملها ومواجهتها.

العموميات، السُّمُّ البطيء القاتل[١]

الأخ/ .....

سلام ومحبة، وهذه ليست عبارة عامة، بل هي كلمات تعبِّر عن واقع الحياة المسيحية التي تُكوِّن الشعور والوعي والعلاقات الإنسانية. سلامٌ من أصلٍ هو المصالحة وهي خدمة يسوع الوسيط، ومحبة من المحبة الثالوثية المستعلَنة التي أخذناها وقبلناها في المسيح.

التعليقات هي نبض القراء جميعًا، وهو ما يجب أن نأخذه بكل اهتمام إلَّا ما خرج عن الآداب المسيحية أو المصرية. وهنا يا أخي لسنا بصدد مدح أو ذم أي إنسان، كلمات المديح مهما كانت لن يكون لها أي جدوى إلَّا إذا كانت فيها همسة حكمة وتشجيع.

الغنوسية مدرسة خاصة لها أساس لاهوتي شاذ، وهو تقسيم كل شيء إلى خير وهو ما هو روحي، وشر وهو ما هو مادي. وأول الشرور هو الجسد والطعام. المستنير هو الرتبة الثانية، وهم أولئك الذين يسعون للفكاك من الجسد بالابتعاد عن الزواج وأكل اللحوم وشرب الخمر وطلب الحكمة والاستنارة بنسكٍ معقَّدٍ تجده في الكتاب المدون باللغة القبطية باسم الإيمان والحكمة Pistis Sophia كُتب ربما في القرن الثالث، والحكمة أي Sophia هي كائن مؤنث، وهو اسم الروح القدس عند الغنوسيين.

كان من الضروري كتابة هذه السطور لكي نحذِّر كل القراء من العموميات، فهي سُمٌّ بطيء قاتل للذكاء. أنا لا أقصدك أنت بالذات، ولكن لدينا مشكلة في

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٣ إبريل ٢٠١٥.

التعليم، سبق الإشارة إليها أكثر من مرة، ولكن يبدو لي أن الأساس التاريخي لا زال غير واضح رغم صدور دراسة لنا بعنوان "المدخل إلى اللاهوت"، صدرت منذ أكثر من عشرين عامًا.

أولًا: التعليم تاريخيًّا، كان له شقان: الموعوظين والمؤمنين. وما ذكرته يا أخي عن التألُّه والتبني والإفخارستيا، هو خاص بتعليم المؤمنين الذين أخذوا بدايات الإيمان، أو الأساسات في حقبة الوعظ السابقة على إعداد هؤلاء للمعمودية، والتي تستمر بعد المعمودية. الموضوعات التي أشرت إليها يسبقها: خلق الإنسان – التجسد – الإنسان صورة الله ومثاله – تحول الكيان في المسيح – الرب يسوع الوسيط – استعلانات الله والعهد الأول – الشريعة – الصلاة تحت العهد الأول – حاجة الإنسان إلى التجديد – مشكلة الموت – النمو الروحي – العهد الجديد والأخير – عمل الروح القدس في العهدين (القديم) الأول والجديد – المعمودية – المسحة – الصلاة في العهد الجديد – شركتنا في المسيح بالروح القدس – الإفخارستيا – الثالوث.

هذا كله مدون في كتابين: الأول للقديس كيرلس الأورشليمي، والثاني لذهبي الفم. الأول هو تعليم الموعوظين الذين استعدوا لنوال سر المعمودية.

ثانيًا: كان التعليم اللاهوتي بعد الموعوظين يتألف من قسمين: التدبير، أي خطة الله للخلاص، والثيؤلوجيا وهي طبيعة الله – الأقانيم – شركة الثالوث – شركتنا في الثالوث. التبني كان موضوعًا هامًا في التدبير، ومعه أيضًا التأله.

كان التدريس يسبق المعمودية والمسحة ويستمر. بعد ذلك حدثت ثلاثة انهيارات: الأول هو شيوع معمودية الأطفال بلا إعداد وتعلم. والثاني تدمير مدرسة الاسكندرية على يد الفرس ثم الفتح العربي. وجاء الانهيار الثالث محصلة لما سبق، وهو نقل التراث من اليونانية إلى القبطية بعد ٤٥١ ولم يصلنا تراثنا بالكامل بسبب فتوحات مصر – الأمويين – العباسيين – الأتراك العثمانيين

وتدمير البنية التحتية لمصر والكنيسة في العصر العثماني، وهو أشر ما حدث في مصر.

نحن يا أخي لا نحتاج إلى التهكم أو السخرية، بل إلى العمل الشاق والجاد. في العصر العربي الذي يبدأ بابن المقفع ساويرس أسقف الأشمونين، كان لدى زكريا بن سباع التعبير العربي "أخلاق الربوبية"، وهو ما نقصد به التألُّه. أي الحياة الإنسانية المنسجمة مع حياة الله حسبما ورد في تعليم الرب في العظة على الجبل؛ لأن العظة على الجبل هي أخلاق الربوبية.

من اللغة العربية تسرَّبت لدينا كلمات، بل ومعتقدات لا تعرفها المسيحية. والمثال الصارخ هو "العبادة"، وهي كلمة عبرانية – عربية. تعود إلى العهد الأول (القديم) ولكن الكلمة اليونانية προσκυνεο تعني السجود والكلمة الأكثر هي λατρεια وتعني خدمة وهي ϣⲉⲙϣⲓ وهي خدمة الثالوث لنا لأننا لسنا عبيدًا نخدم الله، بل يخدمنا الابن أكبر خدمة في بذل ذاته عنا وتقديم حياته في سر الإفخارستيا.

المقارنة بين أسلوب أثناسيوس وأسلوب أريوس هي مقارنة ظالمة وعامة جدًا، ولذلك، العموميات سُمٌّ قاتل لأنها سُمٌّ بطيء لا نشعر به. فما هو وجه المقارنة، علمًا بأن المقالات الأربعة للرد على الأريوسيين للعظيم أثناسيوس، كُتب أصلًا للرد على أناشيد أريوس "الثاليا"، أو "المأدبة".

حسب تاريخنا العظيم، يجب أولًا تقديم موضوع الإنسان: الإنسان والثقافة – الإنسان والحرية – الوعي واللغة – الصور المتعددة للذات الإنسانية.

وبعد ذلك: الموت، وهو الموضوع الأصلي، وليس الخطية.

يا سيد (.....)، الخلاص هو خلاصٌ من الموت، والموت هو الموضوع الأول، والخطية هي الموضوع الثاني. هذا عكس الاتجاه العام السائد في مصر، وهو

وافد إلينا مع الإرساليات. ثم اغتراب الإنسان عن الله – عودة الشركة بإبادة الموت، أي كيف دمَّر الموت الكيان الإنساني، وكيف جاء المسيح بتجديد الكيان الإنساني؟

رجل الشارع:

رجل الشارع هو محصلة العصر الأموي – العباسي – التركي – الصراع السياسي منذ ١٩١٩. رجل الشارع ليس هو ابن الأمس القريب، بل ابن الأمس البعيد الذي تم السيطرة عليه إعلاميًا منذ ١٩٥٢ مع استفاقة سبقت ٦٧ ثم إغماء ثقافي طويل بعد ذلك لا زال ساري المفعول. كانت سلسلة الألف كتاب في عصر الرئيس عبد الناصر، ثم المسرح القومي .... الخ وانهارت أدوات الثقافة، ولم يبق إلَّا المجلات والجرائد. ثم جاء الهجوم على طه حسين ونجيب محفوظ – القمص متى المسكين - ومُنعت كتب لويس عوض – أنور عبد الملك – عبد الرحمن بدوي – طبعًا جاءت شبكة المعلومات بفتح ثقافي لم يكن متوقعًا.

لاحظ الفرق الهائل في أعداد مجلة الطليعة التي كانت تصدر من الأهرام طوال عصر عبد الناصر، ثم بعد وفاة عبد الناصر ...

بلُغة أحمد فؤاد نجم، "التسطيح" والطبقة السطحية هي الإعلام الذي أدخل الكثير من موبقات الجهل والتعنت والرفض والعنف في الفضائيات التي كانت تطالب بهدم أبو الهول طوال عهد مرسي وهدم الأهرام وسرقة المتحف المصري وغيره من المتاحف.

تحديث الخطاب الديني المسيحي:

سمعت الرجل المحترم الرئيس عبد الفتاح السيسي مرتين يتحدث عن تحديث الخطاب الديني، ولاحظ أنه لم يقل "الإسلامي"، وهكذا ترك لنا نحن في الكنيسة أن نفهم الرسالة، ولكن حتى كتابة هذه السطور لم أقرأ ما يستحق

الإشارة إليه.

ليست العودة إلى التراث فقط، بل كما قال أكليمنضس السكندري في سنة ١٩٠: "الحوار هو أول خطوة لمعرفة الحقائق"، فليس هناك مجلة علمية تاريخية للحوار. مجلة مدرسة الإسكندرية ذات مستوى عال من ثقافة ومعرفة رائعة، ولكن باب الحوار مغلق خوفًا على سلطان الإكليروس.

لنا عودة يا أخي مع تحديث الخطاب الديني المسيحي.

مزلقان الاستبداد[1]

أصبح مزلقان السكة الحديد في بلدنا، أحد مصايد الموت، ففي غيبة حارس المزلقان يمر قطارٌ سريع، ينهي -بذات سرعته- حياة بشر لا يوجد في خبرتهم أي إحساسٌ بالسرعة أو المسافة، حتى لو كانوا يركبون وسائل نقل حديثة؛ لأن سرعة الدواب هي خبرتهم ومقياسهم الذي لم يعد يلائم وقع الحياة المتسارع.

وما يفعله القطار في غيبة الحارس، تفعله تصريحات بعض المسئولين، فقد يصدر عن أحدهم تصريح يقضي على الحرية، ويفتح الطريق لمرور قطار الاستبداد السريع الذي يدمِّر أعظم ما ينتجه أي مجتمع بشري، ألا وهو العلاقات الإنسانية التي تربط -برباط وثيق- الفرد والأسرة والجماعة.

أقول هذا بمناسبة عبارة نُسبت إلى قداسة البابا تواضروس الثاني أثناء اجتماع مجمع الكنيسة القبطية الأخير، ردًا على شكوى مقدمة من أسقف فرجينيا، حيث نُسِب للبابا قوله: "أنا المجمع"، وصَمَتَ الكلُّ، ما عدا أنبا مايكل صاحب الشكوى الذي قال: "أُمَّال احنا نبقى أيه؟".

صمتُ الرجال عيبٌ كبير لا يمكن للفظٍ أن يبرره ولا أن يعبِّر عنه. تُرى هل كان هذا الصمت هو صمت الخوف، أم هو صمت اللامبالاة الذي يحول المزلقان إلى مصيدةٍ للموت؟

العبارة المنسوبة لقداسة البابا تواضروس، عبارة خطيرة جدًا؛ لأنها دهست الحرية وأنهت على الحوار، وحولت الكنيسة العريقة إلى قطارٍ يدهس المعارض، لكن هذه المرة ليس في غيبة حارس المزلقان، بل في حضوره!!!

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٩ يونيو ٢٠١٥.

لكن، تُرى هل جاء قداسة البابا تواضروس بجديد؟

سبق للبابا شنودة الثالث أن قال عبارة لا تختلف عن عما نُسِب للبابا تواضروس، عندما قال: "أنا أقبض على الكنيسة بقبضة الحق"، ومثلما قوبلت عبارة البابا تواضروس بصمتٍ عدا صاحب الشكوى، قوبلت أيضًا عبارة الأنبا شنودة بصمتٍ مماثل، عدا من احتج عليها من خارج الكنيسة.

مزلقان الاستبداد هو اختزال الكنيسة، وتلخيص تاريخها العريق الممتد عبر ألفي سنة في شخص واحدٍ، فيدهس هذا الاختزال كل من يقف أمامه ويحول الحرية والحوار إلى أشلاء.

كان للأنبا شنودة أيضًا عبارة أخرى، لا تقل عن سابقتها في درجة الخطورة. ففي سياق حديثه عن موضوع الزواج والطلاق، قال إنه يريد "كنيسة الأنقياء"، وهو تحديدٌ غريب عن كل تراث مسيحي معروف ومدوَّن في تاريخ المسيحية.

لكن، يجب أن نسجِّل -للتاريخ- ذلك الخطأ السياسي القاتل الذي دفعت مصر ثمنه، ألا وهو تعامل الإعلام والقيادة السياسية مع بطريرك الكنيسة القبطية على أنه هو الكنيسة كلها، وأنه ينوب عن كل الأقباط. وكان توجُّه الرئيس السادات بطلب ترشيح أسماء قبطية لمجلس الشعب، هو أحد مساهمات الإعلام والقيادة السياسية في القضاء على دور القيادات التي تُعرف باسم "العلمانيين"، بل ذهبت البطريركية نفسها على إطلاق اسم "المتحدث الرسمي باسم الكنيسة القبطية"، في حين أن الاسم الواقعي هو "المتحدث الرسمي باسم قداسة البابا".

الكنيسة القبطية -بالذات- هي كنيسة الجماعة، وصوتها هو صوت الجماعة، وغياب صوت الجماعة عبر ما يزيد عن نصف قرن، كان هو أحد معاول الهدم لركن أساسي، هو حوار الشعب الذي اختار قادته، لا لكي ينوبوا عنه، وإنما ليكونوا تعبيرًا عن الشركة في كل شيء، وفي المصير الأبدي، وفي أهم ما تعبِّر عنه

صلوات الكنيسة، وهو "وحدانية القلب التي للمحبة".

ونتيجة غياب صوت الجماعة، وانعدام الشركة، تصدر عبارة أخرى قاسية جدًا، تؤكد منهج الاختزال المشار إليه، تجيء بمثابة تصريح صادمٌ ومريع لنيافة الأنبا روفائيل سكرتير المجمع، في إطار الحديث عن أزمة الزواج والطلاق المثارة حاليًا في الكنيسة، حيث قال نيافته إن مَن "يجد شروط الزواج صعبة، فليبحث عن طائفة أُخرى".

هذا التصريح هو شبه اعتراف بأن الكنيسة القبطية مجرد طائفة، وليست "الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية كنيسة الله الأرثوذكسية". وهو بمثابة إعلان خطير بأن من حق الأسقف أن يطرد من يشاء إذا تصادمت المصالح.

الأساقفة رفضوا الزواج عندما قبلوا الرهبنة، ولذلك فهم لا يعرفون شقاء العنف والإيذاء البدني والخيانة والاحتقار وما يظهر من أمراض عقلية ونفسية، تظل نائمة إلى أن يتم اكتشاف أن زواجًا ما لم يجمِّعه الله، بل المصالح والمال والسمعة، وهي كلها، إلى جوار ما يُضاف إليها من أسبابٍ، لا تؤسس المحبة بين رجلٍ وامرأة، ولا تصنع منهما كيانًا واحدًا.

وعندما تُفرض العفة على آخر بالقوة، تكف عن أن تكون عفةً، وتفقد وصفها باعتبارها اختيار محبةٍ. وعندما يقول الأسقف الراهب لشخصٍ نُكِبَ في حياته الزوجية: ابحث لك عن طائفةٍ أخرى، يكون قد كسر أول وصايا المسيح، وهي محبة القريب التي ساواها الرب يسوع بمحبة النفس، وقال عنها إنها الوصية الثانية العظمى.

تُرى، هل كانت هذه العبارات القاسية، مجرد زلات لسان، أم تعبيرًا عن رغبات مكبوتة كامنة في القلوب؟

أقول لمن جمعوا توقيعات تطالب بعزل قداسة البابا تواضروس، يأسًا من

الحوار، ويأسًا من حلٍّ لم يجئ رغم طول الزمان، أقول لهؤلاء، وللمجمع الكنيسة إنه ليس هناك من بديلٍ عن الحوار، ولا فائدة من تأجيل الحلول؛ لأن التسويف يضع في كل مشكلة بارود الانفجار.

على الكنيسة القبطية أن تعرف زمان افتقادها قبل فوات الأوان.

السلفيون المسيحيون،
وحراك التطوير في الكنيسة القبطية[1]

المطلق والنسبي:

تطلعنا وسائل الإعلام دوما على تشدد المتسلفين المسيحيين ممن تبدو لهم غيرة على الكنيسة، ولكن مع عدم معرفة لما هو نسبى متغير يمكن مناقشته، وما هو مطلق لا يحتاج ولا يقبل التغيير. هل هم مندفعون أم مدفوعون؟ الله يعلم. هم يهاجمون كل إصلاح وتجديد وتقدم نحو الوحدة الكنسية وتطوير الفكر، مما يجتهد قداسة البابا تاوضروس لتحقيقه، حتى في طريقة وطقس تحضير الميرون المقدس، أو احتفال كنائسنا في المهجر بعيد الميلاد في ٢٥ ديسمبر، و كلاهما (أي طريقة التحضير و تحديد يوم الاحتفال) طقوس وليست عقائد!!! انعدام الاتفاق على تعريفات ومعاني الكلمات في الحوار هو السبب الجوهري جدا لخلافات اللاهوتيين والكنائس في التفسيرات والانشقاقات على مر الزمن، بالرغم من اتفاقهم على الجوهر، أي العقيدة كما صاغتها الكنيسة في قانون الإيمان. وهذا هو السبب في عدم قدرة السلفية المسيحية على تفهم ما يمكن تغييره فيما هو اجتهاد بشرى، وليس جوهر عقيدي مطلق غير قابل للتغيير. ولهذا يتشدد هؤلاء السلفيون المسيحيون، سواء مع قداسة البابا أو مع آخرين ممن يريدون تجديد الفكر والتفسير والتنظيم في بعض الأمور النسبية غير المطلقة (أمثلة: ما هو تعريف "علة الزنا"، هل يضيق أم يتسع، لكي نتفق على أسباب الطلاق أو التطليق؟ كيف يُحضّر الميرون المقدس؟ هل نحتاج أن ندعو لوحدة الطوائف وقبول معمودية الكنائس غير الأرثوذكسية؟ هل يجب تطوير

١- مقال كتبه دكتور هاني مينا ميخائيل ونُشر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٧ يناير ٢٠١٦.

الإدارة الكنسية؟ هل الصلاة مع كنيسة غير أرثوذكسية أو لأنها ترسم المرأة قسيسة يعتبر هرطقة؟!!!). وسبب ذلك التشدد والتسلف أنهم يؤمنون أن كل فكر أو رأى أو طقس أو قاعدة اجتماعية (خاصة فيما يتعلق بالجنس والحب والزواج والطلاق)، وله عادات وتاريخ قديم هو "عقيدة مطلقة" تسلمناها من الآباء بدم شهداء ... ولا يمكننا الاقتراب منها. وإنني أرى أن بادئ ذي بدء يجب علينا ككنيسة (قيادةً وشعبًا وخدامًا) أن نؤكد في تعليمنا وأن نتفق على ما هو مطلق (غير متغير) وما هو نسبى (قابل للتغيير) في كل ما ندركه من تعاليم تسلمناها عبر القرون من الأجيال السابقة في الكنيسة. تعودنا تقويا أن نقدس كل ما نتعلمه في الكنيسة، وهذا جيد. ولكن ليس كل ما نعتبره مقدس لارتباطه بالكنيسة هو مطلق. المطلق هو ما نقبله ولا نحتاج أن نراجعه أو نغيره مثل العقيدة (الدوجما) الملخصة في قانون الإيمان، إلى جانب أقوال الرب يسوع المسيح. والحقيقة أن المطلق بصورة كاملة هو الله ذاته وحده وإعلانه في المسيح يسوع ربنا. والمتغير هو: التفسيرات والطقوس والقوانين الكنسية والآراء الشخصية، على أن يكون التغيير باتفاق الكنيسة كلها معا، كما سأشرح.

فقط لو انتبهنا وأصلحنا مفاهيم المطلق والنسبي في فكر شعبنا وأبنائنا سوف يقف نزيف هذا الهجوم الغير مبرر على كل إصلاح وتجديد، ونحمى أبنائنا من أحد أهم أسباب الإلحاد.

أولا: هذه تعريفات هامة للتوضيح:

١- العقيدة:

هي إيماننا الثابت غير المتغير، بإعلان الله لنا عن طبيعة وعلاقة الله والإنسان والكون، هي الدوجما كما لخصتها الكنيسة في قانون الإيمان. وقانون الإيمان يلخص لنا "التقليد الكنسي" المسكوني، أي الجامع لكل الكنائس. والتقليد الكنسي هو التسليم الرسولي عن حياة وتعاليم الرب المعاشة الحية، أي اختبار الكنيسة

الجامعة الحي، لإعلان الله عن ذاته وعلاقته بالخليقة، كما علمنا وأرانا الرب يسوع المسيح ابن الله المتجسد بشخصه. والتقليد الكنسي العقيدي المسكوني (وهو غير المتغير) لا يشمل الترتيب الطقسي (حتى لو أسميناه تقليدًا طقسيًا) لأن الأخير متغير بالمكان والزمان والمناخ الحضاري الثقافي للكنيسة المكانية. ومن هذا التقليد العقيدي والاختبار الكنسي المعاش كتبت الكنيسة، بإلهام الروح القدس ووحيه: الكتاب المقدس، الذي هو وليد وليس أبو التقليد الكنسي.

٢- تفسير العقيدة (علم اللاهوت):

هو اجتهاد بشرى لتفسير العقيدة. هو اجتهاد ملهم لشرح العقيدة والكتاب المقدس، ويختلف في عباراته ومجازاته بحسب اختلاف لغة العصر والثقافة والحضارة المكانية حيث يجتهد المفسر. التفسير، بخلاف العقيدة، يقبل الاختلاف، بشرط عدم تعارض التفسير مع ثوابت العقيدة، المذكورة في قانون الإيمان.

٣- الرأي:

وهذا اجتهاد بشرى صِرف لمعطي الرأي لإجابة ما ليس له إجابة واضحة أو تفصيلية في الكتاب المقدس والعقيدة، والاختلاف في الرأي وارد جدا هنا، ومقبول بدرجة أوسع بكثير من التفسير، إلا لو كان صاحب الرأي يعتقد أنه هو العالم العليم بكل بواطن الأمور، والذي لا شريك له، وأنه وحده يمثل الكنيسة، أو بالأحرى هو الكنيسة ذاتها ورأيه هو "تعليم الكنيسة" ذاته، وهو رأي مطلق الصحة، وأن في رأيه هذا "قبضة الحق" البيّن! ومن أمثلة الرأي: كيف نصوم؟ نوع الطعام وأيام الصوم وساعاته؟ كيف نرتب طقس الصلاة الجماعية وعناصره؟ ما هو نوع الفرح الأبدي وعذابات جهنم؟ متى يصبح الجنين إنسانا؟ هل نرفض إجهاض الأجنة أيا كان السبب الطبي أو النفسي الذي يدفع الطبيب للنصح بالإجهاض؟ هل وسائل منع الحمل خطية؟ هل حقا مرض الإيدز عقوبة من الله؟ هل أطفال الأنابيب أمر لا يقبله المسيحي؟ هل من حق المسيحي

أن يكون ناشطا سياسيا؟ ماذا عن زراعة الأعضاء؟ ماذا عن متابعة الفنون والرياضات و السينما و الموسيقى و غيرها؟...

أو: لأي درجة يمكننا التوسع في تعريف أمر مثل "علة الزنا"؟ هل نأخذ بالمعنى الحرفي المادي للفعل الجسدي الكامل فقط، وفي وجود شهود أيضا؟ أم بدون شهود؟ أم هل نقبل الزنا الروحي بتغيير الديانة، و الزنا الحكمي، في وجود أدلة مسجلة أو مكتوبة ترجح حدوث الزنا؟ هل هذا دليل كاف لتعريف الزنا، أم نقبل الزنا بالفكر والساير سكس (بالإنترنت) كأسباب للطلاق!!!؟ ولماذا يثور المتشددون المتسلفون ضد أن نقبل أن الأوضاع الاجتماعية والزوجية والتي نعلم أنها غالبا ما تقود إلى الزنا، إذا ترك الحال على ما هو عليه بدون طلاق، هي أيضا "علة للزنا"، حتى قبل حدوث الزنا (مثل السجن لعدة أعوام، أو الأذى الجسدي أو النفسي المتكرر، أو المرض العقلي الغير قابل للشفاء، أو المرض المعدي الخطر والمميت، أو الفرقة لعدة أعوام، أو استحالة العشرة لأسباب غير قابلة للتغيير ... كما هو الحال في لائحة ١٩٣٨)؟ هل نضيف هذه الأوضاع الاجتماعية والزوجية إلى تعريف ومعنى "علة الزنا"؟ على أساس أن تجنب حدوث الزنا في هذه الحالات، بالطلاق والسماح بزواج ثان لكل من الزوجين، قطعًا هو قرار يبدو رحمة بالزوجين والأبناء وسمعة الكل...

هنا يكون الرأي قابلًا للتضييق أو التوسيع بحسب درجة ضيق الأفق، أو سعة صدر وقلب وحكمة ومعرفة المفسر العلمية والطبية والنفسية. هذه أمور يحكم فيها العلماء المتخصصون المتزوجون فقط، وليس غير المتزوجين، لانعدام الخبرة الزوجية. ويبدو أن هذا المفهوم هو عقدة قانون الأحوال الشخصية التي يتحاور حولها المستنيرون والمتشددون في الكنيسة القبطية. كما أننا نعلم جيدًا أن العلم يكتشف ويؤكد لنا من جيل إلى جيل أمورًا لم نكن نعرفها عن الطبيعة البشرية، خاصة الجانب الجنسي والنفسي منها. هذه الطبيعة البشرية التي

بضعفاتها، مع متغيرات كل عصر، تقتضي إدراكًا أوسع وعلمًا أعمق، ومن ثم رأيًا أشمل وتفهمًا رحيمًا بضعف البشر. الله يريد رحمة لا ذبيحة نفاق وتشدد.

٤- التعليم (عبارة "تعليم الكنيسة"):

هو محاولة ضم العقيدة والرأي والتفسير، الثلاثة معا، في كوكتيل واحد، لتأكيد إطلاق صحة التفسير أو الرأي كأمر كنسي يتساوى كلية مع العقيدة الثابتة في أنها "مطلقة" غير قابلة للتغيير. هذا أمر غاية في الخطورة على مستقبل الكنيسة وتطور المتغيرات فيها. وهذا الكوكتيل الواحد يكون لإعطاء التفسير أو الرأي صفة الإطلاق، بما أن التفسير (و) أو الرأي قد أصبحا "واحدا في الكوكتيل" مع العقيدة المطلقة ذاتها!!! وهذا الأسلوب، كما هو واضح لنا في شخصيات سياسية، تاريخية ومعاصرة، ما هو إلا محاولة لتأكيد دكتاتورية بعض الأشخاص في تاريخ البشرية السياسي والكنسي أيضا، خاصة في القرون الوسطى في الغرب، وبلاد الحكم الفاشي.

واضح إذن أننا لا يمكننا أن نتقدم كمجتمع أو وطن أو كنيسة، أو حتى مؤسسة إدارية، إلا بعد أن نقرر ما هي الأمور "الفوق دستورية"، أي عقيدية مطلقة، وما هي الأمور القابلة للتغيير بحسب تغير الزمان والمكان والثقافة ودرجة المعرفة التي نصل إليها من جيل لجيل. أما الأصوليون والمتطرفون في المجتمع الواسع عمومًا والكنسي أيضًا، فلا يقبلون بهذا الحديث لأنه يضعف من دكتاتوريتهم، وقدرتهم وحريتهم المتاجِرة بالدين وآيات الكتاب المقدس، لتمرير تفسيراتهم التاريخية على أنها مساوية للعقيدة في الإطلاق، بما أننا أسميناها "تعليم الكنيسة". رجاء تمييز الفارق الجوهري بين العقيدة من ناحية، والتفسيرات والآراء والاجتهادات البشرية كلها من ناحية أخرى - أي فك وتحليل هذا الكوكتيل الخطير جدا على الكنيسة وهو أحد أسباب إلحاد أبنائنا.

من له أذنان للسمع ......؟

٥- الطقس:

الطقس هو الترتيبات المادية الظاهرية التي تقرها جماعة بشرية، لممارسة تظهر وتعلن معتقداتهم الفكرية والدينية، حتى يمارسوا الحوار أو التعليم أو العبادة في وحدانية فكرية (روحية نفسية) مكانية وزمانية. الطقس الكنسي إذن هو ترتيب بشرى موضوع لتعليمنا وشركتنا معا في العبادة، ولا يجب أن نعتبر الطقس جزءًا من التقليد الكنسي العقيدي، وإن كان يعبر عنه. الطقس يتغير قطعًا بتغير المكان والزمان والثقافة والحضارة.

ثانياً: تاريخ الأسرار الكنسية، خاصة سر الزيجة:

أسرار الكنيسة لم تحسب وتعد أنها سبعة فقط إلا في القرن السادس عشر في الكنيسة الكاثوليكية، في مجمع ترنت في إيطاليا. ولم تحسب سبعة في الكنيسة القبطية إلا بعد كتابة حبيب جرجس لكتاب أسرار الكنيسة السبع في القرن العشرين نقلا عن الكاثوليك! يمكنكم البحث على جوجل أو قراءة الآتي للتأكد:

https://en.wikipedia.org/wiki/Sacrament
https://www.christiancourier.com/articles/824-what-about-the-sacraments
https://legacy.fordham.edu/halsall/source/1438sacraments.asp
http://www.catholic.com/quickquestions/did-the-church-change-the-number-of-the-sacraments
https://oca.org/questions/sevensacraments/the-sacraments

مقدمة هامة عن تاريخ وتعريف معنى عبارة "الأسرار الكنسية"عبر التاريخ:

ألمح أبونا متى لأمر في غاية الأهمية بدون الدخول في التفاصيل وهو: أن الكنيسة في القرون الأولى لم تحاول تقنين أو تحديد عدد حسابي للأسرار، لأن كل ممارساتها كانت تعتبرها "أسرارا" مقدسة، أي لا يباح بها لغير المؤمنين، ومن خلالها يعمل الروح القدس فينا.

كتب أبونا متى المسكين في كتابه "التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي"، أن مفهوم الكنيسة في القرون الأولى لمعنى كلمة "أسرار الكنيسة" يختلف كثيرا عن التعريف والفهم الحالي للتعبير ذاته، والذي صاغته الكنيسة الكاثوليكية أولاً.

في الفصل الخامس عشر تحت "مدخل إلى التقليد السرائري" ص ١٧٣ – ١٧٦ كتب: [والآن نبدأ نهيئ ذهن القارئ للدخول في التقليد السرائري، أي فيما يخص ممارسة الأسرار المقدسة بحسب التقليد المسلم منذ البدء، لكي نعد الذهن لدراسة الأسرار مركزين على سري الإفخارستيا والمعمودية. ... تُدعى هذه الأعمال الإلهية التي تجرى داخل الإنسان ولا يستطيع أن يلحظها أو يكشفها بالأسرار الإلهية أو السرائر المقدسة أو أسرار الكنيسة. والمسيحية بحد ذاتها هي كلها "سر الله أو سر المسيح". ... سر اللاهوت وسر التدبير الإلهي، وهما ما أعلنه الله عن نفسه وما صنعه بواسطة ابنه "ليعرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه" (أف ١). وهذان يشملان سر الثالوث الأقدس وسر التجسد والفداء. ... والأسرار الإلهية الموهوبة للكنيسة وهي التي فيها يمنح الله نعمته خاصة للمؤمنين بواسطة الكنيسة لنوال شركة معه في الحياة الأبدية. وهي تشمل الأسرار السبعة – التي حددتها الكنيسة مؤخراً – مع كافة الأعمال الأخرى التي يُمنح فيها الإنسان نعمة من لدن الله ...]

وفي الفصل الثالث من الكتاب ذاته كتب أبونا متى المسكين، مقتبسًا ما قاله القديس كيرلس الأورشليمي أن المعمدين (المؤمنين) الجدد كانوا مطالبين بعدم إخبار أي إنسان غير مسيحي بأي من تعاليم الكنيسة وممارستها وعقائدها، لأن هذه هي "أسرار الكنيسة المقدسة" وإلا حُسب هذا المؤمن الحديث المعمودية خائنا! [إذا سألك موعوظ (أي لم يصر بعد مؤمنا): ماذا يقول لك المعلمون (في الكنيسة)؟ فلا تخبره ولا أحد من الخارج بشيء قط. لأننا نسلمك الآن سراً الذي هو رجاء الحياة الآتية. أحرس السر من أجل هيبة الله ... لأن الموعوظ إذا سمعه

لا يفهمه و يحسبه عثرة ويتهكم عليه، والمؤمن إذا باح به يدان كخائن!] ص ٥٩.

كان طقس الانضمام للكنيسة يحوي أهم ما أسمته الكنيسة في كتابات الآباء في القرون الأولى "اسرار الكنيسة"، وهي كما نرى كانت: الاعتراف بالإيمان بترديد قانون الإيمان (و ليس أساساً الاعتراف بالخطايا) - ثم المعمودية و سر التثبيت (= موهبة الروح القدس) بوضع اليد أو بمسحة الميرون المقدس - ثم شركة الإفخارستيا. وكانت هذه كلها ممارسة واحدة لا تعدد رقمياً.

تاريخ الزواج في الكنيسة في القرون الأولى:

كتب الأب جون مايندورف بحثه وقد تمت ترجمته ونشره بالعربية بعنوان "الزواج من منظور أرثوذكسي". والأب مايندورف يشرح لنا ما كتبه آخرون أمثال جون إريكسون الأرثوذكسي في بحثه "تحديات ماضينا (الكنسي)" والمنشور بواسطة ناشر المرجع الأول أيضا، وهو أكبر ناشر ومعهد لاهوتي في العالم الأرثوذكسي: منشورات القديس فلاديمير، بنيويورك. وخلاصة المذكور في هذه الأبحاث الأرثوذكسية وغيرها مما هو متوفر للقراءة على الإنترنت أيضا، والذي ذكره أيضا الكثيرون في السنوات الماضية في وسائل الإعلام، هو أن الزواج المسيحي في الإمبراطورية الرومانية في القرون الأولى وحتى القرن الثامن كان عقداً مدنيا فقط، كما كان الحال لكل رعايا الإمبراطورية. والكنيسة لم ترفض ذلك. وبعد توثيق عقدهما المدني يذهب الزوجان ليأخذا بركة الصلاة الكنسية، لأن الكنيسة "تعلن وتبارك وتقدس" هذا السر الإلهي الذي باركه الله بنفسه في الفردوس لكلٍ من آدم و حواء. وهذا الطقس الكنسي أصبح عرفاً جاريا في القرن العاشر بأمر الإمبراطور ليو السادس. ومن يومها أخذت الكنيسة مسؤولية الزواج بصورة أكبر مما سبق. وكانت أسباب التطليق في الإمبراطورية الرومانية (كما يذكرها إريكسون) تقريبا هي هي ما أخذت به الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في القوانين المنسوبة لابن العسال منذ القرون الوسطى. وهذه الأسباب هي المعمول

بها في لائحة عام ١٩٣٨ الشهيرة. هذا تاريخ حقيقي يمكن للكل التأكد منه.

واليوم لا يمكننا أن ندفن رؤوسنا في الرمال ونترك الخطاة من أبنائنا في المستقبل للدمار حتى بعد التوبة، لأننا قررنا أن نعيد تفسير أقوال الرب بصورة متشددة لم تعهدها الكنيسة الأرثوذكسية لعشرين قرنًا. آباء الكنيسة قبلوا أن يطلّقوا أو يحلّوا أو يُبطلوا الزواج لأسباب الزنا، أو الأحوال والأسباب التي يتضح للكنيسة أنها في الغالب الأغلب سوف تقود إلى الزنا، إن تركت بدون طلاق وزواج ثان، على اعتبار أنها تدخل وتقبل تحت بند "علة للزنا"، كما ذكرنا. فهل يصمت المتشددون، حتى تتحرك الكنيسة إلى الأمام؟!

نحن معك يا قداسة البابا.

د. هاني مينا ميخائيل

لمن يريد القراءة بالتفصيل أقدم الجزء الثاني من كتاب الله والإنسان والكون - سبعة مقالات

www.copticorthodox-divinejustice.com
look for the BOOKS and download freely

الخطاب الديني
في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية[١]

نشر أُستاذنا د. مراد وهبه تعليقًا تاريخيًا وفلسفيًا على حوار البابا فرنسيس[٢] ويا ليت أستاذنا كان قد لمس الواقع المعاش في الكنيسة المصرية أقدم كنيسة مسيحية.

وقد نشر راديو الفاتيكان مقتطفات من هذا الحوار الذي أجراه أندريا تورنيللى مراسل الفاتيكان لدى أشهر جريدة في ايطاليا «لاستمبا» مع البابا فرنسيس قبل طبعه في كتاب تحت اسم مثير للانتباه بعنوان «الرحمة هي اسم الله»، وهو ما جذب انتباه أستاذنا الفيلسوف د. مراد وهبه.

يجب أن نشير إلى بعض كلمات البابا نفسه قبل أن نبدأ بالإشكالية الفلسفية. فقد بدأ البابا بعبارة مثيرة نُشرت على أكثر من موقع رسمي كاثوليكي: وهي: "البابا مثل بطرس محتاج إلى الرحمة". وقال البابا هذه العبارة في زيارة سجن في بوليفيا للرجال والنساء الذين حُكِم عليهم بالسجن، وقد قابلوه بالترحاب، وأضاف البابا: "كل مرة أَمُرُّ من بوابة السجن لكي أقيم القداس أثناء زيارتي، كنت دائمًا أُفكِّر: لماذا هم فقط ولست أنا؟ يجب أن أكون هنا. أنا أستحق ذلك لأن سقطات هؤلاء كان يمكن أن تكون سقطتي. أنا لا أشعر بأنني أسمى من هؤلاء الناس الذين يقفون أمامي. وهكذا أكرر وأصلي: لماذا هو ولست أنا، وأنا أعني بطرس. وقد تصدم هذه الكلمات، ولكنني أخذ العزاء من بطرس الذي

١- مقال نُشِر على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢١ مارس ٢٠١٦.

٢- نُشر في جريدة الأهرام ١٥ مارس، تحت عنوان: رؤيتي لـ "القرن الحادي والعشرين (البابا ١١٦ فرنسيس وتجديد الخطاب الديني". وتجد هذه المقالة مرفقة بهذا المقال.

خان يسوع رغم أن يسوع اختاره". وتذكَّر البابا عبارة للبابا يوحنا بولس الأول: "أنا تراب"، وقال إنه يردد هذه العبارة؛ لأن بطرس الذي أنكر يسوع وسقط في خطية الإنكار إلا أنه في الإصحاح ٢١ من إنجيل يوحنا عندما تقابل مع يسوع لم يعنِّفه يسوع، بل سأله: هل تحبني؟ وجاء الرد من يسوع: ارع خرافي".

جمع البابا كثير من ذكريات مع الذين عاشوا مع القس كارلوس، وكيف أنه عندما اعترف عند هذا القس في سن ١٧ أحس برحمة الله تقبله، بل ترحب به. وعندما مات القس بسرطان في الدم بكى البابا طوال الليل، فقد خسر صديقًا حميمًا. ولعل العبارة التالية هي مفتاح لتاريخ الكنيسة: "الكنيسة تحكم على الخطية، ولكنها تُعلن الرحمة للخطاة" والكلمة اللاتينية "miserando" يعقبها miser icordando أي أرحمه mercying بل هي "أرحمه واختاره".

"الحكم وإدانة الخطية هو طريق الحق ولكن في نفس طريق الحق قبول الخطاة ومعانقة كل من يعترف بخطأه؛ لأن هذا هو خطاب الرحمة الإلهية المطلقة؛ لأن يسوع غفر للذين صلبوه واحتقروه. وعندما نسلك في طريق الرب، فإن الكنيسة مدعوة لأن تقدم الرحمة لكل من يرى أنه خاطئ، ولكل من يقبل مسئولية أفعاله الشريرة التي فعلها وهو يريد الغفران. الكنيسة ليست موجودة لكي تدين البشر، بل لكي تقدم مواجهة مع زخم محبة الله الرحيمة".

الإشكالية التاريخية:

حقًا إن صراع المطلق مع النسبي هو صراع كل جماعة إنسانية تحاول أن تطبق المطلق، وهو أحد سمات الخطاب الديني على ما هو حادث فعلًا في الحياة، وهو النسبي. لكن الإشكالية الفلسفية رغم وجودها -كما ذكر د. مراد وهبه- لها جانب إنساني محض، وهو فشل أجيال متعاقبة في فهم الخلفية التاريخية التي أدت إلى وجود عبارات، بل أحكام تبدو مطلقة لأنها نُزعت من النسيج التاريخي.

لقد جرى حوارٌ عنيف معي عن الكاثوليك والبروتستانت حول عبارات الرسول: "لا تسلموا عليهم"، وهي عبارات لها الجانب التاريخي الذي يعود الى حركة الردة الى اليهودية، وهي أحد المحاور الأساسية لرسالة يوحنا الأولى، ومع ذلك نفس الرسول، يحذر من البغضة والكراهية؛ لأن من يكره عدوه ليس حرًا من الكراهية، هو مثل عدوه يندفع بالكراهية ويقف مع الظلمة في صف واحد. ووصية محبة الأعداء هي دعوة لتحرر القلب من الكراهية حتى لا نصبح مثل الأعداء. وما كُتب في المصادر التاريخية القديمة هو صحيح حسب التاريخ القديم ولكن هل بعد ألف سنة وأكثر يمكن أن نقول إن الكاثوليك والبروتستانت هم ذات الجماعة التي كانت في العصر الرسولي تقود حركة التهود؟

ترى هل كان المؤرخ البريطاني تومبي يكتب ما يشبه نبوة عن القرن ٢٠-٢١ بأن نسيان التاريخ هو مدخل وباب وسيف الأصولية؟ ألم يكن أستاذنا نجيب محفوظ على صواب عندما كتب "آفة حارتنا النسيان"[٣].

الإشكالية الفلسفية وثوابت الإيمان:

المطلق ليس محاصرة صفات الله في صفة أو أكثر. هذا حوار الفلسفة، ولكن ثوابت الإيمان عندنا هي استعلان الله في لحم ودم بشري (يوحنا ١: ١٤ - عب ٢: ١٤)، **ونحن لم نستوعب بعد صدمة تجسد ابن الله للفكر والمُثل الإنسانية كلها؛ لأن التجسد يسير في طريق مضاد لكل ما في ثقافة البشر جميعًا من تصورات عن الله.** والتجسد ليس نصًا، بل فعلًا، وليس قولًا يدور حوله الجدل، بل حقيقة جعلت من الكنيسة جسد المسيح الحي، وليس مؤسسة تُدار بالقانون.

الإشكالية الفلسفية لا تتناول الهوية، أي الانتساب، وهو هنا ليس مطلقًا ولا نسبيًا، بل هو انتساب وتواصل مع الحي، أي الإنسان، ذلك الإنسان الذي

٣- راجع مقال على موقع الدراسات القبطية www.coptology.com يناقش هذه العبارة.

وصفه يسوع المسيح نفسه بأنه كان عريانًا، ومريضًا، وجائعًا ومسجونًا (راجع متى ٢٥: ٣١-٤٦)، وهؤلاء هم المسيح حاملًا جراح الإنسانية.

إشكالية التجديد في الكنيسة القبطية:

أولًا: تجاهل التاريخ الكنسي والاعتماد على ما ترسَّب في أفكار فقهاء الكنيسة من أفكار ومُثل ليست تاريخية، بل شخصية. أكاد أرى حاجتنا إلى كتاب مثل "أسباب التنزيل" للسيوطي لكي نحرر ما أحاط بكلمات الكتاب المقدس من قساوة وشحنات بغضة وكراهية وإقصاء، تُستخدم فيها نصوص الكتاب المقدس كمرآة لتعكس شكل وطبيعة دعاة الكراهية والبغضة.

ثانيًا: ومع تجاهل التاريخ جرى حشد للبشر في شبه شيع وجماعات تُقاد بالإعلام لا بالأبحاث وتدعو الى إصدار أقسى الأحكام التي تعبر عن قساوة القلب التي دخلت الحياة الكنسية خلال ٤٠ عامًا وأصبح عدد البشر الذين يصفقون لشخص معين هو معيار الصدق وشهادة الأرثوذكسية.

ثالثًا: لقد جرى تدمير امتد قرابة ٤٠ عامًا لمؤسسة التعليم، وأولها الإكليريكية ومعهد الدراسات القبطية. وإن كنا الآن نرى تيارًا قويًا في الشباب يعود إلى الآباء ويتقن اللغات الأوروبية وينطلق في طريق مضاد لأغلب ما يُقال في الوعظ وينشر على شبكة المعلومات، وهو نذيرٌ بصدامٍ آتٍ لا محالة؛ لأن التجديد لابُد وأن يبدأ بحوار صادق وأمين مسموح به للكل وعلنيًا وليس قاصرًا على فئة دون فئة. وأكرر طلبي لقداسة البابا تواضروس الثاني بأن يصدر عددًا نصف سنوي من الكرازة يكون خاصًا بالأبحاث ونشر الندوات.

لم يأتِ كتاب قداسة البابا فرنسيس من فراغ، بل جاء من توصيات مراكز الأبحاث في الكنيسة الرومانية، ومن بشر يعيشون مع الواقع الحي لا مع الكتب فقط.

لا زالت دعوة الرب يسوع بأن "الإنسان لم يخلق لحفظ يوم السبت"، بل "جُعل السبت للإنسان" لكي يستريح الإنسان، فتحولت الراحة الى قيود في شريعة موسى جعلت الإنسان عبدًا.

واسم كتاب البابا فرانسيس "الله اسمه الرحمة" لا يحذف صفات الله الأخرى، بل هو في ذات اتجاه صرخة الأنبياء، وهي ذات صرخة يسوع "أريد رحمة لا ذبيحة".

رجاءٌ حيٌّ:

المسيح هو رأس الكنيسة جسده، والأمل والرجاء في أنه قادر على تحديث وتجديد حياتنا قبل الخطاب نفسه هو رجاء ثابت لا يتحول. بهذا الرجاء أكرر الدعوة إلى:

أولًا: عقد ندوات مفتوحة لبحث كل ما قيل عن تعاليم منحرفة، ونشر ما يقدم فيها من أبحاث. أمام نور البحث سوف تتوارى الظلمة. وهذه الدعوة مكانها ليس المجلات ولا مواقع الأخبار، بل معهد الدراسات القبطية والكلية الإكليريكية.

ثانيًا: أن نتوب عن الأحكام التي صدرت عن تشيُّعٍ وعن بغضة، حيث لم يسمح الذين حكموا بدفاع المتهم أو المتهمين عن أنفسهم، وهذا يعني سقوط الحكم شرعًا وسقوطه أمام ثوابت الإيمان بل ووصايا وتعليم الرب.

ثالثًا: ألا يصدر حكم بالحرمان من شخص واحد مهما كان، وأن ينال كل مسيحي حقه في الدفاع عن نفسه؛ لأن يسوع المسيح حوكم أمام محكمة تتسلح بالقانون الروماني، ولم يكن في القانون الروماني كله قانونٌ يحكم على من يقول إنه "ابن الله"، ولكن عندما أضاف اليهود تهمة سياسية، وهو أنه "ملك اليهود"، كان حكم القانون الروماني مشروعًا؛ لأنه جاء بمثابة إخماد ثورة ضد القيصر. وجاءت

أحكام حرمان ضد القانون الكنسي وضد الإيمان نفسه وضد يسوع؛ لأن الحكم جاء لكي يؤكد قوة ومكانة وزعامة، وليس من أجل حقيقة إيمانية، وبتقدير شخص لا يستند إلى مرجعية القانون الكنسي، وفشل المجمع المقدس في رقابة تصرفات الأساقفة والتصدي لسلطان كهنوتي مطلق نُزع بشهوة السلطة من الإطار الكنسي. وهو تصدٍّ ليس فقط مشروعًا، بل واجب.

لقد صدر قرار حرمان الأنبا مينا مطران جرجا دون سبب سوى صراع على حدود الايبارشية، رفض فيه الأنبا مينا أن يتنازل عن بعض القرى؛ لأنها جزء من إيبارشيته. وفي زيارة روما في عام ١٩٧٣ قال البابا بولس السادس: كيف يمكن حرمان أسقف بدون وجه حق وبدون محاكمة في الوقت الذي كان فيه أسقف فرنسي يقود حركة انفصال عن روما، ورفض فيه الإصلاح الليتورجي الذي قرره مجمع الفاتيكان الثاني، ولكن بابا روما بولس السادس لم يأخذ ضده أي قرار لأنه كان يرى أن أي قرار هو بمثابة إغلاق الباب نهائيًا أمام رجوع الأسقف والشعب. وماتت حركة الانفصال.

المطلق هنا الذي لا يجب أن يمس حرية وكرامة كل عضو في الكنيسة، أما الذين أتقنوا لغة المصادرة بل والشتائم، فقد أفرزوا أنفسهم كدعاة للشيطان الذي وُصِفَ بأنه "المشتكي" والعدو الذي يزرع العداوة.

لقد صُلبتُ يوم صُلبتَ يا يسوع
وذُبحتُ يوم ذُبحتَ أنت
فصار لنا مصيرًا واحدًا وحياةً واحدةً.
«لأنك أنت هو حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا» (أوشية الإنجيل).

ملحق

رؤيتي لـ "القرن الحادي والعشرين" (١١٧)

البابا فرنسيس وتجديد الخطاب الديني

الأهرام في ١٥ مارس ٢٠١٦

مراد وهبة

إذا أردت أن تحدث تجديدًا للخطاب الديني فاقرأ هذا الحوار الذي أجراه أندريا تورنيللى مراسل الفاتيكان لدى أشهر جريدة في ايطاليا "لاستمبا" مع البابا فرنسيس وأصدره مع بداية هذا العام في كتاب تحت عنوان "الرحمة هي اسم الله". واللافت للانتباه في هذا العنوان أن لله صفة واحدة هي الرحمة، واللافت للانتباه أيضا أن رؤية البابا فرنسيس لله ليست على غرار المألوف سواء في علم اللاهوت المسيحي أو علم الكلام الإسلامي. فقد كانت الاشكالية السائدة لدى هذين العلمين محصورة إما في القول بتعدد الصفات لله أو في نفى الصفات برمتها عن الله. أما في حالة البابا فرنسيس فليس ثمة تعدد للصفات أو نفى لها جميعا، إنما ثمة صفة واحدة هي الرحمة. وهنا لابد أن يثار سؤالان: ماذا يقصد البابا فرنسيس بهذا المصطلح؟ ولماذا اقتصر عليه دون غيره من الصفات؟

ولكن ليس في الامكان الجواب عن هذين السؤالين من غير أن نكون على وعى بالحالة اللاهوتية التي يواجهها البابا فرنسيس منذ أن أصبح بابا روما في ١٣ مارس ٢٠١٣ إثر الاستقالة المفاجئة التي قدمها البابا بنديكت بعد مرور عامين على رسامته. وقد قيل إن سبب هذه الاستقالة المفاجئة مردوده إلى شعوره بالشيخوخة. ولكن الشيخوخة لا تأتى فجأة. وبناء عليه لابد من البحث عن سبب آخر غبر معلن. والسؤال اذن: ما هو هذا السبب غير المعلن؟

كان الفاتيكان يواجه إشكالية حادة هي على النحو الآتي: في عام ١٩٨١ أصدر البابا يوحنا بولس الثاني قرارًا بأن يكون الكاردينال جوزيف راتسنجر (الذي أصبح اسمه فيما بعد البابا بنديكت السادس عشر) رئيسًا لمجمع عقيدة الإيمان المكلف بإدانة كل مَنْ يخرج على العقيدة. ومعنى ذلك أن رئيس هذه اللجنة هو بالضرورة مالك للحقيقة المطلقة. إلا أن هذه اللجنة لم تعد بلا منافس إذ أصدر البابا يوحنا بولس الثاني قرارًا في أول يناير ١٩٨٣ بتأسيس المجلس البابوي للثقافة. وفى أول اجتماع لهذا المجلس أعلن البابا أن ثمة علاقة عضوية بين الثقافة ورسالة المسيحية لثلاثة أسباب: السبب الأول أن الثقافة وسيلة الانسان لتحقيق انسانيته، والسبب الثاني أن الثقافة لها تأثير على الحياة الدينية للمؤمنين، والسبب الثالث أن على المسيحيين فهم ثقافة الآخرين لتدعيم التفاهم الثقافي.

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٨٦ تسلمت خطابًا من الأب "هيرفي كاربيه" أمين عام المجلس البابوي للثقافة ينبئني فيه بأن الكاردينال "بول بوبار" رئيس المجلس قد وافق على عقد مؤتمر مشترك بين المجلس والجمعية الفلسفية الأفروآسيوية التي شرفت بتأسيسها ورئاستها في عام ١٩٧٨. وأهم ما جاء في الكلمة الافتتاحية للكاردينال "بول بوبار" قوله: «إننا اليوم أكثر من أي وقت مضى في حاجة إلى الكشف عن عوامل الصراع بين الجماعات البشرية، وإلى البحث عن حلول تستند إلى العقل والعدالة والحب الأخوي خاصة أن مصر مازالت حتى يومنا هذا نموذجًا أصيلًا لملتقى الثقافات بين الغرب والشرق».

ومع بداية القرن الحادي والعشرين شاعت الأصوليات الدينية التي تتوهم أنها مالكة للحقيقة المطلقة، وبالتالي تكون مهمومة بإدانة الآخر. ويبدو أن المجلس البابوي للثقافة قد دخل في صراع خفي مع مجمع عقيدة الإيمان. ومن هنا كانت المفاجأة في استقالة البابا الأصولي بنديكت السادس عشر وانتخاب

اللاأصولي البابا فرنسيس إذ إن فكرته المحورية في ذلك الحوار هي رفض الإدانة إلى الحد الذي اكتفى فيه بأن اسم الله هو الرحمة، وبأن **الرحمة هنا تعنى أن ليس من حق أي انسان مهما تكن سلطته إدانة أي إنسان آخر**. وعندما سئل البابا في الحوار لماذا البشرية في حاجة إلى الرحمة؟ كان جوابه: لأنها مجروحة، ولا تعرف كيف تضمد جراحها. والجروح لا تكمن في الأمراض الاجتماعية أو في الفقر أو الإقصاء الاجتماعي، إنما تكمن في أننا جميعًا خطاة ومع ذلك يدين كل منا الآخر.

ومع ذلك فإن البابا فرنسيس قال إن ثمة بشرا ليسوا على وعى بأنهم خطاة، إنما على وعى بأن الآخرين الذين ليسوا على شاكلتهم هم الخطاة. وهؤلاء البشر هم الذين يلتزمون بالشريعة ويطبقونها على الآخرين حرفيًا بلا رحمة. وهؤلاء في رأى البابا فرنسيس هم «الفاسدون» الذين لديهم احساس مزيف بأنهم مكتفون بأنفسهم ومن ثم فهم ليسوا في حاجة إلى الرحمة. وبلغة العصر يمكن أن يقال عنهم إنهم "الأصوليون" أو "مُلاك الحقيقة المطلقة". وفى سياق هذا المعنى يقارن البابا فرنسيس بين الرحمة والعدالة فيقول بأن الله إذا كان محكومًا بالعدالة فإنه لن يكون الهًا بل يصبح مثل بنى البشر أجمعين لا يريد إلا تطبيق القانون. ومعنى ذلك أننا إذا اكتفينا بالعدالة فإن العدالة عندئذ تدمر ذاتها ولهذا فهي في حاجة إلى الرحمة التي هي أساسية في العلاقات الانسانية. والسؤال بعد ذلك: إذا لم يكن البابا فرنسيس أصوليًا فمَنْ يكون هو؟

أستعين في الجواب عن هذا السؤال بما ارتأيته منذ زمن من تناقض حاد بين الأصولية والعلمانية من حيث إن الأصولية بحسب تعريفي هي "التفكير في النسبي بما هو مطلق وليس بما هو نسبى" وإن العلمانية بحسب تعريفي أيضًا هي "التفكير في النسبي بما هو نسبى وليس بما هو مطلق". وفى هذا السياق هل يمكن القول بأن البابا فرنسيس إذا لم يكن أصوليًا فهل هو بالضرورة

علماني؟ السؤال مثار للحوار إذا كنت تريد إحداث تجديد للخطاب الديني. أما إذا كنت تريد إحداث هذا التجديد خارج هذا السؤال فأنت وما تشاء ولكن بشرط ألا تقوم بتجريح هذا السؤال.

عواصف الأصولية القبطية ...
متى يهل علينا فجر التنوير؟ (١)[1]

هذه محاولة، وكل محاولة ليست كاملة، فلستُ مِن دعاة التنزيل. وأعني بكل دقة، أنني أحاول أن أصف، بل أن أحلل أسباب الخلل، وأحاول أيضًا أن أقدم للعقلاء الحلول. والمحاولات هي دأبُ الإنسان منذ بدء الحضارة، أن يتقدم، رغم محاولات تراجعٍ إلى الوراء. مصدر التقدم هو البحث عن الأفضل، ومصدر التراجع هو خوفٌ من التقدم؛ لأنه يلغي المألوف، فقد صار المألوفُ دعامةَ بقاءٍ، ليس لأنه الأفضل، بل لأنه مألوفٌ.

الأصوليةُ هي تراجعٌ إلى الخلف، مع أن حركة الإنسان البيولوجية والفيزيولوجية الطبيعية هي التقدم إلى الأمام. وفي الأصولية، نرى أكبر ضربة توجَّه إلى الإنسان، وهي هزيمة التاريخ الإنساني، باختيار فصولٍ معيَّنةٍ على أنها هي الكمال الذي لا كمال بعده.

وقد حَفِظَ لنا التاريخُ "التعدديةَ"، وتنوع الآراء. وسيادةُ رأيٍّ لا يعني أنه هو الأفضل، بل لأن السيادة عُرِفَت في تاريخ الإنسان عامةً على أنها إجماعٌ وخضوعٌ، وتسلُّط الأقوى، واختيارٌ يفرض نفسه، ربما؛ لأن في لحظةٍ استكان فيها الوعي الإنساني، ورضى بالواقع الذي فرض نفسه، فتحول ذلك إلى اختيارٍ عَبَثَ فيه المال والسلطان والخوف والأمل، وطبقاتٌ أخرى من تراكمات عقلية ونفسية في أهم ما يميِّز الإنسان، وهو حرية الفكر، وإيمان الإنسان بذاته، قبل أن يؤمن بالقوى الكونية الأخرى التي تحدد له مسار مصيره، قبل أن يُولد مثل حركة

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ يوليو ٢٠١٦.

الأجرام السماوية، أو نبوات العِرافة، وتوقعات قراءة الكف، واستطلاع الغيب في جلسات استدعاء أرواح الموتى؛ لأن الأحياء فقدوا السيطرة على حياتهم.

الاستكانةُ والتسليم بالأمر الواقع، نُسِبَ إلى الإيمان بالله، وكأن الله نفسه جاء بصورةٍ معيَّنةٍ عن الحياة الإنسانية، تُفرض باسم الإيمان بالله!! مِن هذا المدخل بالذات، دبَّ صراعٌ عنيف بين الشريعة والإنجيل، تراه وقد رُسِمَ بدقةٍ لا مثيل لها في تاريخ المسيحية، في أربعة رسائل، هي: رومية – غلاطية – كولوسي – العبرانيين، وهي الرسائل الأربعة لأكبر مرتد عن الشريعة، وهو شاول الطرسوسي، بولس الرسول بعد ذلك، الذي حَسِبَ كل ما كان يظنه ثابتًا ومريحًا وواضحًا، "زبالةً"؛ لكي يحيا حياةً حرةً إنسانيةً كاملةً مستعلَنةً في المسيح (راجع فيلبي ٣: ٧).

شريعة موسى ثابتة، وهي مصدر التسليم والاستكانة؛ لأن الإنسان أمام الشريعة بلا حرية، لا يملك أن يختار إلا ما يُقدم له من فتاوى شملت ما يزيد على ٢٠ مجلدًا، عُرفت باسم التلمود البابلي، وأخرى باسم التلمود الأورشليمي، بل سبقها "المشناه"، وهي شرحٌ تفصيلي لِما جاءت به شريعة موسى في اللاويين والتثنية، وأضاف إليها علماء اليهود "المدراش راباه"، وهي شرح الأسفار، وفيها محاولات دائبة للحد من طغيان الشريعة، وقتل حرية الإنسان، بل جاءت "الظوهار" في محاولة للبحث عن الجانب "المستيكي"، ونُشِرَت أخيرًا بعد منعٍ دام أكثر من ١٠٠ سنة في ١٢ مجلد مع الحواشي الآرامية.

صراعُ الإنسان مع الشريعة، تراه واضحًا في رسالة غلاطية، وهو صراعُ امتلاك الإنسان لما يقوم به هو نفسه، وما يعتقد أنه أمر إلهي يقوده إلى معرفة الله مثل الانتماء لإبراهيم بالختان، والاغتسالات، وأنواع الأطعمة، وغيرها من وصايا، كلها تعيد الإنسان إلى ذاته وليس إلى الله: هل فعل وقام بالوصية أم تعدَّى الوصية؟ ومع كل الوصايا جاءت طقوس اللمس والاستعمال (كولوسي ٢:

٢٠-٢٣) التي وُصِفَت بأنها زيادات وُلِدَت من أجل تقييد حرية الإنسان.

لقد ضُرِبَ بولس بالعصى؛ لأنه تجاسر أن يتكلم ضد شريعة موسى (٢كو ١١: ٢٣-٢٨)، وهي عقوبة معروفة لنا من المشناه. لماذا يكتب بولس، ولماذا يصف نفسه بأنه هدم الشريعة (غلا ٢: ١٨)، وأنه إذا عاد إليها وطالب برجوع الشريعة، فسوف يُتَّهم كمتعدٍ؟ والجواب؛ لأن الحرية غابت، بل غاب حتى أهم ما جاء في الأسفار القديمة، وهي: "حِب الرب إلهك وقريبك كنفسك". ووجد بولس أن الهروب من المحبة، هو ذاته الاحتماء بالشريعة، بل وفي التمسك الشديد بها إلى درجة محاولة قتله هو، أن القاتل أو القتلة يجدون ويكتشفون وجودهم وخلاصهم في معارضة الآخر بالتصفية الدموية. وهو ذات المنظر الذي نراه في شباب وشابات ولدوا في الغرب، وعادوا إلى سوريا أو العراق للقتل والذبح في صفوف داعش، والسبب هو أنهم بلا هوية وبلا كيان لم يُكتَشَف، بل كيان أُهمل.

هو ذات الحراك الأصولي القبطي في مواقع إليكترونية وفي برامج تبثها الفضائيات، تحرص على الاحتفاظ بالواقع كما هو، والويل لمن يسأل أو يحاول أن يمس الحداثة، أو يدعو إلى البحث التاريخي. فالاتهام العام، وهو اتهامٌ قديم، أقدم من اتهام سقراط بالإلحاد؛ لأنه أنكر عبادة الأوثان، الاتهام العام هو أنت هذا وذاك. فإن كان القاتل أرثوذكسيًا، فهو يذبحك بسكين البروتستانتية. وإذا كان بروتستانتيًا، فإنه يذبحك باسم الكتاب المقدس، ويُجهِزُ عليه بسكين أنك تابعٌ لتقليد البشر. وإذا كان من الغوغاء، فهو لا يتردد في أن يسوق ما يشاء من اتهامات.

خلف كل هذا، يقبع غياب الحرية الشخصية، وإحكام سيطرة الشريعة، واستخدام سوء فهم الطقوس، على الشخص. صراع بولس كان يدور على الشخص قبل الشريعة، وهو هنا ينادي بذات المبدأ الذي نادى به يسوع نفسه:

"السبت من أجل الإنسان"، فقد وضع الشريعة لخدمة احتياجات الإنسان، لا الإنسان لخدمة ما تطلبه الشريعة. ومات يسوع مصلوبًا، ومات بولس شهيدًا، وجاء من بعده رجال شرفاء ماتوا باسم الشريعة في كل زمان ومكان.

الزمكان تعبيرٌ جديد يجمع بين الزمان والمكان معًا، فقد ثار عابدوا الشريعة؛ لأن الميرون طُبِخَ بطريقة مختلفة، وكأن طريقة الطبخ هي أساس شرعية مسحة الروح القدس! وأنه علينا أن نقول للروح القدس نحن نرتب لك عملك حسب طقسنا، فلا يجوز لك العمل إذا جاء شخصٌ وحاول تحديث الطريقة، إياك أن تجيء!!!

وصارت كلُّ أُمٍّ لنا نجسةً بحكم الشريعة، وميلاد الرب من العذراء الذي حلَّ كلَّ لعنةٍ ونجاسةٍ -حسب ترتيل التسبحة- أُبعد عن الوعي؛ لأنه يفك رباط الشريعة. والذين حُرِموا من المرأة، سواء كانت الأم أم الأخت وتعذَّر عليهم الزواج، هؤلاء هم الذين يريدون وضع المرأة في سجن النجاسة باسم الشريعة لإسقاط ما لديهم من غيظ على النساء.

العلاقات الإنسانية، وإلى أين تنتهي، إذا سادت الأصولية؟

الحرمان هو قتل معنوي يمارسه القتلة بكل قساوة ضد كل من يختلف معهم بدون أن يكون لدى القاتل أو القتلة دليلٌ واحد على هرطقة. يُقتل الأب متى المسكين في كل مناسبة بلا دليل واحد، ويُقتل كاتب هذه السطور في مناسبات معينة، وينال القاتلُ الأجر، بل الصيت؛ لأنه يخدم مجتمع عبيد لا يعرفون الحرية.

التجسد الإلهي هو مجيء الخالق نفسه، واتخاذه جسدًا وعقلًا وإرادةً إنسانيةً لكي يحيا بيننا وعندنا إلى نهاية التاريخ. ولم يكن التجسد حسب الشريعة، ولا أيضًا الصَّلب ولا القيامة أو الصعود والجلوس عن يمين الآب. ولم يعطِ المتجسدُ الروحَ بكيلٍ حسب قوله: «ليس بكيل يعطي الآب الروح

القدس»؛ لأن المكيالَ هو تقنينُ الشريعةِ.

الشريعةُ قانونٌ صارمٌ لا يعرف الحرية، ولا تنادي الشريعة بالحرية، أما الإنجيلُ، فأسدٌ يزأرُ في أرض العبيد، لا يعرف مهادنة العبودية، والصراعُ قائمٌ...

لن تنتهي العلاقات الإنسانية إلى اجتماع المحبة بل إلى التشرذم؛ طالما أن لغة القسوة قد سادت طوال ٤٠ عامًا، وصار الهجوم على الآخرين هو طابع الحياة العامة، وكأن اكتشاف الخطأ هو عمل الكرازة، وكأن الهجوم على الآخرين هو الدفاع عن الإيمان، وصارت الشتائم من الأدلة التي لا تفارق الهجوم، ويهمنا أن نضع أمام القارئ الحقائق الآتية:

١- إن اكتشاف خطأٍ ما -مهما كان- يجب أن يكون جزءً من شرح الإيمان، وأن الخطأ الذي يُحاسب هو التعدي على ما هو صحيح، وما هو يمارس، وما هو ثابت، لا ما يقدِّره أي إنسان حسب قدراته وحسب "مزاجه/هواه". فالهوى هو المرجعية لا التاريخ ولا الآباء ولا حتى الكتاب المقدس. الخلافُ حول الخطية الأصلية، هو خلافٌ حول تاريخ العقيدة في الشرق وتاريخ العقيدة في الغرب. ومِن معاهد ومراكز البحث الأكاديمي صدرت دراساتٌ أشرنا إليها[٢] ابتداءً من دراسة N.P. Williams إلى ما صدر بعد ذلك مثل تاريخ العقيدة عند Seeberg وعند J.N.D.Kelly وغيرهما. بينما عندنا في الشرق لم تظهر إلا محاولات، ودراسات في مقالات، وبالرغم من ذلك جاء الهجوم دون أسانيد، وكأن الاتهام هو الحقيقة، وكأن الرأي المعارض هو التاريخ. هذا مظهرٌ يؤكد انعدام الحرية – انعدام الاحترام – انعدام المحبة، والمحصلة انعدام الحوار.

٢- لم يكن الاتهام بالهرطقة اتهامًا تاريخيًا، أي اتهامٌ يقوم على أسس تاريخية، بل اتهامًا شخصيًا، وأعظم مثال على ذلك هو الحوار الذي دار حول "شركة الطبيعة الإلهية"، حيث دار سجالٌ حول حرفي الجر: "مع" – "في"، كأن الحَكَم

٢- راجع في ذلك تفصيلًا، كتابنا: وراثة الخطية أم سيادة الموت؟، القاهرة، ٢٠١٤.

هو اللغة، كأن المتجسد جاء بدرسٍ أو بدروسٍ لغوية، لا باستعلان المحبة!!! والمحبة ليست درسًا يقال، أو عظة نسمعها، بل كانت ولا تزال حياةً تُعطى. هنا نرى دور الشريعة: حكمُ اللغة حسب مقدار فهم صاحب الحكم - تقديرٌ شخصي بعد استبعاد التاريخ.

٣- إن غياب الحوار هو غيابُ المنهج، والمنهج ليس من وضع شخصٍ، ولا تحكمه الظروف، بل هو نابعٌ من معرفة التاريخ، ولكنه للأسف، هو القائد المستبعد الذي لا حضور له. الحكمُ بعدم قانونية تجليس البابا تواضروس الثاني جاء من شخص وُصِفَ بأنه عالم لاهوتي كبير، فهل كان لدى هذا العالم الكبير، معرفة أرثوذكسية تمكِّنه من أن يشرح ما جاء في القانون الكنسي: "محرومًا من فم الثالوث القدوس"؟!!! لا يوجد شخصٌ ما -مهما كانت رتبته- أن يُصدر حكمَ حرمانٍ بلا مجمع، وبدون شهود، وبدون تحديد التهمة، وبدون ذكر السبب التاريخي الذي يمنع رسامةَ أسقفٍ مرتين. فهل جادت قريحة هذا العالم اللاهوتي الكبير، علينا بمنع سبب وضع اليد مرة واحدة؟ وهل حقًا إن الرسامة هي بوضع اليد أو بالمناداة؟ هل هذا هو تعليمٌ ثابتٌ، أم رأي شخصي؟ وما هي المراجع، أو المرجعية التاريخية التي بنى عليها هذا العالم اللاهوتي حكم الحرمان من فم الثالوث القدوس؟

الآخر، مَن هو، وماذا فعلنا به؟

عندما درسنا الفلسفة، كان كتاب Emmuel Levinas وعنوانه Humaism and the other كان بمثابة صدمة لمن تربى وعاش على ثقافة أُحادية الفكر، أي الفكرة الواحدة التي تلخص الآخر كله في عبارات أو عبارة واحدة، مثل "ذمي" أو "نصراني". وكنت أجد ذلك في لغة الصحوة القبطية مع اختلاف اللفظ، إذا حلت كلمة "بروتستانتي" محل كلمة "ذمي"، ولم أجد عند Levinas أي حل لمعضلة الفكر الأحادي الوصفي الذي ينتهي عادةً بالصفر. واحتقار الآخر هو

نوعٌ حقير من الرفض المطلق تحت أسماء متنوعة.

إن رفض الآخر تحت أي اسم أو أي بند، إنما يكشف شيئًا عند الرافض والطاعن، يكشف عن عداوته ويكشف وهم الانتماء إلى ذاتٍ عليا تعلو على الآخر، وتملك حذف الآخر تمامًا. هذا لا تعرفه الفلسفة الأوروبية بالمرة .. الآخر -حسب الإيمان- هو عضوٌ في جسد المسيح، وعندما سقطت الكنيسة كجسد المسيح من الوعي، وظلت قائمة كمؤسسة تملك إصدار ما تراه من اجتهادات كلها تدور حول شريعةٍ ما، حوَّلت الآخر من عضوٍ في جسد الرب يسوع نفسه إلى شيء، فأصبح التشريع يمسُّ الربَّ نفسه، وهو مجمل ما صَدَمَ بولس عندما نوى الهجوم على المسيحيين في دمشق، إذ سمع صوت الرب: "لماذا تضطهدني" (أع ٩: ١-٢)؟

الشيءُ قد يكون رقمًا أو فكرةً، وبالتالي، فإن تشيئ الشخص كعضوٍ في جسد المسيح، وتحويله إلى أحد "أتباع متى المسكين"، أو أنه "متَّاوي"، أو غيرها من أوصاف، لا شك ينطوي على إنكار الانتماء لجسد المسيح.

تاريخيًا، كان الهجوم على الكنيسة جسد المسيح قد تجنَّب تمامًا كل الإيجابيات التي قيلت في كتاب "العنصرة"، وهو من بواكير كتابات الأب متى المسكين. وخلف الهجوم والاتهام يكمن -في حقيقة الأمر- إعدام الآخر بهدم الهوية الإلهية التي أعطيت له. وعند الانتهاء من الآخر، ينال القاتل عافيته "ويتنفس رائحة الرضا"، فقد أزال القاتلُ الآخرَ من الوجود، وجعله العدو، ووصف كتبه بـ "تعاليم الأب متى المسكين" أو "تعليم د. جورج بباوي"، حتى لو كانت كل العبارات هي لأثناسيوس الرسولي؛ إذ يجب التستر على المصدر حتى يتم لفظ الآخر.

ومَن يجد لذةً في التشدق بحكم إعدام وخلع من عضوية الكنيسة، يكشف عما في باطنه من عداء ورغبة في القضاء على الرب نفسه، هي نابعة من القضاء

على الآخر الذي "مات لأجلنا". وما يكشف الضمير المثقَّل بالعار والإثم، هو تغيير عبارة "مات عني"، إلى "مات بدلًا عني"، و"عوقب بدلًا مني". وعندما يتم قتل الآخر، وهو هنا يسوع، يصبح قتل الآخر سهلًا؛ خصوصًا إذا كان المسيح قد دفع الثمن، أي ثمن الجريمة، ولذلك لا مانع من أن يقتل كل من يختلف معه.

هذا هو التكفير الذي يُمارَس داخل حقل لاهوت "أخطأ في ترتيب منظومته"، وبناءً على ذلك أخطأ في تحديد الآخر؛ لأن المنظومة الجديدة أصبحت هي الانتقام من الخاطئ ودفع ثمن الخطية، وأن الآخر ليس هو رب السماء والأرض الذي جاء للشفاء وتحرير الإنسان، بل هو كبش فداء مثله مثل ذبائح العهد القديم، وأن حرقه بنار العدل هو العدل نفسه، وبعد أن احترق، هل ظهرت الرحمة والمحبة؟ الجواب هو بالنفي؛ لأن الرحمة لا تعرف التشفي، ولا الغاء الآخر.

بعد هجمات ١١ سبتمبر، عُقد مؤتمر في جامعة لندن Kings College في ٢٠ سبتمبر، ولم يكن هذا المؤتمر يبحث الهجوم على نيويورك أو التطرف أو .... الخ، بل كان البحث هو عن الآخر. وقد تقدمتُ بمساهمة قصيرة جدًا تدور حول الأبحاث التي قدمها كلًا من C. K. Ogden وI. A. Richards في مجلد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٢٣ بعنوان The Meaning of Meaning كان البحث القصير يدور حول استخدام حرف النفي "لا"، وجاء التمييز بين لا النافية ولا اللاغية، وكلاهما من حركات الفكر الإنساني. فالنفي يصنع علاقةً جدليةً Dialectic بين موضوعين، ويظل كلاهما في تفاعل تام. أما الإلغاء، هو العدمية Nihilism وهي ليست نفيًا، بل حذف الوجود، والتطويح بما هو موجود وكائن إلى العدم.

عندما كانت الكنيسة تفرز هرطقةً ما عبر تاريخها الطويل، كان هذا الإفراز عملًا جماعيًا، يتم في مجمع، وكان سبب ذلك هو إتاحة الفرصة لأكبر

عدد حتى لا تتدخل النرجسية في القرار. وكان ردُ الكنيسة على الهرطقة هو دائمًا ردًا إيجابيًا، يتلخص في عبارة واحدة: "ماذا يحدث للإنسان نفسه، لو كان المسيح مجرد نبي؟ والإجابة هي: فقدان الحياة الأبدية والتبني وميراث الملكوت والقيامة؛ لأن هذه كلها عطايا يقدمها الله". ولم يكن شجب أريوس أو غيره، قرارًا بالإلغاء، بل قرارًا بالنفي لكي تبقى أمام كل الضمائر الحية تلك العلاقة الجدلية التي تفرز الصواب والحق. والحق هنا هو أساس المسيحية الراسخ، أي شركة الله في حياتنا، فقد جاء هو، وأسس علاقةً جديدةً في اتحاد الألوهة بالناسوت، ومن هذا الاتحاد وُلِدَت كلُّ علاقة الإنسان بالله؛ لأن الله هو الواهب. وبسبب هذا الرد الايجابي النافي للعلاقة التي تحاول الهرطقة أن تغيِّرُها، كان تقديم الشرح الإيجابي هو دائمًا ما تحرص عليه كل كتابات الآباء.

أمَّا في زماننا، فقد ظهرت كلمات "شطط"، "انحرافات عقائدية"، ولكننا لم نسمع من هؤلاء المدعين أين هو الشطط بالتحديد، وما هو الانحراف؟

ماذا فعلنا بالآخر؟

لقد قضينا عليه، ولم نسمح حتى بصلاة الجناز لمن كانوا على خلاف. ولأننا لم نكن نملك أن نحاكمهم وهم أحياء، اكتفينا بأن نحاكمهم أمواتًا، مثلما حدث مع القس إبراهيم عبد السيد ود. نظمي لوقا والأستاذ موسى صبري، وتهديد كاتب هذه السطور بذات القرار. لم يعد لدينا فرحٌ بالحق، ولا رغبة في الشهادة، بل صمتٌ تام. والمعاناة من الأخوة الكذبة التي عاناها الرسول بولس وعبَّر عنها في (٢كو ١١: ٢٣-٢٨)، هي نفس معاناة كل من يشهد للحق ويواجه الكذبة، لا سيما في العصر الحديث.

في كل مدينة سافر إليها بولس، وَجَدَ من يقاومه، في دمشق (أع ٩: ٢٣)، في أورشليم (أع ٩: ٢٩)، في انطاكية (أع ٢٣: ٥٠)، في أيقونية (أعمال ١٤: ١٩)، في تسالونيكي (أع ١٧: ٥)، في بيريه (أعمال ١٧: ٢٣)، في كورنثوس (أع ١٨: ١٢).

وعندما سافرت إلى انجلترا -وصدر قرار الحرمان، ليس من جهة الاختصاص، وهي الكلية الإكليريكية، بل من لجنة الأنبا بيشوي -وحصلت على عمل بالجامعة، جاء الأنبا بيشوي ليقول لرئيس أساقفة كانتربري إنني ضابط في المخابرات المصرية، وقبلها أرسل كهنة لندن خطابات سيئة لجامعة برمنجهام لمنعي من العمل، ولكن جاءت أحابيلهم بعكس ما كانوا يتوقعون لأن الديموقراطية البريطانية لا تحاكِم بلا دليل، وأن حرية الشخص تعلو على أي اتهام حتى يتأكد القانون أنه مخطئ.

وبعد، ... المستقبل عندي وليس عند القتلة، ومَن يفتخر بقتلي هو داعشي قبطي يقول إنني محروم ومحروم إلى الأبد حسب فكره؛ لأنه قتلني واستراح، كما قتل الآب ابنه الوحيد واستراح كيفما يفترون، وإن كان موت الابن الوحيد بيد الكذبة هو الذي أسس استعلان المحبة، وأصبح مصير الابن الوحيد هو مصير كل مصلوب، حتى لو كان مثل اللص اليمين، فسوف يذكره التاريخ والشرفاء دائمًا.

عواصف الأصولية القبطية ...
متى يهل علينا فجر التنوير؟ (٢)[١]

التجسد هو اتحاد الألوهة بالإنسانية في يسوع المسيح. يسوع هو الإله المتجسد، ومهما قلنا عن أسباب وغاية التجسد، يظل الموضوع الحاضر دائمًا هو: الإنسان.

مهما حشدنا من شرح أو دفاع عن تجسد ابن الله، فالذي غاب من الشرح والدفاع هو الموضوع الأصلي: الإنسان. لقد حقق التجسد رسالته الأبدية التي نتحاور معها منذ أن سمعنا الإنجيل، أي البشارة، **وهي بشارة اللحم والدم، ولم تكن هذه البشارة بشارةً بالكلام أو بالخطاب فقط**. كان الكلام أو الخطاب متجسدًا في شخص، ولم يتجسد في نظام، ولا في منظومة عقائدية. هذه قد تكون إحدى طرق الدفاع العقلي عن تجسد ابن الله، وهي مطلوبة في مواجهة التحدي العقلي الوافد مع الثقافة، والذي تدفعه العادات الاجتماعية والمُثُل التي نتمسك بها، غير أن هذا الدفاع رغم أهميته، إلا أنه يفشل عادةً في استعلان عزة وكرامة الإنسان الذي لأجله جاء الابن وتجسد؛ لأن الدفاع يكون عندئذٍ عن التجسد، وفي غمرة وسخونة الدفاع، ننسى أن التجسد يهدف إلى الإنسان نفسه.

عندما يهل علينا عيد الميلاد، أو بالحري عيد تجسد الرب في كل عام، وأسمع تراتيل شجية بموسيقى عالمية جميلة، لا أجد نفسي أسيرُ حدثِ بيت لحم، وهو تجسد ابن الله، بل أجد نفسي أُقَلِّب في دفاتر التاريخ عن عظمة الإنسان التي أشرقت في إنجيل بشارة يسوع المسيح. لقد جاء السمائي إلى الأرض، وحَلَّ الله

---

١ - مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٥ يوليو ٢٠١٦.

(كل "ملء اللاهوت") في الطبيعة الإنسانية التي أخذها الرب من البتول والدة الإله (كولوسي ١: ١٩)، لكي يشرق الإنسان بجمال الأبدية وعظمة وقوة المحبة الإلهية.

في رائعة بولس الملهَم بالروح هناك لحنٌ سماوي في (فيلبي ٢: ٦-٨) عن إخلاء الذات، وهو لحنٌ حَفِظَ "الهارموني" اللاهوتي، إذ حَفِظَ لنا محبة الأقنوم للبشرية؛ لأن إخلاء الذات هو أن يقبل الرب أن يكون حيًا في حياةٍ هي عكس حياته الشخصية. كان لا بُد له أن يخلي ذاته من القوة والمجد، وأن يحاصِر القوة والمجد في الإنسانية التي صارت ليست إقامته المؤقتة، بل الأبدية في أقنومه الإلهي - المتجسد إلى الأبد.

تغييرٌ كبيرٌ جدًا له تبعاتٌ أبديةٌ تحاصِر وتهدم كل ما نعرفه عن الله وعن الإنسان.

غير أني سوف أترك ما عرفناه عن الله لكي أعود إلى "مشنقة الأصولية" التي تحاصر الإنسان وتشنقه، تبغي قتله، أو "محاصرته" أولًا بالشريعة، ثانيًا بإغراق الإنسان في مستنقع الخطية لكي تصبح الخطية هي الشارح والمفسر لكل شيء.

كنت أتحدث مع طبيبٍ للأمراض النفسية يعمل في كندا عن التفسير النفسي لظاهرة الحديث عن أخطاء الأب متى المسكين التي نراها تبرز من آن لآخر على شبكة المعلومات. وضحك الطبيب وقال: هذا جانبٌ من جوانب سيادة الخطية، واعتبار "الخطيتولوجي" (علم الخطية)، هو علم اللاهوت الذي حلَّ محل الملكوت وبشارة الإنجيل والتبني والقيامة والحياة الأبدية، وقبل الكل، محبة الثالوث للإنسان؛ لأن هذه المحبة هي عزة وكرامة الإنسان في المسيحية. وطلبت الأذن أن استعمل هنا المصطلح الجديد "الخطيتولوجي" (علم الخطية)؛ لأن **محورية الخطية دفعت بنا إلى هاوية الشعور بالذنب، وإلى محاصرة نعمة الله التي يجب أن تعطى لنا مجانًا، فأصبحت تعطي حسب قواعد واستحقاقات**

جعلت من النعمة أجرةً وليس هبة مجانية. وقال صديقي: إن الذي ضاع هو الإنسان. وقلت له: إن الذي ضاع هو غياب المتجسد من الخطاب المعاصر، رغم انتشار كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس، وكتاب "تجسد الابن الوحيد" للقديس كيرلس. وأن ما نُشر تحت اسم الخرستولوجي، فهو دراساتٌ جيدة ومطلوبة، وهي جديرة بكل تقدير واهتمام، ولكن الإنسان ذلك الكائن الذي تجسد الرب لأجله، أين هو الإنسان؟ وأين استعلان الإنسان في يسوع المسيح؟

غاب التجسد، فغاب الإنسان:

شاهدت على YouTube مؤتمر العقيدة الأخير المنعقد في ١٨ يونيو ٢٠١٦، وكان معي مجموعة من شباب قالوا جميعًا: إن مَن يسمع هذا الشرح، لابُد وأن يقارنه بما يجده في الإلحاد من حريةً وكرامةً لفكر الإنسان. ذلك لأن لاهوت العصر الوسيط كان هو الذي سيطر على المتكلمين، فلم يفارق المؤتمر كله، **ما عدا أسقف واحد** كانت فيه نسمة حياة، بينما حاول الباقين اثبات صحة عقائد الكنيسة من نصوص العهد الجديد فقط، وهي نصوصٌ عليها شحنة اعتراضات إنجيلية دُوِّنَت منذ القرن السادس عشر، وتجدها في كتب نُشرت عندنا.

ما هي المشكلة الحقيقية؟

هي غياب أن استعلان تجسد الله الكلمة، إنما هو استعلان لكي يقابل احتياجات الإنسان الأولى والأخيرة، وهي الحياة الأبدية الدائمة التي جاء بها الابن، ووُهِبَت لنا بالروح القدس. هذه الحياة الجديدة هي في عبارة واحدة تعلن يسوع كشخص: "جئتُ ليكون لكم حياة، وتكون هذه الحياة (أوفر) وأفضل". وهي ليست عبارة، ولا هي نص رغم مظهرها السطحي النصي، وإنما هي تشرح التجسد: "من ملئه نحن جميعًا أخذنا نعمةً فوق نعمة".

هنا تبدو المشكلة: إن التصدي بالنصوص والمقارعة أو المبارزة بالأقوال، يخلق

مشكلة تحوِّل الإنجيل إلى سلسلة من الأفكار والنظريات. إذا أخذنا المعمودية كمثال، مهما قيل عنها بالنصوص، سوف تجد من يقاومها بنصوصٍ أخرى، وهنا يكون الصياح والصراخ غيرُ مُجدٍ، ولكن يجب أن تكون أعيننا نحو:

* **رد الإنسان إلى المسيح.**
* **تحوُّل الكيان الآدمي الساقط بميلادٍ جديد، استُعلِن في يسوع المسيح عندما تجسد وصار هبةً من الله تُعطى في الماء والروح لميلاد جديد من فوق. هذا التحول الكياني هو الذي يحدد مسار الحوار: إما بقاء الإنسان كما هو في آدم، أو إعادة تجديد الإنسان وردُّه إلى حياةٍ جديدةٍ في المسيح.**

وإذا نظرنا إلى سر الشكر، لوجدنا أن حربًا تدور حول سر الشكر، تعود إلى القرن الحادي عشر في الغرب، ووَلَّدت هذه الحرب تعليم "الاستحالة الجوهرية". وعندما قلنا إنها "استحالة سرية"، خرج علينا من يقارعنا ويزيد بالاتهام بأننا ننكر تناول جسد حقيقي ودم حقيقي، وكأن الجسد والدم هو جسد ودم بيولوجي، ولكن عندما أضاف عبارة "تحت أعراض الخبز والخمر"، نزع عنه كل ما يوصف بأنه بيولوجي!! ولكن الجسد الحقيقي والدم الحقيقي هو جسد ودم من قال: "أنا الحياة"، "أنا هو الخبز الحي النازل من فوق"، "أنا هو خبز الله الواهب الحياة للعالم". فالحياةُ هي حياةُ من قال: "أنا الحق"؛ ولذلك فإن جسده "جسدٌ حقيقيٌ" لم تزيِّفُه الخطية، ولا أفسده الموت، ولذلك بقيَ جسدًا حقيقيًا حيًّا غلب الفساد، وصار ممجَّدًا بمجد الألوهة. ولأن الألوهة هي الحق، صار جسد الكلمة "حقًا". وتعبير "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١) هو تعبيرٌ عن حق المجد الذي يمنحه يسوع "مجدًا وإكرامًا"، الخاص بالثالوث، وضاع علينا قوة الحس لا الحرف في الأصل القبطي ǹte للثالوث القدوس. هو ذلك المجد المستعلن للإنسان لكي ينال حريته والانعتاق من الموت الذي يُستعلن ويُوهب في الذبيحة.

وعندما نقول إن التجسد غاب، فذلك لأننا جعلنا الصليب والصَّلب هدفًا، وحوَّلنا الصَّلب إلى فكرة، واقتبسنا أبشع ما جاد به الغرب من "زبالة"، وهي نظريات الفداء الخمسة، وتركنا أربعةً منها، وتمسَّكنا بواحدة، وهي دفع الثمن لله الآب، فغاب اتحاد اللاهوت بالناسوت؛ لأن الفكر توقَّف عند الخطية، وهي ضد الله، وتوسَّع في شرح الخطية وجعلها "غير محدودة" (أي إلهية)، ولها آثار تمتد إلى الله نفسه لأنها تعد اعتداءٌ على الله، وهنا ضاع تجسد ابن الله، وغابت القيامة؛ لأن القيامة هي قيامة الجسد، وتحولت القيامة إلى "زفة أيقونة"، لا موكب انتصار الرب واستعلان الحياة الأبدية وهزيمة الجحيم والقبر.

والخلاصة هي أن التجسُّد والصَّلب والقيامة لهم محور واحد، وهو الإنسان.

- تجسَّد لأجلي لكي يوحِّدني به.
- صُلب لأجلي لكي يرفع الدينونة والموت ويلاشي كل ما فعلته الخطية.
- قام لأجلي لكي يكون لي شركة أبدية فيه وأُصبح غصنًا في الكرمة (يو ١٥: ١).
- وصعد إلى السماء لكي أجلس معه على عرش مجده (رؤ ٣: ٢١).

هذه هي الحياة الحقيقية، وهي لا تقوم على نصوص، بل على شخص الابن، وعمل الروح القدس.

كيف عصفت الأصولية بأساسات التدبير؟

أعادت الأصوليةُ المسيحيةَ إلى مربع الشريعة الموسوية. ترى ذلك بأوضح صورة في ذلك الحوار السخيف الذي دار ويدور عن طهارة المرأة وطهارة الجسد وقواعد وفتاوى الصوم، بل دخلت الشريعة حتى في مجال سر الشكر نفسه، فوَضَعَت قواعد للتناول، دون أن تشرح أيًا من هذه القواعد، تلك التي تراها معلقة على أبواب الهياكل.

* في حين أن السِّرُ هو حضورنا في وليمة الثالوث الإلهية – توزيع الرب لجسده ودمه علينا بواسطة الخدام – حلول الروح القدس علينا وعلى القرابين –

حضورنا السمائي في السماء مع الملائكة.

ولماذا أحيط السر المجيد بقواعد وقوانين؟ لأن الأساس الحقيقي تم ردمه واستبعاده، وهو شخص المسيح، ولأن القواعد تسمح لمن نسب لنفسه ما يُسمى بالسلطان الكهنوتي لا خدمة الكهنوت، أن يصول ويجول في الكنيسة باسم القانون.

ولماذا عصفت الأصولية بالأساسات؟

والجوابُ واضحٌ لا يحتاج إلى مزيد شرحٍ. ذلك؛ لأن الكنيسة ليست هي جسد المسيح، وليس لها رأسٌ واحد هو يسوع، بل هي مؤسسة لها رؤوسٌ، هي جماعات الإكليروس. والمؤسسة تحتاج إلى قوانين وقواعد، وبالتالي صارت الكنيسة مثل المجتمع الذي تعيش فيه.

الأصولية تعصف بالمحبة:

من الكلمات الخالدة لأحد الآباء الذي ظلَّ يُطارَد طوال وجوده على الأرض، هو أن الكنيسة دخلت عصر "قساوة القلب". ورحل هذا الأب عن عالمنا لكي يُطارَد بعد نياحته. وقد تبدَّت هذه القساوة في الحُكم على الآخر، في حشدُ الأتباع ضد هذا أو ذاك، في استخدام الفضائيات وشبكة المعلومات في هجومٍ لا يبثُ الحقَ، بل الكذب؛ لأنه خارج التاريخ، ولأن التصور الشخصي صار هو مرجعية العقيدة بلا تاريخ، والأخطر الاتهام العام بلا دليل.

الكنيسة أُمُّ الشهداء كنيسة تاريخية:

في عام ١٩٦٨ وبالذات في يوم ١٨ مايو كانت محاضرة أستاذ كرسي التاريخ في جامعة كامبريدج تدور عن تاريخية أو تاريخانية المسيحية، وقال إن المسيحية لها أصولٌ في شخص يسوع التاريخي الحي الذي عاش فعلًا على الأرض ومات وقام، وأنها أي المسيحية ليست رواية أو خرافة. وضرب مثلًا بكنيسة الإسكندرية

العريقة وقال إنها لا تقدِّم الجديد إلا على أساس لاهوتي، وكل أساس لاهوتي له أساس في التاريخ، وأساس التاريخ هو المثال الحي يسوع المسيح. وعَرَضَ الكثير من النماذج بداءً من أوريجينوس الأب الأول لعلم اللاهوت، ثم أثناسيوس وكيرلس، وطبعًا توقف عند نهاية عصر التدوين باللغة اليونانية، ولكنه كان دقيقًا، إذ قال إن كل تراث الإسكندرية لا زال حيًا في تاريخ الكنيسة المصرية المعاصرة.

ولكن في خلال ٤٠ سنة مضت، عصفت الأصولية بالتاريخ الكنسي:

أولًا: غاب تدريس التاريخ وأُغلق قسم التاريخ الكنسي في معهد الدراسات القبطية، وحتى بعد نياحة الأستاذ نبيه كامل لم يتم تعيين متخصص في تاريخ الكنيسة. ولهذا فإن مجلة مدرسة الاسكندرية، تُزعج الأصوليين وتنزع النوم من عيونهم، والسبب معروف، فهي تفتح باب دراسة ما في الكنيسة أُمُّ الشهداء من مصادر التاريخ، وهو ما يكشف عورة الأصولية.

وبدأت ترجمات الآباء تُحارَب بشكل مقزز. وتبدو سخافة المحاربين فيما يقولونه من إن في هذه الترجمات أخطاء، دون بحث خطأ واحد. بالطبع، لدينا مشكلة، وهي عدم وجود قاموس يوناني/عربي، ولكن الخلاف يجب أن يقوم على المحتوى والنصوص والمقارنة مع اللغات الأوروبية، لا بالشتائم.

أكاد أتصور ما حدث عندنا على النحو التالي:

لقد تربَّع الجهلُ على عرش المعرفة، فويلٌ لمن يعرف، والعزةُ لمن لا يعرف، فهو صديقٌ دائمٌ للجهل، ينادم السلطان الجالس على عرش الجهل. وهكذا جلس الجهل على عرشٍ سمَّاه الجاهلون "سلطان الكهنوت"، وصار العبدُ الذي لا يخضع له مارقًا وهرطوقيًا، فلا عرش لابن الله، أي المسيحي شريك المسيح والوارث مع المسيح ملكوت الآب (رو ٨: ١٦-١٧)!!!

لقد نام الجهل في فراش القساوة، وأنجب العداوة. ونامت العداوة في فراش الخوف، فأنجبت العبيد.

وإذا كانت الفلسفة اليونانية تقول عن الإنسان إنه كائن عاقل حر مريد، فماذا يقول الانجيل، بشارة الحياة؟

فالإنجيل يقول: الانسان هو حيٌّ - محبٌ - خالدٌ - شريكٌ للثالوث - حريته هي حرية المحبة لا محبة الحرية. وهو محبوب الثالوث.

هو هيكل الله حيث يحل روح الرب فيه. وهو لذلك، فوق كل الشرائع كلها، عندما يكون الخطاب عن الإنسان وعن الله. أما في المجتمع، فهو يخضع لما في المجتمع من سلطان قائم من أجل خدمة الإنسانية لا من أجل انتاج العبيد.

هل استخدام عبارات ذكرها الهراطقة بشكلٍ عام يؤدي إلى هرطقة مستخدمها؟[1]

طُرِحَ هذا السؤال على شبكة المعلومات الدولية، وهو سؤالٌ خبيث يهدف إلى محاصرة المسيحية الأرثوذكسية وحقائق الإيمان في نصوص. وهو سر المعركة المشتعلة طوال ٤٠ عامًا التي يحاول فيها مطران دمياط الدفاع عن أخطاء في تعليم الأنبا شنودة الثالث بالالتفاف حول الموضوع الأصلي لكي ننسى أن القضايا الأساسية هي:

أولًا: ليست النصوص إلا لإثبات ما قيل وكتب.

ثانيًا: العلاقة الإلهية - الإنسانية في مسيحية المتجسد الإله الابن الوحيد الذي في حضن الآب الذي أتى وأعلن لنا أبوة الله (يوحنا ١: ١٨)؛ لأن بشارة الخلاص هي: "الذي كان من البدء"، هو الذي "سمعناه"، ولئلا يظن أحد أن يسوع الكلمة هو مثل الأنبياء: "الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه"؛ لأن الكلمة تجسد، فالكلمة صار جسدًا (يوحنا ١: ١٤) ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١يوحنا ١: ١)، وجاء التجسد بما هو أعظم من كل الكتب، فالحياة أُظهرت "التي كانت عند الآب وجاء المسيح وأعلن لنا هذه الحياة "الحياة الأبدية التي كانت عند الآب **وأُظهرت لنا** والسبب "لكي يكون لكم أيضًا شركة معنا. أما شركتنا فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١يو ١: ٢-٣).

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٨ يوليو ٢٠١٦.

ولكن تلاميذ الشريعة الذين لم يدرسوا التاريخ الكنسي من مصادره، بل قرأوا الكتب التي كُتبت عن التاريخ، ولم يدرسوا وثائق التاريخ، ليس لديهم إلا العودة إلى الكلمات والنصوص.

دائرة كل الهرطقات:

الدائرة التي تجمع كل الهرطقات هي دائرة الفصل، نمر عليها في ايجاز:

١- الغنوسية. الجسد من صنع إله الشر، وبالتالي لا خلاص ولا فداء بتجسد الابن.

٢- الأريوسية. الابن مخلوق قبل سائر المخلوقات، وهو غريب عن جوهر الآب. وبالتالي المخلص نفسه يحتاج إلى خلاص، ولم يقدم شيئًا جديدًا للإنسانية.

٣- الأبوليناريوسية. الابن جسد بلا نفس ولا عقل إنساني: جاء الابن وخلص الجسد فقط.

٤- الأوطاخية. الناسوت ذاب في اللاهوت، ولدينا قراءة أولى (نقطة عسل) وقراءة ثانية (نقطة خل في محيط من الماء). إذن لا سرائر، وبالذات الإفخارستيا، ولا قيامة لنا.

٥- النسطورية. يسوع هو عبد للابن الكلمة، وهو إنسان كامل له علاقة مصاحبة وألفة مع لاهوت الابن، فالإنسانية التي ليسوع هي أقنوم آخر غير أقنوم الابن، وبالتالي لا اتحاد للطبيعتين، ولا قوة حياة في الإفخارستيا، بل نحن كما قال كيرلس العظيم "آكلي لحوم بشر".

دائرة الانفصال:

هل يمكن أن نستخدم عبارات من كلمات الهراطقة مثل عبارة نسطور: "الرب لم يقل خذوا كلوا هذا هو لاهوتي، بل قال خذوا كلوا هذا هو جسدي"، ثم نقول بعد ذلك إن اللاهوت لا يؤكل ولا يمكن أن نشربه ويحتج الأنبا شنودة بعدم شرب اللاهوت (راجع الملحق الذي نُقِل عن كتاب بدع حديثة) في غمرة

الاندفاع ضد شركتنا في الحياة الإلهية، فهو يجيب على سؤال، والسؤال واضح أنه ليس عن عشاء الرب، وإنما السؤال هو: هل في الإفخارستيا نأكل الطبيعة الالهية؟ والجواب: "طبعًا اللاهوت لا يؤكل ولا يُشرب"، وتعبير نأكل الطبيعة الإلهية ونشرب اللاهوت، أمر غير مقبول على الإطلاق، وهو غريب على الأذن وعلى الذهن. الله روح (يوحنا ٤: ٢٤). ومن غير المعقول أن نقول نأكل الروح أو نشرب الروح!! والسيد المسيح قال: من يأكل جسدي ويشرب دمي (يوحنا ٩: ٥٤) ولم يقل من يأكل لاهوتي. (كتاب بدع حديثة ص ٩٥).

وإذا بحثت في الجزء الأول والثاني من كتاب الأصول الأرثوذكسية الآبائية لكتابات الأب متى المسكين، لن تجد ما ذكره الأنبا شنودة، فهو أكثر البشر قدرة على اختراع الاتهامات التي لا وجود لها. ولست أحب أن أتهمه بالكذب، رغم أنه اتهمني أنا بشر الشرك ليدعو الجماعات المسلحة إلى قتلي. أما عن شُرب اللاهوت، فعبارة الأنبا شنودة غريبة جدًا، فالرب يسوع قال للسامرية: "الماء الذي أنا أعطيه يصير فيه ينبوع ماء حي ينبع إلى حياة أبدية" (يوحنا ٤: ١٤) وعاد الرب فقال في عيد المظال "إن عطش أحد فليقبل إليَّ ويشرب. من آمن بي -كما قال الكتاب- تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه" (٧: ٣٧). هل صحيح يا أنبا شنودة، ومعك تلميذك بيشوي أن شرب اللاهوت غريب على الأذان؟ ألم تقرأ ولو مرة إبصالية الأربعاء، وهي تسبح اسم الرب يسوع "مجرى المياه هو مخلصنا يسوع المسيح والملازمون له تحيا نفوسهم"؟

- وفي ثيئوطوكية الجمعة: "أيتها العذراء مريم والدة الإله الحكيمة بستان العطر ينبوع ماء الحياة المقدس"؟!!!

- وفي الشيرات الثانية: "السلام للإناء الغير الفاسد الذي للاهوت المعطي الشفاء لكل من يشرب منه". حقًا قال المعلم الكنسي البابا كيرلس السادس إن

نسيان التسبحة السنوية هي خسارة الإيمان الأرثوذكسي.

ونعود إلى دائرة الانفصال:

الأنبا شنودة نسطوري ١٠٠٪ لأن الموضوع الأصلي ليس شرح عشاء الرب، بل شركتنا في المسيح. هو يرفض تأله جسد الله الكلمة، وهو ذات الرفض النسطوري، وهو يرفض شركتنا في أُلوهية المخلص لأن في سر الشكر نحن ننال الناسوت فقط.

ولكن الدفاع المستميت للأنبا بيشوي: "يؤكل ولا يؤكل"، والذين ينالون الأجر الكافي لكي يشتموننا هو ذلك الادعاء الذي سوف يدخل جيلًا في نفق العمى الروحي.

ما يقوله الهراطقة هو ما يتفق مع هدف الهراطقة:

١- كما قلنا ليست المشكلة في نص أو عدة نصوص. المشكلة هي هدف الهرطقة. لم يكن الخلاف حول حرف اليوتا (I) بين كلمة هومووسيوس وهوميسيوس، الأولى هي الواحد مع الآب في الجوهر، والثانية هي المشابه؛ لأن المشابهة تفتح باب الكلام والخطاب الأريوسي لا يكف عن تأكيد أن الابن إله مخلوق يشبه الآب.

٢- وإذا ذكر نسطور قيامة الجسد الإنساني، فهو يقوم بقدرات الإنسان، وليس لأن الجسد، أي جسد المسيح قام بسبب الاتحاد الأقنومي.

٣- بالطبع عندما نشر نسطور، أو ربما بعد موته The Bazaar of Heracleides وهو دفاعٌ حار لم يخرج عن ما سُجِّل في مجمع ٤٣١ وكذلك دراسة المؤرخ الألماني F. Loofts ثم جمع مزيد من النصوص لأستاذة التاريخ البولندية L. Abramowski في ثلاثة مجلدات ظهر من هذه الدراسات، ومن قبل هؤلاء J. Tixeront تاريخ العقيدة أن الانفصال بين اللاهوت والناسوت

هو ما حاربه القديس كيرلس في الفصول الاثنى عشر المعروفة لدينا باسم "الحروم الاثنى عشر"، ونكتفي هنا بالفصل الحادي عشر أو الحرم الحادي عشر: "كل مَن لا يعترف أن جسد الرب هو معطي الحياة، وهو يخص الكلمة الذي من الله الآب، بل يقول إنه جسد آخر غيره، وإنه مرتبط به بحسب الكرامة، أي حصل فقط على حلول إلهي. ولا يعترف بالحري أن جسده معطي الحياة كما قلنا لأنه صار جسد الكلمة الخاص به الذي يستطيع أن يهب الحياة لكل الأشياء. فليكن محرومًا" (راجع رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي – مركز الآباء ١٩٨٨).

خلاصة القول:

الجسد المتحد بلاهوت الابن لا يكفي، رغم البراءة السطحية؛ لأنه ينكر ما تؤكده الليتورجية إنه:

- جسد إلهي، لأنه ذبيحة إلهية: "جسد ودم عمانوئيل إلهنا".
- لاهوته لم ينفصل عن ناسوته.
- جسد سمائي، لأنه الذبيحة السمائية.
- جسد حي، لأنه الذبيحة غير المائتة.

وبالتالي، فهو كما قال الآباء أثناسيوس وكيرلس بشكل خاص "الجسد المتألِّه".

المسألة إذن ليست مسألة توافق أو تشابه عبارات، بل الغاية والقصد من الإنكار، واستخدام فقرات لا وجود لها إلا في عقل قائلها؛ لأننا لم نقرأ نصًا واحدًا يقول إننا نأكل جوهر أو طبيعة اللاهوت، كما يدعي الأنبا شنودة. والانفصال في وعي الأنبا شنودة ظاهر في سخريته من السر المجيد: "هل تأكل الكنيسة نفسها إذا كانت جسد المسيح أو تسجد لنفسها"؟ سخرية لا تليق بمن سُلِّمَ له الإيمان، وانحرف عن قصده ومن يدافع عن هذا الانحراف يسقط معه. ثم تأتي نظرية الأجساد الثلاثة التي لا وجود لها إلا في عقل الأنبا شنودة تؤكد انفصال الرب

الواحد إلى ثلاثة أجساد: الجسد من البتول - الجسد في الإفخارستيا - الكنيسة جسد المسيح.

ومن يدافع عن نسطورية الأنبا شنودة الثالث هو نسطوري عن جهل نلتمس له الغفران والهداية.

أما آن لنا أن ننتهي من هذا العبث الصبياني؟[١]

بعد أن طلب قداسة البابا تواضروس الكفَّ عن نشر مقالات الاتهامات، ووعد بعقد اجتماع لبحث موضوع التعليم، كان على الذين هاجموا الأنبا أنجيلوس، والأب أثناسيوس المقاري، والأب سيلا عبد النور، وغيرهم، أن يرعووا وأن يلتزموا بما يمليه عليهم واجب الأمانة والأدب والأخلاق المسيحية، فيستجيبوا لنداء قداسة البابا، ويكفوا أقلامهم عن أن يسودوا صفحات المواقع بما يطفح من قلوبهم من زيفٍ وكذب، لكن يبدو أنهم لا يقيمون وزنًا يُذكَر لهذه المبادئ، فمازال صوت الأنبا بيشوي ومن استأجرهم، يردد اتهامات باطلة، أطلقوا عليها خلافات عقائدية وتعاليم ضد عقيدة الكنيسة، وغيرها من أوصاف سمجة لم تعد تناسب ما جاءت به مطالب النهضة والصحوة القبطية التي ولدت في أحضان ثورتي ٢٥ و٣٠ والرغبة الصادقة في معرفة الحق.

من له مآخذ على أي إنسان، ليس عليه أن يملأ الدنيا صياحًا وضجيجًا، بل عليه أن يكتب ما تعلمه من التسليم الكنسي، لا رأيه الخاص. وهنا ننبه إلى إن ما رسب في فكر الأنبا بيشوي بالذات، لا علاقة له بالأرثوذكسية من قريب أو بعيد. وقد دعانا واجب الأمانة للتسليم الكنسي، نحوه ونحو غيره ممن ينقلون عنه بغير وعي، أن نصدر دراستنا عن الخطية الأصلية، وعن أقنومية الروح القدس، وكنا بصدد الرد على مقالته الأخيرة ما بين الحلول الأقنومي والاتحاد الأقنومي[٢]، ولكننا أجَّلنا النشر استجابةً لنداء قداسة البابا تواضروس حتى تهدأ

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٨ أغسطس ٢٠١٦.

٢- ننبه إلى أن تلك المقالة أفسدت الحوار الأرثوذكسي الذي امتد عبر ٥٠ عامًا، وجعلت الاتهامات القديمة التي ناضل من أجل إزالتها جيلٌ من الشرفاء، تعود إلى الظهور من جديد بأننا كنيسة أوطاخية.

النفوس، فنحن أول من نرحب بصوت العقل وعدم سكب المزيد من الوقود على نار البغضة والعداوة التي أشعلها الأنبا بيشوي، وما يزال.

إن ما ينشره هؤلاء، من العمومية بحيث يكشف عورة سطحية الكاتب وسذاجته، بشكل يبدون معه وكأنهم مرضى لا يمكن لهم أن يعيشوا إلا إذا وجدوا عدوًا يحاربونه، ويخلقون أسباب العراك والحرب، حتى إذا لم تكن موجودة.

ننبه أخيرًا إلى أنه ليس من اللائق أن يصبح الاتهام دليلًا؛ لأن هذا هو أسلوب الفاشية والنازية والشيوعية، وهو ما أفرزته الثقافة الداعشية المعاصرة، وهو ضد كل ما تؤمن به المسيحية.

الحوار اللاهوتي الكنسي، والصراع السياسي (١)[١]

يبدو أنه لا مجال للمقارنة. هذا صحيح، إذا اختلف هدف الذين يريدون الحوار. ففي عالم السياسة، كسب الأصوات وجمع الفلول، تسعى إليه كل الزعامات السياسية، بل ترتب وتنظم وسائل جمع الأتباع. أما في الحوار اللاهوتي الكنسي، فالهدف هو الحقيقة. وإن شئنا الدقة، هو الحق لا الحقيقة؛ لأن الحق في المسيحية الأرثوذكسية هو المسيح الإله الحق المتجسد. فهو شخصٌّ وليس فكرةً مجردةً.

يحاول السياسيون من خلال الأحزاب وبوسائل متنوعة، إظهار أخطاء الجانب الآخر بأقل تكلفة، وذلك بإطلاق العموميات من الأوصاف مثل "عدو الشعب" و"خائن لمبادئ الثورة"، أو "ضد نظام الحكم"، وأضافت الشيوعية في زمان قوتها: "طفيلي"، أي يعيش على إنجازات الشعب، وهو اتهامٌ عام زج بكثير من أعظم مفكري روسيا في معتقلات ستالين، مثل باختين وسولجنيتسين صاحب رواية "عنبر السرطان"، وباسترناك صاحب "د. جيفاكو".

وانهيار الأنظمة الاستبدادية هو انهيارٌ حتمي؛ لأن أي نظام استبدادي يفشل في فهم التغيرات التي تحدث حوله. والقمع لم يكن حلًا، وهو ما سجَّله تاريخ الإنسانية. وسقوط كل الأنظمة الشمولية هو سقوطٌ مؤكَّد؛ لأن الجمود يقتلها، ومحاولة فرض الجمود على كل مظاهر الحياة، هي بمثابة إدخال سكين حاد في بطء شديد يصل إلى القلب بعد فترة زمانية لكي يقتل الحياة. وهنا يصبح الزمان نفسه أحد جوانب المشكلة، لا أحد الحلول؛ لأن مرور الأيام، وتعذُّر الاستجابة للتطور هو زيادة الجمود.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٣ أغسطس ٢٠١٦.

أمَّا الحوار اللاهوتي، فهو حوارُ محبةٍ، وهو حوارُ بحثٍ عن الحق، وعن وسائل التعبير عن الحق في الأسفار المقدسة وصلوات الكنيسة وما كُتب عبر التاريخ الكنسي وما وصلت إليه المجامع الكنسية، التي لم تكن مجرد عقد اجتماعات لجمع الأصوات وبالتالي يكون الفوز للأغلبية، بل هدف المجامع الكنسية كان دائمًا هو البحث عن الحق، وعن التعبير عن الحق، أي يسوع في إطار الثوابت. والجماعة هنا هي تعبير عن تعدد الشهادة لا عدد الأصوات. الشهادة هنا هي بأن ما قُرر هو صحيح في ضوء ما قبله، وفي ضوء الممارسة، وفي ضوء الخبرة، لا بحساب الأصوات.

إن معركة فرض تعليم كنسي بواسطة الإعلام، هي معركة سياسية خاسرة، وكلما مر الزمان كلما زادت الخسارة؛ لأن للتعليم تاريخ مدوَّن، وإن حُجِبَ في فترات الضعف، فهو سوف يظهر؛ لأن الزمان هنا، بعكس الصراع السياسي، يقف مع إعادة اكتشاف الحق، ومع التمسك بما هو صحيح، طالما أنه يمارَس في الحياة الكنسية.

كان من المستحيل هدم أُلوهية الابن بسببٍ من الممارسة، وهي نوال نعمة التبني في المعمودية وشركة الحياة الأبدية والقيامة كل أحد في القداسات. وكنت قد ذكرتُ في اجتماع قاده الراحل الكريم د. صموئيل حبيب، إن القضاء على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مستحيلٌ، طالما بقى القداس هو نبض الكنيسة. الشهادة هنا هي في الصلاة باسم يسوع، ونوال حياته في السر المجيد.

الحوار اللاهوتي الكنسي يستند ليس إلى التاريخ وحده أو الأسفار وحدها أو كتابات الآباء وحدها، بل أيضًا يستند إلى حياة القديسين. فالحياة شهادة دُوِّنت في الكتب، ولكنها أيضًا تطالعنا في الوجود الحي، في الأيقونات، وفي سلوك القديسين، وفي التمسك بالحق "حتى النفس الأخير".

يبحث الحوار اللاهوتي عن الإنسان - عن حريته – عن مصيره الأبدي – عن وجوده ككائن حي، لا عن الانتماء ولا عن مكانة الإنسان في شيعة، بل عن الإنسان كعضو في الجماعة الأعظم من كل الشيع، التي نالت مكانةً مجيدةً، وهي أنها صارت "جسد المسيح الواحد". فصارت الجماعة تنتمي إلى المتجسد لا بالكلمات، بل بذات الحياة الإنسانية الواحدة التي أخذها ابن الله.

وإذا كان الصراع السياسي يفضِّل نظامًا معينًا وشريعةً ودستورًا يفرضه بالقوة إذا دعت الضرورة. فإن الحوار اللاهوتي الكنسي، لا يستند إلى نظام معين، وهو ما يتضح من الفهم الخاطئ للكلمة اليونانية – القبطية "**طقس**"، **فهي ليست مجرد "نظام أو ترتيب" كما يُشاع في الثقافة الشعبية، بل هي تعني "ترتيب اتحاد النفس بالمسيح، ترتيب تطهير النفس واستنارتها ثم اتحادها"**. وحتى القانون الكنسي الذي تطور عبر مئات السنين لا يمكن أن يحل محل الإيمان؛ لأن الأساس هو يسوع المسيح، وهو ليس فكرةً تحتاج إلى قانون، بل هو شخصٌ يُستعلَن في حياة الذين بحريةٍ اختاروه.

الحوار اللاهوتي الكنسي والصراع السياسي (٢)[١]

من آن لآخر تنشر بعض المواقع على شبكة الإنترنت اتهامًا عامًا باسم "الاختراق البروتستانتي" لكي تنشر الفزع والخوف من الحراك الذي بدأ منذ أكثر من نصف قرن، وهو العودة إلى الآباء.

وما يجعلنا نضحك طويلًا، وضع اسم د. سامح موريس والأب سيرافيم البراموسي وعدد آخر من الأسماء بلغ ١٩ اسمًا في صفٍّ واحد، وكأن هذا العدد من الناس صاروا بروتستانت لمجرد أن حملة التشويش والتشويه أرادت ذلك.

هم يسخرون من شعب الكنيسة بشكل عام، وهي سخرية تشبه القصة الفكاهية عن حاكم جبار أراد أن يمنع الشعب من صنع وطبخ "الشعرية"، فقال إنها ثعابين، وصدَّق ضعاف العقول ذلك، واختفت الشعرية من محال البقالة، ولكن شحاذًا عضَّه الجوع مرَّ بمحل للبقالة يلقي بالشعرية مع مخلفات المحل باعتبارها ثعابين ميتة، وأمسك بها الشحاذ، ولم يجد للثعابين رؤوسًا، وذاق واحدة، وبدأ يأكل الباقي دون طبخ، وصاحب البقالة يرقبه في خوفٍ وفزع، ولما وجد أن الشحاذ لم يمت، أدرك أن الدعاية كاذبة، ففتح مطعمًا لا يقدم إلا الشعرية.

لماذا خدع الحاكم شعبه؟ لأنه لم يكن يحب الشعرية ..

أكتبُ هذه القصة الفكاهية؛ لأنه ولأول مرة في التاريخ المعاصر، ومنذ أن توقفت مجلة الكرمة التي كان يصدرها أب من آباء النهضة، هو الأرشيدياكون حبيب جرجس عن الصدور، وجاءت مجلة مدرسة الإسكندرية بدراسات دقيقة

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ أغسطس ٢٠١٦.

رصينة لاهوتية وتاريخية، جعلت الذين لا يحبون الدراسة والمعرفة يعاملونها كما تعَامَل الحاكم المستبد مع الشعرية، ولكن فتح أبواب المعرفة والطعم الجديد للعلم والتاريخ واللاهوت هو الذي أبقى على قدس الأب متى المسكين الذي لم يتوقف عن العطاء حتى رقد في الرب.

غريبٌ جدًا أن يصدر ذلك الاتهام الذي يهدف إلى حشد الأتباع، وهو كما ذكرنا عدة مرات، ولا بأس من أن نعيد ما ذكرناه: هو اتهامٌ غير موثَّقٍ بالدليل. بل ما إن نُشر ضد الأب سيرافيم، أو الأب أثناسيوس المقاري، لا يثير السخرية فقط، بل يقول لنا علانيةً إن سلسلة الاتهامات هذه، كتبها إنسان يحتاج إلى أن يذهب إلى مستشفى للأمراض العقلية، ومَن يشك في مصداقية هذا الحكم، عليه أن يقرأ ما نُشر من اتهامات ويراجع الموضوعات التي نُشرت ليعرف جنون وتعسف من صاغ الاتهامات.

لا يمكن ان يتم حوار لاهوتي بين عقلاء ومجانين يخطفون العبارات من سياقها؛ لأن الكراهية والمرارة أدت إلى البحث عن أي اتهام مهما كانت صياغته دون مراعاة للأمانة.

ولماذا غابت الأمانة؟ لأن الكراهية لها سلاحٌ واحد، وهو القتل، وهي تدفع البشر إلى كل أشكال التطرف. ولكن زمان التجديد قد جاء، ولم يلحظه المكابرون، ففي كل عام نحتفل بذكرى قديسي الكنيسة، وسوف تبحث أجيال عن كتابات هؤلاء. وفي كل قداس نسمع أسماء الآباء الذين سلَّموا لنا الإيمان، وكانت لهم شهادة حية، وصاروا معروفين أكثر من ذي قبل.

أذكر في بداية أزمة كتاب "تجسد الكلمة" في الكلية الإكليريكية أن أحد طلبة القسم المسائي قال إن هناك تحفظات على هذا الكتاب، فقلت له أرجو أن تصلني مدوَّنةً وموثَّقةً بمراجع تاريخية، فقال من أين أعرف أنه لأثناسيوس، فقلت ذكره جيروم في كتاب مشاهير الرجال. ولم يكن الطالب سمع عن جيروم،

ولا عن كتابه مشاهير الرجال. كما أن جيروم قال إن "الرسالة إلى الوثنيين" و"تجسد الكلمة"، هما كتابٌ واحد. ولدينا مخطوطات من القرون الأولى وجداول كتابات الآباء التي وصفها فوتيوس وغيره.

وصمت الطالب، ولكن بقيت في المناهج فجوةٌ، وهي انعدام تدريس التاريخ الكنسي. وما أكثر الفجوات في الثقافة الكنسية المعاصرة:

- فجوة تسليم الطقس بلا لاهوت. وأفضل مثال على ذلك هو انعدام الإشارة إلى وجودنا في حضرة الثالوث، وإلى أن الكاهن هو ربنا نفسه الذي أقام خدامًا للمائدة السماوية، وأننا نشترك في جسد المسيح الحي القائم من بين الأموات والمتألِّه والذي تسميه الليتورجية: ذبيحة إلهية – سماوية – غير مائتة.

- وفجوة بين التعليم المعاصر والحياة الليتورجية؛ لأن كل ما يُقال عن الفداء والكفارة هو هدمٌ تام لما يُعطى ويُوهَب في القداسات. فدفع الثمن وما إليه، يجعل تناول دم المسيح من حق الآب، لا هبة للشعب.

لقد جاءت الصحوة القبطية مثل فجر طال انتظاره، وأقول لكل مُكابرٍ إن كنت تستطيع أن تمنع شروق الشمس، فأنت قادر أن توقف نور النهار، ولكن لا تحاول لأن الفشل محسوب مقدمًا؛ لأن يقظة الشعوب هي حركة دائمة إلى الأمام ولا تراجع إلى الخلف.

أبحاث في التاريخ في يد غير الدارسين[1]

عندما ينتصر جمع وحشد الناس ضد ما هو مسجَّل ومدوَّن في التاريخ الذي امتد قرابة ألفي سنة، ويأخذ المجتمعون قرارات ضد التاريخ، وضد ما هو ثابت وأصيل، فيجب أن نكون على يقين من إن الصراع الفكري لم يسبق له أن حُسِمَ، ولن يحسم بعدد الناس، ولا بالمقالات الساخرة الهزلية التي يتداولها ضعاف العقول على مواقع التواصل الاجتماعي التي لا هدف لها إلا تقسيم المجتمع الكنسي إلى عصابات مع أو ضد.

الجهل لا يخيف، والسخرية من حقائق ثابتة في التاريخ لا تحرك مشاعر الغيظ، والاتهامات مهما تنوعت، لا يمكن أن يكون لها قوة الإقناع إلا عند العصابات التي ترتزق من التجارة بالعقائد وتشعل الصراعات في داخل الكنيسة على أمل أن تجمع أكبر عدد من رعاعٍ يهتفون ويهللون.

هكذا تسير موجةُ حقدٍ لتضرب أول مجلة علمية دراسية تنشر ما هو رصين وجدير بالاحترام باسم "مدرسة الإسكندرية". ومحاولات قتل الأب الراهب سارافيم البراموسي لن توقف عجلة البحث.

عندما سُئل موشي ديان عن كيف طبق خطة حرب العدوان الثلاثي ١٩٥٦ في حرب ١٩٦٧ قال عبارةً قاسيةً جدًا: "العرب لا يقرأون التاريخ وإن قرأوه لا يفهموه". وهنا أستعير عبارة موشي ديان رغم قسوتها وأقول لمن يدبِّر محاولة عزل الأب سيرافيم، والأب أثناسيوس، والأسقف الأنبا أنجيلوس، وغيرهم من قائمة تضم ١٩ اسمًا مع صورهم، أقول لهم أنتم لا تقرأون التاريخ، وإن قرأتموه

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ أغسطس ٢٠١٦.

لن تفهموه. في موكب الجهل تسيرون تتقدمكم عمائم كان من المفروض أن تحتل مكانة القدسية والاحترام والأبوة، ولكنها أصبحت تتزعم شق وحدة الكنيسة، وتبحث عن زعامة سياسية ضاعت، وليس لها أي رصيد معرفي يؤهِّلها للقيادة، ولا يسندها تاريخ شخصي يجعلها في صفوف الأتقياء الشرفاء، وبهذا تكونون قد حققتم قول الرب: "أعمى يقود أعمى".

- مَن قال وكتب أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تقبل تعليم أوغسطينوس؟
- مَن وصف تألُّه الإنسان بأنه بدعة، فقد شمل أثناسيوس وكيرلس الكبير في اتهامه بالابتداع.
- مَن سبق أن وقف وراء منع كتاب أقوال مضيئة، وهو أكبر تجميع لأقوال معلمي الكنيسة الجامعة؟
- الحكم على تألُّه وليس تأليه الإنسان بأنه بدعة معناه أن الإنسان خالد بالطبيعة، وأن القيامة من الأموات هي حركة كونية ليس لها علاقة بقيامة المسيح، بل والأهم هو أن ذبيحة الإفخارستيا ليست سمائية، وليست إلهية، بل مائتة مثل كل عناصر الطبيعة في الكون.

أكتب هذه السطور تنبيهًا إلى أن الأنبا بيشوي، بكل ما يملك من أموال الفقراء والأيتام الذي ينفقه على مواقعه الإليكترونية، وعلى من يكتبون له، هو قائد حركة العودة إلى لاهوت العصر الوسيط الأوروبي، وهو بروتستانتي بكل ما تعنيه هذه الكلمة من حقائق تاريخية، ظهرت في نبذةٍ نشرها بعنوان "عقيدة الفداء والكفارة"، وأخيرًا في مقال نشره على موقعه ووصل إلى رؤساء الكنائس الأرثوذكسية في العالم باليونانية والإنجليزية والعربية باسم "الحلول الأقنومي والاتحاد الأقنومي".

التاريخ لن يرحم أحدًا، بل سوف يسمع ويحكم، وحكم التاريخ هو دائمًا خاصٌ بالمستقبل؛ لأن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هي كنيسة لها تاريخ

معروف لا يمكن أن يختزل.

وأخيراً، الرجال وحدهم هم صانعوا التاريخ، أما الجبناء والرعاع، فإن الزمان يطوي حياتهم كما طوى صياح الذين قالوا: أصلبه أصلبه.

اختزال التاريخ والوقاحة ونشر الكراهية[1]

عندما عدنا إلى التاريخ، نعم تاريخ كنيسة مصر، وجدنا تراثًا امتد من العصر الرسولي حتى أيامنا. وعرفنا أن أُم الشهداء مرت ولا تزال بصراعٍ من أجل البقاء على أرض مصر. وشهدنا في الأيام الأخيرة عودة عصر قلاوون المعروف بعصر خراب الكنائس للظهور؛ إذ دُمِّرت ٦٦ كنيسة أثناء ثورة شعب مصر، ولكن ما اختلف عن عصر قلاوون هو أن تقوم القوات المسلحة المصرية ببناء ما دُمر، وهو ما لم يحدث في عهد المماليك أو الأتراك العثمانيين.

واسترداد التراث القبطي وإفراز الأصيل فيه بدأ في العصر الحديث على يد الأرشيدياكون حبيب جرجس. وسارت حركة استرداد التراث هذه بدفع جديد بزخم الأب متى المسكين، ثم تراجعت قليلًا تحت هجمات قادها بكل أسف بعض الأكليروس، وإن تابع دفع هذه الحركة مجموعة من الأخوة العلمانيين كان على رأسهم د. نصحي عبد الشهيد، الذي حمل على عاتقه عبء هذه المتابعة بصبرٍ ومثابرة تفوق الحد أعانه عليها إيمانه برسالته. وكان أن نُشرت لأول مرة معظم كتابات القديس أثناسيوس، وبعضًا من مؤلفات القديس كيرلس عمود الدين، وتوالت البعثات إلى اليونان وإلى المانيا وانجلترا وفرنسا وإيطاليا ليعود أغلب الدارسين الذين تخصَّصوا في الدراسات اللاهوتية ليجدوا أنفسهم يعاملون بجفاء، بل تم وضعهم تحت حزام الفقر القاسي، حتى ييأسوا من مهمتهم الملقاة على عواتقهم وهي مراجعة التراث الشعبي الذي نقل الكثير من الثقافة والتوجهات الإسلامية، وكُتب المبشِّرين الغربيين.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ أكتوبر ٢٠١٦.

واستمرارًا لحملة التيئيس والاستبعاد، سخروا مواقع التواصل الاجتماعي التي فتحت باب جهنم على كل ما يُنشر:

* مرةً بالادعاء بعدم صحة الترجمات، دون أن يتفضل علينا أصحاب هذا الاتهام بنشر الترجمة الصحيحة، ويعود هذا الهجوم إلى الأنبا شنودة الثالث شخصيًا.

* ومرةً ثانيةً بالادعاء بأن هناك مخالفات لتعليم الكنيسة. ومن الغريب أن أصحاب هذا الادعاء يتوهمون أنهم هم الكنيسة بكل ما لها من تاريخ وتراث، مستندين في هذا الهجوم على ما زعموه من سلطان الكهنوت الذي له قصص لا تنتهي، ربما أفضل مثال له في العصور الخوالي هو تجريد ذهبي الفم ونفيه وموته في المنفى.

ونال أبونا ديوسقوروس نفس المعاملة، بل صدر قرار حرمان ضد كنيسة مصر وسوريا، بادعاء أنها كنائس أصحاب الطبيعة الواحدة.

وفي العصر الحديث مات الأنبا ايسيذوروس مؤلف الخريدة النفيسة، وتحوَّلت الكنيسة التي كان يصلي فيها إلى مخبز. وانضم إليه في ذات المصير أكبر زعيم وطني، القمص مرقس سرجيوس. وجُرِّد الأب متى المسكين، حتى من الرهبنة، وليس فقط من الكهنوت، مع أن تجريد راهب من الرهبنة شيء مستحيل طالما أنه يحيا الحياة الرهبانية الحقة. وصدر قرارٌ بحرمان كاتب هذه السطور دون سبب خاص بالإيمان نفسه. فأنا لم أنكر الثالوث الذي أنكره الذين قالوا إنه وجود وعقل وحياة، وسقطوا عن جهل في بدعة سابليوس.

وأنا لم أُنكر أُلوهية الرب التي ينكرها كل الذين يعلِّمون بأنه هو ودمه الكريم صار ثمنًا لخطايا البشرية.

وأنا لم أُهاجِم روح الآب مُدَّعيًا أنه يعطي المواهب فقط، في حين أن الحياة الأبدية التي يعطيها الروح القدس، ليست موهبة، بل هي حياة الله نفسه.

وقد دافعت عن شفاعة القديسين في أول دراسة تاريخية نُشِرت باللغة العربية بعنوان " عبادة أموات أم هي شفاعة القديسين".

وسبق لي أن نشرت جزءًا من دراسة تاريخية عن أصالة وقِدم صلوات المعمودية في الكنيسة القبطية[٢]، ولكن كانت حملات الهجوم لا تقف.

لم أتواقح حتى أمنح الخلاص للشيطان، كما يدَّعي عليَّ نيافة مطران دمياط ونسب إليَّ رأي أعداء أوريجينوس؛ فأنا أعرف قدر نفسي جيدًا، فلا يمكن أن أنكر أمرًا يخص الديان العادل، بل وأقول إنه ولا حتى أوريجينوس نفسه كتب هذا الكلام، وإنما تقوَّل عليه أعداءه بهذه الادعاءات.

ووصل الأمر إلى أن يصبح "التسطيح" هو سيد الموقف في قاعات الدراسة، وصارت المحاضرات في مستوى مدارس الأحد. وغاب تدريس التاريخ، فلم نعد نستوعب الاختلاف على ترجمة كلمة أناثيما، وهي كلمة يونانية، ترجمة للكلمة العبرانية كما وردت في السبعينية للكلمة חֵ רֶם أي ما يخص الله حسب نص الترجمة السبعينية في أسفار: العدد ٢١: ٣ – تثنية ٧: ٢٦ – يشوع ٦: ١٧ و١٢ قضاة ١: ١٧ – زكريا ١٤: ١١). فهذا هو أصل الكلمة، ولأن كل كلمة بعد ذلك لها تاريخ، صارت الترجمة ليس حكم الله، بل حكم البشر على ذهبي الفم وديوسقوروس والمعترف مكسيموس الذي قطعوا يديه ولسانه حتى لا يكتب ولا يتكلم ومات في المنفى.

بل صار أحد استخدامات الفعل كما في أع ٢٣: ١٤ هو القَسَم الذي يربط جماعة بقَسَمٍ يستوجب اللعنة، ودخل الفعل اليوناني من السبعينية كما هو واضح من (عدد ٢١: ٢ – تثنية ١٣: ١٥ – ٢٠: ١٧ – يشوع ٦: ٢١).

٢- المعمودية في الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية: دراسة للعقيدة والطقس في القرون الخمسة الأولى.

ما بين ملفات التاريخ والوقاحة:

نقول "رحِمَ الله امرئٍ عرَف قدرَ نفسه"؛ لأن الانتفاخ بالمعرفة هو سبب الوقاحة ونشر الكراهية. فمن يخطئ يُرد بالصواب لا بالشتائم، ولا حتى بالحرمان، أم أن ذهبي الفم وديوسقوروس غابا من التاريخ. ماذا لو كان هناك حوار محبة وحوار صدق في ٤٥١؟

إن ما يُعرف باسم Historical Theology هو مادة أساسية في جامعات العالم التي تحترم الفكر، ولكن الوهابية القبطية تجعل الاختلاف في الرأي رِدة، رغم أن الارتداد جاء من الذين هاجموا تراث الآباء بدون تمييز، وعزلوا الروح القدس عن حياة الكنيسة. وجاءوا بالحلول المواهبي كبديل لحلول روح الرب. هكذا وصلت الجسارة إلى اختراع روحٍ آخر، بل تحوَّلت نعمة الخلود والحياة الأبدية والقيامة من الأموات والتبني إلى هرطقة تأليه الإنسان. هذه وقاحة وافتراء لم يعد لهما مكانٌ؛ لأنهما لم يكن لهما في التاريخ مكانٌ.

في النهاية يبقى الغفران لكل الذين أساءوا وشتموا؛ لأن الحكم لله.

هل إنكار وراثة الخطية الأصلية، هرطقة؟[1]
(أسئلة مشروعة)

تاريخيًا، نصادف شخصًا أو أكثر استخدم تعبيرات خاصة، وُصِفت بأنها من قبيل إنكار الإيمان أو تزييفه، وذلك مثل التعابير والكلمات التي أدت إلى إنكار أُلوهية الرب في التعليم الكاذب للأريوسية، أو تزييف الاتحاد الأقنومي في التعليم النسطوري. ولكن اعتبار أن إنكار "وراثة الخطية الأصلية" بمثابة هرطقة، أو إنكار للإيمان أو تزييفه، فهو ما لم يقل به أحد. خصوصًا، وأن التعليم بوراثة الخطية هو تعليم غربي كان بطله الأساسي القديس أوغسطينوس، وأن هذا التعليم لم يُعرف في الشرق، ولم يُعقد مجمع مكاني أو مسكوني في الشرق لتأييد هذا التعليم الغربي الروماني.

في ضوء ذلك، هل يصح أن يُوصَف بالهرطقة أو بإنكار الإيمان أو تزييفه مَن يقول إن سقوط آدم جاء بالموت، وأن الموت لا الخطية هو الذي يورَّث، وهو ما نراه ونلمسه كل يوم، وتشهد به المقابر التي تملأ الكرة الأرضية في كل مكان، في الوقت الذي فيه ليس لدينا تعليم شرقي أرثوذكسي عن وراثة خطية آدم، وإنما لدينا التعليم بوراثة الفساد والموت؛ لأن الأفعال الإنسانية -مهما كانت شريرة أم مقدسة- لا تورَّث، وهو ما سجَّله لنا الآباء الكبار: أثناسيوس الرسولي – كيرلس عمود الدين – ذهبي الفم؟

وهل يمكن أن يعد هؤلاء الآباء بدورهم هراطقة أيضًا؟

أوليس الاتهام بالهرطقة هو اتهامٌ في أعز ما يملكه أي مسيحي، وهو الايمان؟ أوليس هذا التعسف في الاتهام هو ما يخلق الانقسام والفُرقَة؟

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٩ نوفمبر ٢٠١٦.

هل صارت العودة إلى منابع الأرثوذكسية، أي تعليم آباء الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، ممنوعةً علينا وغير مسموح بها إلى درجة أن نتهم كل مَن يقدِّم بحثًا تاريخيًا عن الخطية الأصلية، مثبتًا فيه ومؤكِّدًا أن المصطلح نفسه غير معروف عند الآباء الذين كتبوا باللغة اليونانية من العصر الرسولي حتى يوحنا الدمشقي، وأن وراثة الخطية التي تظهر عند أوريجينوس وديديموس الضرير هي أصلًا تعود إلى الاعتقاد بتناسخ الأرواح الذي ساد ثقافة العالم القديم، والقائل بأن آدم خُلق روحًا محضًا، وأنه سقط من العالم الروحي، ولذلك حُبِس وسُجِن في الجسد، وهو التعليم الذي فنَّده القديس كيرلس الكبير في شرح إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول، وخصص له ٢١ اعتراضًا؟

لماذا التشدد والتعسف في استخدام كلمات ومصطلحات لها استعمالٌ خاص في تاريخ الكنيسة، يصبح استخدامها ضارًا جدًا، لا سيما وأنها تستخدم بواسطة أناسٍ لم يدرسوا التاريخ الكنسي جيدًا؟

تُرى هل سنكون دعاةَ بحث وسلام واحترام لكل مَن يختلف معنا طالما أنه لم ينكر الإيمان الذي تعبِّر عنه صلاة الصلح الباسيلي بقولها: "والموت الذي دخل إلى العالم هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد"، وأنه مع إبادة الموت، تمَّ أيضًا إبادة الدينونة والخطية التي تحمل الموت في داخلها؟

ليعطِ الربُّ لنا القلب المحب الذي لا يُسرع إلى اتهام مَن يختلف معنا، لا سيما إذا كان يردد تعليم أثناسيوس وكيرلس الكبير.

الدعوة لإعادة معمودية الكاثوليك
خلافُ محبةٍ، أم خوفٌ وكراهية؟[١]

تذكرت قول شاعر النيل حافظ إبراهيم وهو يحث أقطاب الأحزاب التي تفرعت عن حزب الوفد بأن يتوحدوا من أجل مصر:

إلاما الخلَف بينكما إلاما

وهذه الضجة الكبرى علاما

تدخل الكنيسة المصرية عصر الاستشهاد من جديد، ولا تزال آثار العدوان على ثلاث كنائس في فترة زمنية قصيرة - البطرسية - مار جرجس طنطا - المرقسية بالإسكندرية ظاهرة لمن يريد أن يراها.

ويبدو أن أساقفتنا الأجلاء الذين وجدوا في الإعلام فرصة الظهور، لم يسمعوا تهديد داعش الذي يدوِّي في العالم كله. فبعد أن تم إخلاء العراق وسوريا وتدمير الكنائس في العراق وسوريا والقضاء على كل تراث مسيحي كان له وجود قبل الإسلام، جاء دور الأقباط الذين يقفون مع القوات المسلحة والشرطة المدنية صفًا واحدًا من أجل مصر. وسقوط شهداء مصر من أجل بقاء الدولة المصرية أمرٌ لا يمكن اعتباره حادثًا عابرًا، خصوصًا وأنه لا يمضي أسبوعٌ إلا وتنشر وزارة الداخلية ما تم العثور عليه من أسلحة ومتفجرات شاهدها أغلب المصريون، أسلحة خاصة بجيوش وليست جماعات مسلحة فقط .. وبدلًا من أن يسعى الأساقفة الأجلاء إلى خدمةٍ أوفر ونشاطٍ أكثر في الصلاة والتعليم .. تخرج علينا فتاوى، نعم فتاوى بلا مرجعية تاريخية وبلا قانون كنسي أو حتى وثيقة واحدة تسندها.

١- مقال منشور على وقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٨ مايو ٢٠١٧.

سيدنا أنبا أغاثون يقول إن المجمع المقدس هو أعلى سلطة في الكنيسة. هذه فتوى بلا سند تاريخي. هل كان المجمع المقدس حاضرًا في المجامع المسكونية الثلاث: نيقية – القسطنطينية – أفسس؟ وهل فوَّض الأساقفة، القديس كيرلس الكبير في ٣٤١ في اتخاذ قرار ضد بطريرك العاصمة القسطنطينية؟

يا سيدنا الكريم دعنا نطرح عليكم سؤالًا: ما هي دلالة القانون السادس من قوانين مجمع نيقية المسكوني ٣٢٥ الذي ينص على: "لنحفظ العادات القديمة في مصر والمدن الخمس في أن لأسقف الإسكندرية الرئاسة عليها كلها، على مثال ما هي العادة من جهة أسقف روما أيضًا" (راجع مجموعة الشرع الكنسي – منشورات النور – ١٩٩٨ ص ٥٦).

ولم يكن اللقاء التاريخي هو اللقاء الذي تم بين البابا شنودة الثالث والبابا يوحنا بولس الثاني، بل كان اللقاءُ التاريخي بكل معنى الكلمة هو اللقاء الذي تم في عام ١٩٧٣ والذي رحَّب فيه الرجل العظيم، البابا بولس السادس بالأنبا شنودة وبالأساقفة الذين كانوا بصحبته، وأكرم كل الوافدين بكل ترحاب وكرم، ولم نكن حينئذٍ هراطقة، بل أجلس أسقف الإسكندرية عند مذبح القديس بطرس في الكاتدرائية أمام العالم كله لكي يلقي كلمةً، ثم صلى الوفد القبطي في كنيسة القديس أثناسيوس في روما، ومن ثمَّ صدر البيان المشترك الذي تعمد الأنبا بيشوي عدم نشره على موقعه، ونُشر على موقع الدراسات القبطية.

وتمر الأيام، وعوضًا عن أن تتقدم العلاقات، إذ بها تتراجع!!!

الكنيسة الشرقية التي ذُبحت:

وكما ادعى عابدوا الكراهية أننا مونوفيزيون وأوطاخيون، كذلك ادعى عابدوا الكراهية لدينا أن سريان المشرق نساطرة. السبب الأول هو رفض حرمان نسطور لأنه ظُلِم، ولأنه اعترف في آخر جلسات مجمع أفسس ٣٤١ بلقب والدة الإله، وإن كانت رسائله الأولى السابقة على انعقاد المجمع هي السبب في الشك

في صدق اعترافه. وهكذا خرجت الكنيسة الشرقية لكي تُذبح على يد الفرس، بل هاجر بعضهم إلى الصين ونشروا المسيحية، ولا تزال مقابر هؤلاء وعليها شواهد مدونة بالسريانية والصينية.

وذُبِحَ ما تبقى منهم على يد الأتراك العثمانيين بعد أن اشتعلت الحرب العالمية الثانية مع الأرمن، وهاجر عددٌ منهم إلى العراق وألمانيا وأمريكا .. وقد حاول علماء التاريخ من الكنيسة المارونية اقناع الأنبا بيشوي بأن السريان المشارقة ليسوا نساطرة، ولكن مطران دمياط يسير على قاعدة «خالف تُعرف»، وهكذا أغلق باب اشتراكهم في مجلس كنائس الشرق الأوسط، ولم يكتف بذلك، بل تلاسن المطران مع العالم والمؤرخ الكاثوليكي الأب د. هاللي في فيينا وشتمه (حسب رواية الأب د. هاللي)؛ لأن العالم الكاثوليكي رفض أن يقول إن السريان المشارقة هم نساطرة؛ لأنه أصلًا لم تكن هناك كنيسة نسطورية – وكان علماء العصر الوسيط من الأقباط أكثر صدقًا وأكثر معرفةً وانفتاحًا، عندما نشروا شرح الأناجيل الأربعة للعالم السرياني ابن الطيب (نسطوري) باسم "تفسير المشرقي"، بل كانت كتابات اسحق السرياني المتهم بالنسطورية، وكذلك يوحنا الشيخ الروحاني المتهم أيضًا بالنسطورية من أهم الكتب التي تكوّن الحياة النسكية في أديرة مصر الأرثوذكسية، ناهيك عن كتاب يوحنا الدرجي (الخلقيدوني).

مَن يحيا في الماضي، يفقد الحاضر:

تلك حكمةٌ مصريةٌ قديمة؛ لأن دفاتر التاريخ القديم إذا انعدمت فيها شهادة المحبة وأخذناها بلا فحص وبلا تدقيق، حكمنا على أنفسنا بأننا نحيا في سجن الماضي بلا تمييز، وبأننا وضعنا أنفسنا خلف قضبان الخوف والكراهية .. هذه حقيقة.

يجب أن يكون لدينا الإيمان والمحبة؛ لأن الإيمان بلا محبة باطل؛ لأن الله محبة، وتلك حقيقة الحقائق.

القرن الرابع وما بعده:

كانت الأريوسية أكبر محنة مرت بها الكنيسة في بداية القرن الرابع، واشتدت قوتها في القرن الخامس لأنها تحصنت بقوة الإمبراطور وكادت تحطم الكنائس الشرقية.

بسبب هذه البدعة عُقد أول مجمع مسكوني في ٣٢٥. ويبدو أن الأريوسيين انشأوا كنائس موازية في بعض بلاد الشرق.

كانت الأريوسية تنكر وحدة جوهر الثالوث وتعتبر الابن مخلوقًا. وكان القديس أثناسيوس في المقال الثاني في الرد على الأريوسيين يذكر بكل وضوح أنه: «عندما تُعطى المعمودية، فإن الآب هو الذي يُعمِّد، والابن هو الذي يُعمِّد، ومَن يعمِّده الابن تقدَّس بالروح القدس ... لأنه حيث يدعى اسم الآب، فالابن كذلك دُعِيَ. وحيث أن الآب يسمى في المعمودية، إذن الابن يُسمَّى معه أيضًا» (٢: ٤١). إذن، القاعدة الرسولية هي صحة الإيمان، لا سيما وصية الرب نفسه عن التعميد باسم الثالوث (متى ٢٨: ١٩).

ما هو وضع معمودية الأريوسيين؟ يكتب المعلم السكندري: "وتبعًا لما نعرف فإن المياه التي يخدمون بها هي بلا فائدة والسبب هو أن النعمة تعطى من الآب بالابن (٢: ٤٢). ولذلك: "هؤلاء الأريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام المعمودية، لأنه إن كان إتمام السر يُعطى باسم الآب والابن، وهم لا يعترفون بأنه الآب الحقيقي لأنهم ينكرون (الابن) الذي منه (الآب) والذي هو من ذات جوهره .. ألا يكون طقس المعمودية الذي يتمونه فارغًا وعديم الجدوى، إذ أن له المظهر الخارجي (الصلوات) أما في الحقيقة فإنه ليس فيه شيء يعطي حياة تقوى؟ لأن الأريوسيين لا يعمِّدون باسم الآب والابن، بل باسم خالقٍ ومخلوق" (٢: ٤٢ راجع ص ٦٨-٦٩ الترجمة العربية مركز الآباء بالقاهرة – ١٩٨٧).

وعدم صحة المعمودية، يذكره القديس أثناسيوس في نفس الفقرة السابقة: "ليس كل مَن يقول "يا رب" هو الذي يعطي المعمودية، بل هو ذلك الذي مع الاسم الذي يدعوه، له إيمان مستقيم. لهذا السبب، فإن المخلص لم يأمر فقط بالمعمودية، بل قال أولًا "تلمذوا" ثم بعد ذلك قال: عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس لكي يأتي الإيمان المستقيم من التعليم، ومع الإيمان يأتي إتمام المعمودية" (٢: ٤٢).

الإيمان بالثالوث:

في الرسالة الأولى إلى سرابيون عن الروح القدس فقرة ٣٠ يقول القديس أثناسيوس: "إن الإيمان بالثالوث هو إيمان: "بقداسة واحدة - أبدية واحدة"؛ "لأن هذا الإيمان بالثالوث - المسلَّم إلينا - يجعلنا مُتَّحدين بالله". ولذلك، الذي يحذف أي أقنوم من أقانيم الثالوث ويعمد باسم الآب وحده أو باسم الابن وحده، أو باسم الروح، أو باسم الآب والابن بدون الروح القدس؛ لا ينال شيئًا .. لأن طقس الكمال (الانضمام إلى الكنيسة) هو بالثالوث (راجع الترجمة العربية ص ٨٥ - ٨٦).

ومن له الآب له الابن، وهنا نجد ذلك الاعتراف الضروري بالثالوث: "المعمودية التي تعطى بالآب والابن والروح هي واحدة" (ص ٨٦).

وقد ذكر روفينوس في تاريخ الكنيسة (١٠: ١٥) كيف قام أثناسيوس بدور الأسقف وهو شاب صغير، وقام بتعميد الأطفال في البحر. وعندما امتحن البابا السكندري صحة الطقس وصحة التعليم، قَبِلَ هذه المعمودية.

وقد عثر الأب متى المسكين على مخطوطة قديمة، باللغة العربية تفيد بأن والد القديس كان قسًا وأن اثناسيوس نشأ في بيت مسيحي لقس أُرثوذكسي واتقن الطقوس والتعليم منذ صغره (راجع كتابه: القديس أثناسيوس الرسولي، البابا العشرون).

هنا، معمودية الشاب أثناسيوس كانت معمودية تامة، إذ أكمل الأسقف الرشم بالميرون بعد ذلك .. وهي لا تختلف عن القصة التي وردت في كتاب السنكسار عن امرأة عمَّدت طفلها بالدم خوفًا من الغرق، ولما جاءت إلى الاسكندرية لكي تعمد فلذة كبدها تجمَّدت مياه المعمودية، واعتبرت معموديتها صحيحة. هذه ليست مما يقال له: "استثناء"، بل في ضوء ما ذكره القديس أثناسيوس، فإن ذِكر واستدعاء اسم الثالوث يكفي، وهنا في كلتا الحادثتين لم يرد ذكر للخلافة الرسولية.

المجمع المسكوني الثاني ٣٨١:

كانت إعادة معمودية الأريوسيين ضرورية حسبما ذكر القديس أثناسيوس. ولكن جاء القانون السابع من قوانين المجمع يؤكد عكس ما ذكره البابا أثناسيوس الرسولي: "كل مَن يرتد عن البدعة إلى الإيمان القويم وإلى نصيب الذين نالوا الخلاص نقبله حسب الطقس: إن الأريوسيين وأتباع مكدونيوس وأتباع نوفاتيان الذين يدعون أنفسهم "أنقياء" .. نقبلهم بعد أن يعلنوا جميعًا رفضهم ضلالتهم وأنها بدعة لا تتفق مع تعليم كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية. وبعد ذلك (بعد تقديم الاعتراف المكتوب) يختمون بالزيت المقدس (الميرون) على جباههم وعيونهم وأُنوفهم وأفواههم وآذانهم وعندما نثبِّتهم نقول: "ختم موهبة الروح القدس" (راجع الشرع الكنسي – منشورات النور – ١٩٩٨ – ص٢٧٩).

وقد فَصَلَ القانون السابع بين الأريوسيين والمكدونيين الذين أنكروا أُلوهية الروح القدس، والنوفاتيين وهم اتباع القس نوفاتيان الذي انشق على كنيسة روما؛ لأنهم يقبلون التائبين العائدين إلى الكنيسة، ولذلك دُعُوا: "الأنقياء"، -وهو اسمٌ أُطلِقَ عليهم من قبيل السخرية والتهكم- عن باقي الهراطقة الذين ذكرهم القانون، وهم أتباع مونتانوس – أتباع سابليوس لأنهم أنكروا الثالوث. ولكن انكار الثالوث كان أيضًا "وصمة" الأريوسية والمكدونية.

ومن الإجابات القانونية الثانية للبابا تيموثاوس السكندري ندرك أن اهتمام الكنيسة في المجمع الثاني ٣٨١ كان إعادة الوحدة إلى الكنيسة، ورغم التساهل الواضح مع الأريوسيين بالذات، إلا أن قبول عطية الروح القدس برشم الميرون، أي المسحة الإلهية، كانت كافية.

كذلك نرى في خطاب ديونيسيوس بابا الإسكندرية إلى البابا سيكستوس الثاني Sixtus أن شخصًا (لم يذكر أسقف الإسكندرية اسمه) كان يحضر خدمة الليتورجية، ولكن عندما حضر خدمة المعمودية وسمع الأسئلة والاجابات، جاء إلى أسقفه يبكي؛ لأنه نال معموديةً بواسطة هراطقة، ولم يكن فيها -أي في معموديته- ما يشبه معمودية الكنيسة (لم يذكر الأسقف اسم الهرطقة)، وطلب هذا الشخص أن يُعمَّد من جديد، ولكن ديونسيوس رفض؛ لأن هذا الشخص كان قد سبق له الاشتراك في القداسات، وقال: "آمين" عند الشكر، بل شجَّعه البابا ديونسيوس على أن يستمر في الشركة في الجسد والدم بإيمان ورجاء صالح. ولكن هذا الشخص كان لا زال مترددًا في الاقتراب من مائدة الرب" (تاريخ الكنيسة يوسابيوس القيصري ٧: ٩-١-٥).

وهنا نرى أن ما يُوهَب هو الاتحاد بالرب. وعدم فهم هذا الشخص، لم يمنعه من التناول من المائدة الإلهية. واعتبار هذا كافيًا، يجعلنا قادرين أن نقول في ضوء ما سبق إن قبول الأشخاص هو الغاية الأعظم، وأن الحرص عليهم هدفٌ لا يمكن التخلي عنه.

كان الخلاف بين الكنيسة والهراطقة هو خلافٌ حول إيمان هؤلاء بعقيدة الثالوث، وعلى الرغم من ذلك جاء قرار المجمع المسكوني في القانون السابع مخالفًا تمامًا لِما ذكره أثناسيوس الرسولي عن عدم جدوى معمودية الأريوسيين. لكن جاء تدبير الكنيسة بحلّ آخر، وهو الرسالة القانونية الأولى إلى امفلوخيوس وهي رقم ١٨٨ للقديس باسيليوس:

"بخصوص سؤالك عن النوفاتين (الأنقياء) Cathari فقد صدر قرار بخصوصهم، وقد ذكَّرتني أنه من الواجب اتباع العادة السائدة في كل مكان لأن هناك اختلافٌ في القرار. معمودية المونتانيين ليس لها قانونية، وأنا مندهشٌ، كيف غاب هذا عن ديونسيوس، وهو يعرف القوانين. القاعدة القديمة هي أن نقبل معمودية مَن لم يخرج عن الإيمان. وحسب هذه القاعدة لدينا أسماء: هراطقة – منشقين – واجتماعات غير قانونية. أما الهراطقة، فهم الذين كسروا (الشركة) وصاروا غرباء عن الإيمان ذاته. أما المنشقون فهم الذين انفصلوا عن الكنيسة لأسباب وقضايا يمكن حلها. أما الاجتماعات غير القانونية، فهي التي يجمع فيها قس أو أسقف أو علماني غير متعلم.

وعلى سبيل المثال إذا ارتكب شخصٌ ما جريمةً وثبت جرمه، ومُنِعَ من الخدمة ورفض الخضوع للقوانين، وأعطى لنفسه واجبات الأسقف، ثم ترك شخصٌ الكنيسة الجامعة وانضم إليه (أي إلى هذا الاجتماع غير القانوني)، مثل هذا اجتماع غير قانوني.

أما عدم اتفاق أعضاء الكنيسة حول قبول توبة أي إنسان، فهذا انشقاق.

أما أمثلة الهرطقة، فهي: المانوية – اتباع فالانتيوس وماركيون والمونتانين لأنهم اختلفوا معنا في الإيمان بالله، الذي هو حسب الإيمان القويم.
وكان حسنًا أن السلطات الكنسية القديمة رفضت معمودية هؤلاء، وقبلت معمودية المنشقين على أساس أنهم أصلًا من الكنيسة".

وبعد ذلك يذكر القديس باسيليوس تاريخ بعض الهرطقات الذين أنكروا الثالوث. ولأن القديس باسيليوس رقد في الرب في ٣٧٩ فهو لم يحضر المجمع الثاني ٣٨١ الذي حضره القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات.

عرضٌ وتقييم:

في عام ١٩٨٢ صدر من مجلس الكنائس العالمي وثيقة عُرِفَت باسم وثيقة ليما Lima بعنوان: "معمودية، إفخارستيا وخدمة"، وهي النشرة رقم ١١١ عن لجنة الإيمان والنظام. وقد نشرتُ دراسةً قُدِّمَت لقداسة البابا شنودة ولنيافة الأنبا غريغوريوس – باسم مجلس كنائس الشرق الأوسط، ولم أجد ردًا من أحد، ولا حتى من إخوتنا الكاثوليك والإنجيليين، وكانت الدراسة تدور حول القانون السابع من قوانين المجمع المسكوني الثاني والرسالة القانونية الأولى للقديس باسيليوس، وتطلب عدم إعادة معمودية الكاثوليك لأنهم إيمانهم الرسولي واحد. ثم جاءت العواصف التي يعرفها معظم القراء وضاعت الدراسة في ضوضاء إثارة موضوع التألُّه، ولم يطبع مجلس كنائس الشرق الأوسط البحث، بحجة أنني تركت الخدمة، وذلك تنفيذًا لما تم الاتفاق عليه بين الأستاذ جابي حبيب والأنبا شنودة الثالث على عدم التعاون معي لكي أترك العمل .. سبق هذا بحثٌ عن قدسية زواج الكاثوليك والإنجيليين، حوكمت بسببه في دير الأنبا بيشوي، ولم يصدر بشأنه قرارٌ ضدي سوى منعي من التدريس، لا من التناول أو الخدمة، وعدت بعدها إلى التدريس بعد أن دبَّ الخلاف بين الأنبا شنودة وبين أستاذنا الأنبا غريغوريوس.

والآن، بعد زيارة البابا فرنسيس، لماذا لا نقبل الكاثوليك برشم الميرون، هذا إذا كانوا لم يحصلوا على سر المسحة في الكنيسة الكاثوليكية؛ لأن هؤلاء هم أخوة لنا في الإيمان. وباب الرد مفتوح على أساسٍ من التاريخ، وبالوثائق.

الكذبةُ الكبرى
"دعوةٌ وصلاةٌ من القلب لعودة الوعي"[1]

لعلك استمعت وقرأت -قارئي العزيز- هذا التعبير المضلل: تعليم القمص متى المسكين، وتعليم جورج بباوي. تلك هي أكبر كذبة معاصرة صنعها عقلٌ تربَّى في مدارس الأحزاب ولم يستلم إيمان الكنيسة. كذبةٌ صنعها عقلُ شخصٍ واحد، وأغرى بها السذج والجهال الذين جمعهم حوله "شلةً" للدفاع عنه، وتلقفها عنه السكرتير السابق لمجمع الكنيسة القبطية، الذي ظل يردد هذه الكذبة -دون أن يعلم؛ لأنه مُغيَّب عقليًا- في محاضرةٍ كاملةٍ خصَّصها في محاولة يائسةٍ منه للدفاع عن أصالة تعليم من رسمه أسقفًا، مقدِّمًا الكثير عن قدره وذكاء أستاذه ومكتبته الكبرى، دون أن يذكر بحثًا أو كتابًا واحدًا له علاقة ولو من بعيد بما سُلِّم لنا في كتابات الآباء أو في الليتورجيا. والغريب في الأمر أنه لا يخجل من وضع المحاضرة على Youtube. ولك عزيزي القارئ أن تتحقق من ذلك إن كنت لا تصدق هذه السطور.

ما هو الهدف من هذه الكذبة الكبرى؟

أولا: وضع أكبر مؤلِّف في العصر الحديث في الكنيسة القبطية، وهو الأب متى المسكين في صورة من له تعليمٌ خاصٌ، ليس هو تعليم الكنيسة. الأمر الذي يسمح له بأن يواصل الهجوم، وأن يقول ما يشاء، وأن يجمع حوله "الجماهير"، مدفوعًا بالمرض الذي قتل الرعاية في الكنيسة القبطية في نصف القرن المنصرم، ألا وهو مرض "الشعبية"، حيث يجمع الجماهير ويستقطبها، لا لإعلان الإيمان أو

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٨ يونيه ٢٠١٧.

شرحه على الأساس الذي سُلِّم إلينا في صلوات وعقائد الكنيسة، ولكن لتزييف الوعي بنشر أكبر قدر من الجهل والكذب تحت شعار "تعليم القمص متى المسكين" مستغلًا في ذلك وظيفته الأسقفية.

ثانيًا: محاولة التغطية على أكبر فضيحة تاريخية منذ الحكم على أريوس في 325 كشفت حقيقة التعليم الذي روَّج له أستاذه وتلقاه هو من بعده، عندما نشرنا كتابنا بعنوان: **القديس أثناسيوس الرسولي في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي**. وهو كتابٌ لم يُكتب ضد شخصٍ معين، وإنما كشف عورة جهل الذين ادَّعوا زورًا وبهتانًا أنهم أرثوذكسيون. ففي محاولةٍ منه لمحاصرة هذه الفضيحة، عاد إلى كذبته التي سبق له أن روَّج لها: «تعليم جورج بباوي»، وقت أن استمات لإصدار قرار بحرمان جورج بباوي غيابيًا. فكيف يحاكِم الجهلُ المعرفة؟ وكيف يحاوِر تلاميذ سبرجن وماكنتوش وغيرهم من قادة فكر الإصلاح، مَن تربَّى على لاهوت الليتورجيا، وعلى كتب الآباء، ومَن لا يقبل أن يكون له رأيٌّ خاصٌّ، لم يذكره أيٌّ من آباء الكنيسة، وبالذات أثناسيوس الرسولي؟

في حمى الحرب العالمية الثانية قال تشرشل، السياسي الداهية البريطاني: "اكذب واكذب حتى يصدقك الناس، ويصبح الكذبُ حقيقة"، ذلك هو شعارهم ورايتهم التي يجمعون تحتها في كل إيبارشية مجموعةً تحارِب الأرثوذكسية، يسندها بعض الأساقفة متعللين -كذبًا- بأنهم ضد تعليم جورج بباوي، أو تعليم متى المسكين. ونقول كذبًا لأنهم لم يحاولوا أن يسألوا ما هي هذه التعاليم؟ ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو: متى وكيف صار تعليم من تربَّى في مدارس الأحزاب، هو تعليم كنيسة عمرها ١٩٠٠ سنة؟

لم يسأل الذين يروِّجون لهذه الكذبة عن الدليل الموثَّق، لا الذي يخترعه مطران دمياط، وهو وليد خياله الذي لم يعرف تاريخ الكنيسة المصرية، ولا الكنائس الأخرى.

لا تصدق -عزيزي القارئ- أن القمص متى المسكين أو جورج بباوي له تعليمٌ خاص، فهذه كذبة كبرى، سياسية الأصل؛ لأنها تهدف إلى شق وحدة الكنيسة. وسياسية الهدف؛ لأنها تحاول أن تستر عورة الجهلاء، بعد أن فضحت الأبحاث والدراسات والكتب مقدار تغلغل الجهل في قلوبهم، فطفقوا يدافعون عن الجهل، لا عن الأرثوذكسية، ويحاولون عزل من يشرح الإيمان بعد أن تعذَّر عليهم شرح الإيمان.

اللهم سامح مَن يجهل إذا صَمَت،

واغفر لمَن يتهم عن جهل،

وأنر بنور محبتك للعصاة والعتاة،

لعلهم يرجعون يومًا عن الكذب فتشفيهم بمحبتك.

مهاتراتٌ لا حوار[1]

تابعت بكل حزنٍ هجوم الأنبا بيشوي على الأب أثناسيوس المقاري، وتأسفت لأن نيافته ما زال كما كان منذ ٣٠ عامًا، إذا لم يجد من يعاديه، وَجَدَ في ما ينشره الغير ما يصفه بأنه خروجٌ على أرثوذكسية نيافته، وليس خروجًا على الأرثوذكسية التي تمتد عبر ما يزيد على ١٩٠٠ سنة، لم تعرف التشيُّع لشخصٍ مهما كانت مكانته.

وكما أشرنا من قبل عدة مرات، لا يوجد ما يصفه الأنبا بيشوي وجماعته بأنه "تعليم مخالف"، أو "تعليم ضد الإيمان"، أو غيرها من عبارات تفتقر إلى:

أولًا: التحديد الدقيق.

ثانيًا: تحتاج إلى توثيق من التسليم الكنسي، لا من سطر أو سطرين عند هذا المعلم أو غيره.

ثالثًا: توثيق دقيق يعرض فيه لِما نُشِرَ وكُتِبَ من عبارات كاملة غير مقطوعة من السياق.

رابعًا: وضع التعليم الكنسي من خلال التاريخ والآباء وصلوات الكنيسة والليتورجية.

عندما تغيب هذه الأركان الأساسية من صياغة اتهام في سطر واحد أو سطرين، فالأمر عندئذٍ ليس أكثر من "شوشرة" تعبِّر عن حقد وعن كراهية وحسد. ظَهَرَ هذا بوضوح في قائمة الاتهامات التي وُجِّهت للأب سارافيم البراموسي، وأخيرًا للأخ أشرف بشير، ثم الأب أثناسيوس المقاري.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٧ يوليو ٢٠١٧.

أقول لنيافته بكل خجل: "عيب"، أو "ميصحش". إذا كان لديك ادعاءٌ على أحد، توجد قنوات رسمية، هي المجمع الذي كنت أنت سكرتيره طوال فترة تزيد على ٢٠ سنة، وذلك بالرغم من أنه صدرت عن هذا المجمع أغرب القرارات التي تفتقر إلى أبسط مبادئ الإيمان والمحبة والصدق والحق من أحكام غيابية، بل وشتائم تعبِّر عما في القلب.

لقد ساد النفاق وأمسكت مهادنة الشر بعنق الحياة الكنسية، تحاول إخضاع أُم الشهداء لتعليم العصر الوسيط، وتحاول أن تحول الكنيسة إلى مجرد مؤسسة أو مشروع تجاري اجتماعي يلعب فيه المال والشهرة والزعامة الدور البديل للخدمة والبذل والشهادة والمحبة، بل والصدق. فقد صار الكذب والتدليس مباحًا، بل وصل الأمر إلى تزوير نصوص آباء الكنيسة.

هذه أمورٌ لم يعد الصمت يصلح علاجًا لها، ولم تعد تجدِ فيها حجة الصامتين بأن ظروف الوطن لا تسمح بالمواجهة؛ لأن ما يحدث هو سرطان ينتشر في الجسد، ويحتاج إلى علاج حاسم فعال.

أصبحتُ أخاف على نعمة الكهنوت التي تحولت إلى سلطان يدمر النعمة والأبوة الروحية.

أصبحتُ أخشى من أن يقود الهجوم الدائم المتبادل البسطاء إلى الابتعاد عن الكنيسة في زمان يقدِّم فيه الارتداد للشباب، إما سِن السكين أو الشهادة، وليس الكل طبعًا مستعد للشهادة.

أصبحتُ أجد في سلوك أساقفة وقساوسة ما يدفع الكثير إلى ترك الكنيسة والابتعاد عنها إلى كنائس أخرى ولدت في أحضان الكنيسة الأم في زمان ضعفها الذي كنا نظن أنه عَبَر عندما جاءت إلينا النهضة. ولكن هذا زمانٌ غاب فيه الوعي عن الانتماء إلى الجسد الحي الواحد الكنيسة أُم الشهداء ..

لذلك أدعو كل الشباب إلى:

١- تكوين تجمع أرثوذكسي لا يعلن عن قيادات، بل يجمع كل محبي الآباء والمناضلين عن الأرثوذكسية.

٢- الاستمرار في مقاومة تعليم المطران من خلال ما هو متاح على شبكة التواصل الاجتماعي بنشر دراسات جادة ترد على المهاترات من واقع زخم التسليم الكنسي.

رجاء عدم التردد؛ لأن صراع المعرفة مع الجهل هو صراعٌ دائمٌ لا نهاية له. ونحن سنقوم ونعمل ونكتب حتى يسقط القلم من أيدينا، وسوف نتكلم حتى يُسكت الموت أصواتنا ونشهد بالحق والمحبة، حتى تسمع الكنيسة التي حرَّكت الجبل المقطم، فتُحرك جبال الكراهية التي تراكمت طوال ٤٠ عامًا.

شهادة الأنبا موسى الأمينة للتاريخ!!![1]

في حديث قصير على اليوتيوب بعنوان: "شهادة تلخيصية أمينة للتاريخ من صاحب القلب النقي المحب الواسع نيافة الأنبا موسى أسقف الشباب عن بعض أسباب الخلاف مع الدكتور جورج بباوي"، تفضّل نيافة الأنبا موسى صاحب القلب النقي المحب باتهامي بأنني أُعلِّم بخلاص الشيطان، وهو ما لا يستطيع أن يثبته عليَّ بأي شكل من الأشكال، فهو اتهامٌ بما لم أعرفه، وبما لم أكتبه، ولا حتى أستطيع أن أنطق به، وإذا كان لدى أنبا موسى أو غير أنبا موسى أي دليل على ما يتقول عليَّ به زورًا وبهتانًا فليقدمه. فالذي اشترك في تسبحة كيهك على الهوس الأول وقال مع الكنيسة: "شق المسيح بحر الجحيم وألقى الشيطان جواه"، لا يمكن أن يعلِّم بخلاص الشيطان. ومن تعلم قبل هذا النص العربي، من القديس أثناسيوس الرسولي، أن: "الوحيد الذي يبقى ميتًا حقًا هو الشيطان" (تجسد الكلمة ٢٧: ٣)، لا يمكن له أن يعلِّم بخلاص الشيطان. ومن دَرَسَ ودَرَّسَ: "من ذا الذي يرى الحية مدوسة تحت الأقدام ... ويشك في أنها ماتت وفقدت قوتها تمامًا، إلا إذا كان قد فقد اتزانه العقلي أو كانت حواسه الجسدية غير سليمة .." (تجسد الكلمة ٢٧: ٥)، لا يمكنه أن يعلِّم بخلاص الشيطان.

لم يذكرني أنبا موسى بالخير، ولا أعرف كيف ولماذا يذكرني صاحب القلب النقي المحب بما يعرف هو أنه شر، وليس خيرًا؟

كان خلاص الشيطان اتهامًا موجهًا للعلامة أوريجينوس، وكل الذين درسوا تاريخ العلّامة يعرفون ذلك، ولكن الأنبا شنودة نقل الاتهام إليَّ، ولأن الأنبا

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٨ ديسمبر ٢٠١٧.

شنودة أتهمني بذلك، تحول الاتهام إلى حقيقة عند صاحب القلب النقي!!!
هل لديك دليل يا نيافة الأسقف على أنني قلت إن هذا هو رأيي؟ أم أنك تنقل الكذب الذي يُشاع عني.
لا تعليق على هذا التصرف الطائش.

والدليل على أن أنبا موسى يكيل اتهامات بغير دليل، فقد ادعى أنني قلت إن الله محبة وبس!!! هل يمكنك أن تثبت أنني كتبت أو قلت إن "الله محبة وبس" كما ذكرت؟ ألم تقرأ كتابي: موت المسيح على الصليب حسب تسليم الآباء، وما ذكر فيه تحت عنوان "العدل الإلهي"، وهو بالتأكيد ليس العدل الذي صار عندك مثل عدل البشر، فأفقدتم الله أُلوهيته وصيرتموه بشرًا مثلنا. وليس أدل على التدليس من اقتباسك من القداس الإلهي "مستحق وعادل"، في استدلال على أن الله عادل، وهو اقتباس أبعد ما يكون عما تقصد، ويدل دلالة قاطعة على أنكم لا تدرون حتى معنى كلمات القداس الذي تصلونه ليل نهار!!! تقول كلمات القداس: "مستحق وعادل، مستحق ومستوجب"، أي عادل، والمقصود أن التسبيح يليق به، وهو ما تؤكده الكلمات التي سبقت، وهي "فلنشكر الرب"، ثم مستحق وعادل، أي أن الرب مستحق الشكر، وأن الشكر لائق بالله. فلا تعني كلمة "عادل" هنا ما تقصده أنت من عدل.

حتى صلوات القداس أدخلتموها في نفق التدليس؟ يا رب ارحم.
وتستمر نيافتكم في توزيع الوهم على المستمعين، بمزيد من التدليس فتقتبس من القداس أيضًا: "حولت لي العقوبة خلاصًا"، والسؤال هنا: في أي عدلٍ عرفته محاكم الدنيا بأسرها، وكل شرائع الدنيا، تصبح العقوبة خلاصًا؟

أرجو لك يا نيافة الأسقف أن تعود إلى ما كان عليه د. أميل عزيز، الرجل المسيحي الذي ترك الطب من أجل الرب، وأن تترك ما تراكم تحت اللقب والعمامة لأنه لن ينفعك، وأتمنى أن تكون مسيحيًا حقيقيًا، فتعتذر عن كل ما

اتهمتني به في هذه المحاضرة؛ لأنك أول من تعرف أن ما قلته ليس حقيقيًا، وإلا عليك أن تقدم ما لديك من أدلة، حتى لو كانت ٨٠ ساعة مسجلة، فالحقيقة تستدعي بذل الجهد، وتستأهل التعب. أرجو لك يا نيافة الأسقف صاحب القلب النقي المحب الواسع ألا تلحق بقطار الأنبا بيشوي؛ لأنه لا يقف عند محطة الحياة الأبدية، بل يتسكع أمام محطات التدليس الذي رفع أعداد مجلة الكرازة عن سنة ١٩٧٣ من على شبكة الأنترنت، وهي السنة التي نشرت فيه المجلة البيان المشترك الموقع من الأنبا شنودة مع البابا بولس السادس، والذي فيه اعتراف متبادل بالإيمان الواحد وأسرار الكنيسة السبعة التي تغذِّي الحياة الإلهية فينا؛ لأن حذف أعداد المجلة عن هذه السنة كلها من على الانترنت لن يخفي الحقيقة التاريخية؛ لأن البيان المشترك نُشر في مجلة مدارس الأحد، ونُشر في صحيفة الفاتيكان الرسمية بكل اللغات الحية.

لقد سبق أن طلبت المحاكمة العلنية، ولكن طلبي رفض دون سبب معلن، وأنت أعلم بالأسباب. ألا يستحق الإيمان الذي تقولون إنكم تدافعون عنه المواجهة؟

هل ما قلته يا أنبا موسى هو حقًا شهادة أمينة للتاريخ؟

يا نيافة الأنبا موسى أنت تعرف أنك لم تقل صدقًا وحقًا أمام الله في كل ما نسبته لي في هذه المحاضرة، وإلا عليك أن تقدم الدليل، ولكن بما أنك صاحب القلب النقي المحب الواسع، أرجو أن تعتذر للحقيقة وليس لي، تعتذر للكنيسة وللأجيال التي ائتُمنت على خلاصها. سامحك الله يا أنبا موسى.

الإرهاب الفكري النائم[1]

لم تكن مفاجأة لي ما حدث في المنيا من هجوم وايذاء وهدم، تم بيد اخوة لنا ضد اخوة آخرين. فعلى مدار ما يزيد على ٤٠ عامًا كانت بذور الكراهية تُزرَع بشكلٍ منظَّمٍ، ولا تزال هذه البذور تُزرع بعد أن منحت لها شبكة المعلومات والفضائيات حقلًا أكبر لكي تنمو وتمارس أخطر ما يصيب العقل، وهو الكراهية واعتبار الآخر عدوًا لأنه يختلف معنا.

شكلت بذور الكراهية هذه سلسلةً طويلةً بدأت باعتبار زواج الكاثوليك والإنجيليين زنى. وكنت قد كتبت مقالين في مجلة الهدى عن قدسية الزواج كشريعة إلهية وضعها الله نفسه، وبناءً على ذلك عُقدت لي محاكمة في استراحة الأنبا شنودة الثالث، لم تنتهِ إلى قرار، فقد كانت حقائق التاريخ أسطع من الاتهام الذي لا دليل عليه سوى "فتوى" الإكليروس.

ثم جاءت فتوى أخرى لا زالت سارية، وهي إنكار معمودية الكاثوليك والروم الأرثوذكس والإنجيليين، واعتبار هؤلاء هراطقة، ولو سَمَحَت مفردات المسيحية لَوَصَفوهم بأنهم "كفارٌ"، ذلك أن الاتهام بالكفر اتهامٌ فريد مصدره اللغة العربية، ولا وجود له في لغة العهدين القديم والجديد، أي العبرانية واليونانية والآرامية. وكنتُ قد أصدرتُ دراسةً شرحًا لقرار مجلس الكنائس العالمي عن المعمودية الواحدة، فعُقدت لي آخر محاكمة حضرتها بعد أن صار الحكم الغيابي هو حيلة الجهل وعجز التعصب، ولم تنته هذه المحاكمة إلى قرار كسابقتها.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٧ فبراير ٢٠١٨.

وأخيرًا قام هجومٌ على قداسة البابا تواضروس لأنه حضر صلاةً ترأستها امرأة، وطَالَبَ دواعش الأقباط ولا زالوا يطالبون بعزل قداسته. وقد تألمتُ لصمت الشرفاء من الأساقفة، ليس لأنهم لم يدافعوا عن تصرُّف قداسته فقط، بل أيضًا لم يدافعوا عن شرعية حق الضيافة ومحبة الأعداء التي جاءت في وصية الرب يسوع نفسه. صحيحٌ أن بعض القوانين قد منعت الصلاة مع الذين تركوا الكنيسة الجامعة، ولكن الصلاة المقصودة في هذه القوانين كانت تعني أولًا الشركة في مائدة الرب، وثانيًا تلك التي كانت ولا تزال تحتوي على اعتراف بالإيمان، وكانت هذه الجماعات المنشقة تنكر أساس المسيحية: الثالوث – التجسد – أُلوهية الرب – أُلوهية الروح القدس، مع بثٍّ اعتقاداتٍ أخرى مثل منع الزواج عند الغنوسيين، ومنع الأطعمة عند المانويين. ولكن لما غاب عنا الإفراز، صار كلُّ مَن هو ليس مِنَّا عدوًا!!

وشاهدنا في السنوات الأخيرة مؤتمراتٍ أطلق عليها دواعش الأقباط "تثبيت العقيدة"، وكثُرت الندوات وكثُر الهجوم، بل وصل الأمر بدواعش الأنبا بيشوي إلى نشر صورٍ لعشرين شخصًا، من بين هؤلاء العشرين: نيافة الأنبا ابيفانيوس أسقف دير الأنبا مقار، ونيافة الأنبا أنجيلوس، وأشخاص آخرين شرفاء أعزاء، وذلك تحريضًا على الكراهية باسم الدفاع عن الإيمان، بل جاء أغرب اتهام مجنون ما أسموه بـ "التوغل البروتستانتي". هكذا ظهرت أخلاق هؤلاء أولًا في رائدهم الذي أشعل النار في مؤلفات الأب متى المسكين، وثانيًا في حملات البغضة التي لا تهدأ.

وقد كَتَبت الأستاذة فاطمة ناعوت تقول إن حملات الكراهية تجعل هؤلاء الأقباط الأرثوذكس مثل سالم عبد الجليل، وعبد الله رشدي، وبرهامي، وكل الذين يحرِّضون على العنف والكراهية ونبذ الآخر، وسقطت وصايا المسيح تحت أرجل هؤلاء. وهنا تذكرت قول الرب: "إذا فسد الملح"، ولم يعد صالحًا

للاستعمال "يُداس عليه بالأقدام"، ولذلك اشتعلت النار في الكنائس، وذُبِح الأبرياء، فقد غاب أهم ما يميز المسيحية، وهو المحبة. وعندنا إن "الله محبة"، فإذا ضاعت المحبة ضاعت منا معرفة الله، عندئذٍ ماذا يتبقى لنا سوى الكراهية مثل سوسٍ يأكل العظام في صمت.

الأمل في حياةٍ مسيحيةٍ أرثوذكسية[1]

تحت وطأة أحزان ٤٠ عامًا، سجَّلتُ بالأمس شذرةً عن زمان الفضائح، وذلك انطلاقًا من أن الإعلام -بكل صوره المسموعة والمرئية- لا يصلح لأن يكون مرجعًا لأي قضية تاريخية أو لاهوتية. ولنا في درس التاريخ عبرة، فقد كان "جوبلز" وزير هتلر هو أول من أدخل الراديو في الترويج للنازية، وكان أعظم كذاب في الحزب، ظل يذيع بيانات كاذبة عن ستالينجراد رغم سقوطها أمام الكماشة السوفيتية، وكان الجيش السادي الألماني لازال يحارب رغم استسلامها. وجاء عصر الترانزستور، وعن طريقه دخل صوت الرئيس جمال عبد الناصر في كل قرية ومدينة في مصر، وبعدها جاء التليفزيون، وعاش الوعي السياسي العام على الإعلام. تلك التجربة ظلت عالقة في وعي قادتنا في الكنيسة، وقد رشح منها في أذهانهم أن الإعلام هو المصدر الأساسي في التواصل مع الشعب، فأصبحت مجلة مدارس الأحد هي صوت اللجنة العليا، وهكذا ضاعت مجلة الكرمة التي أصدرها أستاذنا حبيب جرجس، وكانت -مثل مجلة صهيون التي كان يصدرها الأسقف إيسيذوروس- تقدم الكثير من الأبحاث.

المرض القديم الذي لم يُعالَج:

جاءت رسامة أسقف التعليم، بحل اللجنة العليا لمدارس الأحد، وكانت هذه اللجنة قبل رسامة الأنبا شنودة منقسمة بين قطبين، أحدهما مع القمص متى المسكين، وآخر لم يُظهِر خلافه مع القمص متى، وكان بقيادة قيادات مدارس أحد الجيزة.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٩ مايو ٢٠١٨.

وللتاريخ وحده، كانت مجلة الكرازة هي من فتح باب نقد قداسة البابا كيرلس السادس، وهكذا خرجت مظاهرة تهتف بسقوط البابا الجاهل، وسارت إلى الدار البطريركية في الأزبكية، الأمر الذي دعا قداسة البابا كيرلس إلى إصدار أمره بعودة أسقف التعليم إلى الدير. وقد أطاع الأنبا شنودة الأمر لأنه كان يعلم أن غيابه عن الإكليريكية سوف يخلق مشكلة للبابا كيرلس. وللتاريخ أيضًا نقول إن الانقسام بين زعامات الكنيسة وظاهرة التشيُّع لم تكن من صنع الأنبا شنودة أسقف التعليم، ولكن ما يُحسب عليه، هو أنه بعد أن جلس على كرسي مار مرقس لم يعالج هذا الانقسام، بل عمَّقه بأن حشد الكثير من أنصاره من أهل الثقة، تحسبًا لأن تجليسه على كرسي مار مرقس كان موضع شك، وكان يتعارض مع قوانين الآباء الرسل، ومجمعي نيقية ٣٢٥، والقسطنطينية ٣٨١.

الأصولية القبطية والجهل بالإيمان:

لا أدري على وجه الدقة كيف تحول الطقس إلى عقيدة، مع أن الوضع السليم لدينا، ولدى كل الكنائس الأرثوذكسية هو أن الطقس تعبيرٌ عن الإيمان والعقيدة، وليس العكس. ولو جلس على كرسي مار مرقس مئة بطريرك تعدى كل قوانين الكنيسة، فهذا لا يدمر السرائر وأولها الكهنوت؛ لأن مصدر السرائر هو الرب يسوع الواهب الكل بالروح القدس، وما البطريرك أو الأسقف والقس والشماس إلا خدامٌ فقط، وخدمة الخدام لا يمكن أن تمحو أو تؤثر في عطية الله.

لكن الأنبا شنودة الثالث أضاف على طقس الرسامة -في رسامة الأسقف والقس- نوعًا من "القَسَم"، بمقتضاه يعبِّر مَن قَبِلَ الشرطونية عن الولاء والطاعة للبابا السكندري، فتحولت الرسامة إلى شكل سياسي فيه الولاء للبابا وليس للإيمان، وأصبحت أي مخالفة أو جهل بالطقس سبب طعنٍ في صحة الممارسة التي هي أصلًا من الإيمان. فالطقس هو احترام السرائر، ولكن الصلاة واستدعاء الروح القدس هما الأساس الإلهي الدائم الذي مهما كانت الأخطاء الطقسية، فما نطلبه هو ما وعد به الرب يسوع.

لجنة الحوار داخل الكنيسة:

جاءت قرارات المجمع الأخيرة بمثابة كوب ماءٍ باردٍ في نهارٍ شديد الحرارة. وإن كان تغيير القيادات لم يمنع الجبناء من التطاول. ولذلك، ومن أجل الحفاظ على سلامة الممارسة، نلفت النظر إلى أن الأنبا بيشوي لا يصلح بالمرة لأن يتولى مسئولية أي حوار؛ لأنه لا يتصرف كأب، بل اعتاد -قرابة أربعين عامًا- على أن يقوم هو بدور الخصم، وهو بحكم تكوينه الروحي والثقافي لا يقبل رأيًا، بل ويرفض أن يسمع. وإذا كانت قد بلغت به الجرأة على أن يزيِّف عن عمد ترجمة تعبير الخطية الأولى إلى الخطية الأصلية في الفصل الـ ٢٠ من كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولي، فهو لن يتورع عن تزييف أي نصوص أو وقائع أخرى، خصوصًا وقد سبق له أن أخفى عن عمد العبارات النسطورية للأنبا شنودة الثالث، وسكت على ادعاء الأنبا شنودة في كتابه ٥ تأملات في أسبوع الآلام بأن الرب يسوع لم يسلم للرسل جسده ودمه، بل سلم رمزًا، وهو الرأي الذي نقله من المصادر الإنجيلية التي درسها بعناية. الأمر الذي يقطع بعدم صلاحيته لتولي هكذا مسئولية. ولأنه يرفض أن يسمع، فلن يكون مصدر سلام أبدًا في الكنيسة.

أَمَا وقد صدر القرار بتوليه مسئولية هذه اللجنة، فإنني أتمنى تعيين "مقرر"، أو "سكرتير" يكون له الحق في دعوة اللجنة ودعوة المتخصصين والمؤهلين علميًا للنظر فيما يُطرح عليها من موضوعات.

تُرى هل تسهم تلك القرارات في بزوغ فجرٌ جديد يعزي نفوسًا تألمت من سيل شتائم خورس الأنبا بيشوي والأنبا موسى؟

نعم، نطلب ذلك من الراعي الصالح ربنا يسوع.

ومعك يا قداسة البابا تواضروس الثاني في طريق الإصلاح الطويل الذي تحتاج فيه كل خطوة إلى مزيد من الخطوات.

كلامنا بين الحياة والموت
والحوار الذي تأخر ٤٠ عامًا[١]

يقول الرب يسوع لنا: "بكلامك تتبرر وبكلامك تُدان". كلماتنا تعبِّر عن عما فينا. هي مرآةٌ لكل من يتكلم ولكل من يكتب. لذلك يقول رسول رب المجد: "ليكن الإنسان مسرعًا في الاستماع ومبطئًا في الغضب؛ لأن الغضب لا يؤدي إلى صدق الله" (حسب الأصل القبطي).

الباحث عن الحق يجده في شخص الرب يسوع؛ لأنه هو الحق. كان يسوع معلمًا، وجسَّد في كيانه الحق. لم يتكلم بألسنة، ولا حصر أيًا من الموضوعات التي لبست ثوب العقائد في كلمات، بل ظل شخصه وأفعاله وكلماته، الحق الذي أعلن الآب في حياته ثم سكب الروح علينا في العنصرة؛ لأننا نحتاج إلى "روح النبوة"، أي روح الأنبياء لكي نفهم ونعرف معاني حياة يسوع وكلماته.

الموت ضرب كلماتنا:

يقول الرب: "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة"؛ لأنه هو الذي قال: "أنا الحق والحياة"، فكل كلمة من فم يسوع نابعة من الذي هو الحياة، وكل حرف نطق به لم يكن من أجل هدفٍ آخر غير الحياة، ولكي يشرق نور معرفة الآب بالحق في قلوبنا.

أما نحن، فكلامنا كثير عبَّر عنه رسول رب المجد بكلمة واحدة، وهي "اللسان"، وأشار الرسول إلى ينبوع الماء المالح والعذب.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢١ مايو ٢٠١٨.

كم سمعنا وقرأنا كلام موت، يضرب الوفاق، يخلق الكراهية، ويحدد الآخر بالشر الذي قد يكون قد صنعه، وينفي عنه صفة البنوة، وكل هذه هي ضربات الموت. لقد صار التدليس والكذب مباحًا ويقال دون حياء، فظهرت علامات الموت، وخدع السُّذج الذين بلا حكمة.

الكلمة حسب حياة يسوع الذي فينا:

هي الكلمة "العاملة بالمحبة"؛ لأن "من لا يحب لم يعرف الله" (١ يو ٤: ٨). وعندما كتب الرسول: "من يحب فقد وُلِدَ من الله" (١ يو ٤: ٧)، وقد سبق وقال إن الولادة من المحبة هي الولادة من الله؛ لأن "الله محبة" (١ يو ٤: ٨)، وهو الذي سبق فكتب في افتتاحية الإنجيل: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم (الآب) سلطانًا أن يصيروا أولاد الله ... أي الذين ولدوا ليس من دم (الطبع المخلوق)، ولا من مشيئة جسد (الزواج)، ولا من رجل (إرادة إنسانية)، بل من الله" (يو ١: ١٢ - ١٣). وقد تحقق هذا لأن الكلمة صار جسدًا ونقلنا من آدم إلى كيانه الإلهي المتجسد. كلام الكذب هو من الشيطان، وملابس الكهنوت لا تخدع إلا الذين بلا حكمة. التدليس هو عمل شيطاني يهدف إلى إخفاء الحقيقة.

الحوار المأمول في الكنيسة:

معاناة ٤٠ عامًا تكاد توشك أن ترحل، رغم الكلام الجبان الذي كُتِبَ عن قرارات المجمع الأخيرة.

لا أريد أن أعود إلى التاريخ القريب المملوء بالتشهير في محاضرات القسم المسائي، ومجلة الكرازة، وأخيرًا "بدع حديثة". ما حدث يجب أن يطويه الزمان، لكن صفحةً جديدةً تحتاج إلى عرضٍ لبعض قواعد الإفراز:

أولًا: الأنبا شنودة ليس مرجعيةً، ولا كاتب هذه السطور، ولا غيره من الأسماء اللامعة مثل القمص متى المسكين أو الأنبا غريغوريوس. المرجعيةُ هي التسليم الكنسي.

على غير ذلك سار الواقع الكنسي في الـ ٤٠ سنة الأخيرة، فقد تدرب جيلٌ على التشبه بالحركات الإسلامية في إبراز مفتٍ معيَّنٍ وأميرٍ للجماعة، أو التمسك بكتابٍ فقهي له مكانة معينة. متناسين أننا عندما نقلد نحن هؤلاء، نصبح مثلهم رغم اختلاف اللغة، في حين أن التسليم الكنسي هو إجماع الآباء على تعليم عقيدي دُوِّنَ قبلهم مثل:"ربٌ واحد يسوع المسيح"، وهي عبارة قانون الإيمان التي صارت أحد أسباب تصدي القديس كيرلس الكبير للنسطورية.

وإجماع الآباء نراه أيضًا في صوت الكنيسة الجامعة الذي كُتِبَ أثناء وبعد عصر الرسل في الصلوات الليتورجية وتسابيح الكنيسة، والذي له شهادة واضحة من الأسفار.

في الإسلام القاعدة الفقهية: "لا اجتهاد مع النص"، لأن أساس الإسلام هو الشريعة، تلك خصوصية الإسلام ولها كل احترام. لكن في المسيحية يجب أن نقول: "لا اجتهاد مع وجود التسليم الكنسي"، مع ملاحظة أن استعلان الابن المتجسد ليس هو مجموعة نصوص، بل استعلان علاقة شركة لم تؤسَّس بالنص، بل بما قدَّمه الرب نفسه من ذاته ومن كيانه الإلهي المتجسد.

ثانيًا: كل الآراء الشخصية، مهما كان قائلها يجب أن تراجع على التسليم. وهنا، أريد إجابةً صادقة على هذه الأسئلة:

- هل صادفنا تعبير "الحلول المواهبي" في أيٍّ من عناصر التسليم الكنسي؟ ألا يتصادم هذا التعبير مع صلوات استدعاء الروح القدس، وليس مواهب الروح القدس؟
- وحسب ما دُوِّنَ في التاريخ الكنسي القبطي والعالمي، هل هناك وثيقة ورد بها تعبير "البديل العقابي" حتى يمكن أن يُتهَم شخصٌ بأنه غير أرثوذكسي إذا رفض هذا التعبير، الذي يشهد التاريخ أنه أحد أوجه تعليم يوحنا كالفن (ق ١٦)؟

- وهل يوجد لدينا مجمع قَبِلَ تعليم وراثة خطية وذنب آدم؟

ثالثًا: حوارٌ مبني على أبحاث ورقية، لا على أصوات وخطب أو مقالات في مواقع التواصل الاجتماعي. والحوار الذي يُناقَش، يدوَّن، لأنه ليس لدينا في المسيحية، لا سيما الأرثوذكسية عصمةٌ لأشخاص أيًا كانوا كما سبق وأوضحنا.

نريد أن يكون الحوار حوار الصدق لا مناسبات تشهير.

حوار المحبة الذي لا يهدف إلى الإيقاع بالآخر، بل التعرف عليه ومحبته.

أما في مواجهة حوار غضبٍ واتهامات لا تخص الرب، بل خاصة بمن صنعها لكي يشمل سواد الكراهية كل شيء، فإننا نحتاج إلى كلمة واحدة قالها الرب نفسه عندما حاول الشيطان أن يشهد له: "اخرس"، حتى لا يصبح اتهام اليهود بأن الرب حليف الشيطان اتهامًا صحيحًا.

أُقدِّم هذه السطور من أجل الإيمان، ومن أجل أن نبقى في درب الإيمان القويم؛ لأن الذين لم يعرفوا الحق ولا المحبة، سيسمعون بعد عيد الصعود في تسبحة الكنيسة: "فلنسبح اسم الرب لأنه بالمجد تمجَّد ... وأرسل لنا الباراكليت روح الحق المعزي".

إلى روح الحق المعزي أرفع صراخ قلبي لكي نبقى أحياء في المسيح، ولا يقوى علينا موت الخطية ولا على كل شعبك.

الثقافة المصرية المعاصرة
وصراعُ النصِّ مع التأويل[1]

"التأويلُ" لغةً هو إعطاءُ معنًى لحدث أو قول أو نصّ لا يبدو فيه المعنى واضحًا لأوّلِ وَهْلة. والمتابع لتاريخ الثقافة المصرية المعاصرة لا بد وأن يكون قد رصد تلك المحطات الرئيسة لصراع النص مع التأويل، نشير هنا إلى بعضٍ منها؛ لأننا لسنا بصدد حصرها، بل تقديم أمثلة لهذا الصراع. فعندما كتب ونشر د. محمد خلف الله دراسته للدكتوراه عن "القصص الفني في القرآن"، وبعدها بسنوات نشر د. نصر حامد أبو زيد "مفهوم النص" وكانت دراسة عن المعتزلة والصراع مع التأويل، نال كلاهما قدحًا وذمًا وهجومًا شرسًا أدى في حالة د. نصر حامد أبو زيد إلى هجرته إلى هولندا، بل وصدر حكمٌ قضائي بتطليق زوجته منه رغم أنهما لا هو ولا زوجته، طلبا الطلاق. وكان سفك دم الشيخ الذهبي، ود. فرج فودة بمثابة التعبير الدموي عن هذا الصراع. وإذا عدنا إلى الوراء قليلًا، يمكننا أن نرصد دراسة الشيخ علي عبد الرازق عن "الإسلام وأصول الحكم"، وما أحدثته هذه الدراسة من أثر أفقد الشيخ علي عبد الرازق شهادة العالمية الأزهرية، وفُصل من عمله في القضاء. ولا يغيب عن العين الشغب الذي رافق صدور كتاب د. طه حسين "في الشعر الجاهلي".

تلك عثراتٌ وطنية تعبِّر عن ضيق الثقافة المصرية بالبحث ومراجعة التراث. وقد يبدو من رصد هذه المحطات أنها خاصة بالمصريين المسلمين فقط، ولكن المتفحص للتاريخ في هذه الحقبة يجد أن التيار الثقافي العام، جَرَفَ الكثير من

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣ يوليو ٢٠١٨.

المصريين، ومنهم الأقباط إلى ذات الصراع والذي بدأ -بالنسبة للأقباط- بهجوم حركة الإرساليات على كنيسة مصر، وكان أشدها هو كتاب القس بنيامين شنايدر "ريحانة النفوس في أصل الاعتقادات والطقوس"، وما جاء بعد ذلك من كتب ومقالات، كانت مكتبة النيل المسيحية في مصر، والمطبعة الأمريكانية في بيروت، كلاهما الذراع الذي كان يقود حركة الهجوم. وقتها كنا نقرأ تفاسير وليم آدي الأمريكاني، وما صدر من مكتبة الأخوة من تفاسير، ولم يكن لدينا سوى تفسير المشرقي، وشرح سفر الرؤيا لابن كاتب قيصر. فيما بعد جاء جيل النهضة على يد الأستاذ حبيب جرجس: الكلية الإكليريكية، ثم اللجنة العليا لمدارس الأحد، ونشطت المجلات القبطية في النشر، فكان لمجلة "الكرمة" الدور البارز، إلى جوار مجلة "الصخرة" للأستاذ حبيب سكاكيني والأرشيدياكون فرنسيس العتر.

هذه عجالة سريعة شملت ما يزيد على ١٠٠ سنة، نلاحظ فيها أن قوة الحركة الوطنية التي كانت تطالب بالاستقلال عن بريطانيا بزعامة سعد زغلول وما تبعها من محاولات تأسيس الدولة الحديثة على أساس المواطنة "الدين لله والوطن للجميع"، كانت بمثابة سندٍ، ولو محدودٍ لحرية الرأي. في المقابل كانت الأعراض الجانبية لثورة ١٩٥٢ كحل الأحزاب وتأميم الصحافة وظهور الحزب الواحد، بمثابة سندٍ خفيٍّ ضد تعدد الآراء ودخول الثقافة الوطنية في عنق زجاجة "الولاء" للزعيم والقائد، وهو ما فرض على المستوى السياسي اعتبار الرأي الآخر تهديدًا ومقاومةً لإجماع شعب مصر.

بين التاريخ القديم والحديث:

كانت محاولة أخناتون فرعون مصر هي أول حركة دينية قاومتها أصولية كهنة آمون. فليس إذن الصراع الديني جديدًا على مصر، وإن كان التاريخ القديم قد قدم لنا مشكلة أخناتون، فقد شهد بداية العصر المسيحي في مصر سفك دماء كثيرة جعل التقويم القبطي يبدأ بالشهداء. سيل الدماء هذا لم

ينقطع على مدار التاريخ، وهكذا نشير إلى إبادة البشامرة في العصر العباسي، وسفك دم كثير من الأقباط في عصر المماليك والعصر العثماني، وهو سفك دم الآخرين الذين يختلفون عن البعض. وحتى بعد ظهور الدولة الحديثة على يد محمد على لم تستقر الأمور، إذ جاءت نكسات الإصلاح على يد الخديوي عباس؛ فعلى صعيد الحياة الدينية لم تنجح محاولات الشيخ محمد عبده لتجديد التراث، وفشل المجلس الملي أيضًا في وضع نظام قانوني لإدارة الكنيسة القبطية، واشتعل الصراع مع البابا كيرلس الخامس، وظل دور العلمانيين محجورًا عليه إلى أن تقلص بإلغاء المجلس الملي في ١٩٥٤.

والصراع الفكري الدائر في أيامنا حول بعض كتب التراث، لا يختلف في جوهره عن الصراع الفكري المقاوم للعادات والأعراف التي ليس لها أصول تاريخية في الكنيسة، ولكنها تدور حول ممارسات تعود إلى العصر الوسيط القبطي خاصة بالمرأة والزواج وطهارة الجسد .. الخ.

مصادرة الكتب، وحرق كتب الأب متى المسكين:

على المستوى الوطني، طويلةٌ هي قائمة الكتب، بل والروايات والأغاني التي مُنعت. وبالرغم من نشر أهرام الجمعة لرواية نجيب محفوظ "أولاد حارتنا"، فقد تم منع الكتاب بعد ذلك في مصر إلى أن تسرَّبت بعضُ نسخٍ من الطبعة اللبنانية.

وسرت العدوى لبعض الإكليروس القبطي، فصدرت قرارات منع كتاب "أقوال مضيئة"، والترجمات العربية لكتب عالمية للأب كونيارس، ومنع كتب الأب متى المسكين من معرض الكتاب القبطي بعد أن حُرِقت في فناء الأنبا رويس، وطبعًا مُنعت كتب كاتب هذه السطور.

نحن إذن أمام حركة لانهيار حرية الفكر واحترام الرأي الآخر، وهو أمر يفتح الباب للقضاء على الحياة في مرحلة تالية، ولا يخلو التاريخ من حوادث

تؤكد هذا التسلسل. يكفي أن نشير في التاريخ الحديث إلى ما فعله حرس هتلر الحديدي عندما أشعل النار في الكتب، فكان ذلك بمثابة مقدمة لحرق البشر الذي حدث بعد ذلك بقليل في معسكرات الاعتقال، وكنا قد أشرنا إلى حوادث قتل الشيخ الذهبي ود. فرج فودة، ومحاولة اغتيال نجيب محفوظ. على أنه وإن كان حرقُ البشر جسديًا عندنا غير وارد، إلا أن حرقهم معنويًا ممكنٌ، وهو ما يُمارَس باسم الهرطقة ومخالفة تعليم الكنيسة عملًا بالشعار القديم: "أنت عدو نظام الحكم" في صورته الحديثة: «أنت مخالف لتعليم الكنيسة».

التأويل والاتهام بالهرطقة:

المراقِب للصراع الذي امتد لدينا طوال ما يزيد على ٤٠ سنة، يجد أنه كان كله يدور في دائرة التأويل، ولكنه تحوَّل إلى هجمةٍ قاسية شخصية، إذ تحوَّل تأويلُ شخصٍ معيَّن إلى تعليمٍ يُقال باسم الكنيسة القبطية، وهكذا حاول الأنبا شنودة الثالث أن يحذف ١٩٠٠ سنة من تاريخ الكنيسة القبطية باعتبار أن ما يقوله هو تعليم الكنيسة القبطية، حتى لو كان ذلك مخالفًا لما رسخ في التاريخ. وعلى سبيل المثال: مصالحة العدل مع الرحمة، تأويلٌ كان يُقال في كل الكنائس في ميمر العبد المملوك كعظة في أسبوع الآلام. وهو تأويلٌ لا يتفق مع وحدانية جوهر الثالوث؛ لأن العدل والرحمة كلاهما من خصائص الثالوث، لا من خصائص أقنوم بعينه. وهناك مثالٌ معاصر، هو ما يندرج تحت اسم "عقيدة الفداء والكفارة" التي لا وجود لها في التاريخ الكنسي الشرقي والغربي قبل عصر الإصلاح، والتي تشرح الخلاص بالقول بدفع الابن ثمن خطايا البشر على الصليب – ووقوع الابن له المجد تحت الغضب الإلهي، وهكذا صار لدينا اسمٌ جديد هو "البدلية العقابية".

ويمكننا إجمال العناصر التي قام عليها هذا التأويل فيما يأتي:

١- الابتعاد عن مجال الأسفار Scope وهو السبب الذي أشار إليه واستخدمه

القديس أثناسيوس الرسولي في الرد على الأريوسيين (٣: ٢٧، ٢٨، ٣٥). ويقصد القديس أثناسيوس بـ "مجال الأسفار" كل الأسفار، لا اختيار نصٍّ واحدٍ يخدم تأويلًا معينًا، بل الإحاطة التامة بكل النصوص، وعدم أخذ نصوصٍ عن الابن المتجسد، وتأويل هذه النصوص على أنها تعني أُلوهية الابن قبل تجسده[٢].

٢- استخدام، ليس فقط مفرداتٍ، بل أفكارٍ لم ترد في النص، ولا وجود لها في الأسفار.

٣- العودة إلى ما رسب من أفكارٍ عن ذبائح العهد القديم في العصر الوسيط الأوروبي، لكي تُفرض هذه الأفكار على ذبيحة الرب نفسه، خلافًا لكل ما كُتب عن ذلك في الرسالة إلى العبرانيين.

٣- استخدام كلمات "فدية" و"دفع الثمن" و"البديل العقابي" كتأويل لموت المسيح على الصليب.

متى يكون التأويلُ خطًأ؟

١- التأويل هو اجتهادٌ شخصي، قد يكون نافعًا وقد يخرج عن حدود التفسير والشرح، ولذلك إذا ظهر في التأويل ما هو ضد النص -النص كما هو، وليس النص كما تم تأويله- فإن التأويل يجب أن يُرفض تمامًا. وهذا لا يحكم على اجتهاد الشخص بالهرطقة، كما سيتضح فيما بعد، بل يجب الرد عليه حسب روح المسيحية. وعلى ذلك، ففي مجال الرد على التأويل الخاص بـ "عقيدة الفداء" المشار إليها آنفًا، يمكن مقارنته بنص يوحنا ٣: ١٦، حيث لا تُذكر كلمة "الفدية"، ولا يوجد فيه رائحة عقاب الآب للابن. كما يمكن استخدام نص "أجرة الخطية هي موت"، فإذا كان الله هو الذي يدفع الثمن طبقًا لتأويل "عقيدة الفداء"، فالنص يذكر أن الخطية هي التي تدفع الأجرة، وما أكثر الأمثلة التي ربما سمعها كل القراء أو نُشرت في بعض الكتب والمقالات.

٢- راجع بالتفصيل كتابنا: المدخل للاهوت الأرثوذكسي، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٣٩ – ١٥٤.

٢- إن ما يجعل الصراع في دائرة التأويل شرًا حقيقيًا، هو الاتهام بالهرطقة. وقد نال هذا الاتهام أشخاصًا أبرياء بالرغم من أن الذين شنَّعوا عليهم كان لديهم تأويلات خاطئة جدًا أدت بهم إلى إنكار سكنى الروح القدس، ومن الغريب هنا أن الردود كانت تدور داخل دائرة التأويل بسبب الابتعاد عن النص.

الفرق بين التأويل والهرطقة:

١- لم تكن الهرطقة الأريوسية، وهي أشهر هرطقات القرن الرابع وما بعده، مجرد تأويل، بل كانت محاولة لتقويض أُلوهية الابن، وقد جاءت بفكرة أفلاطونية، هي فكرة الكائن المتوسط، تلك التي جمع أريوس حولها نصوصًا مقطوعةً من السياق العام لها لكي يدافع عن فكرة أن الآب خلق الابن لكي يخلق الابن العالم. وبالنسبة لنسطور، نجد أنه بدأ بإنكار الاتحاد الأقنومي الذي حدث في تجسد ابن الله لكي يهاجم بكل عنف لقب "والدة الإله".

٢- في عصرنا الحالي شَرَحَ الأنبا شنودة الثالث عقيدة الثالوث على أن الآب هو الوجود، والابن هو العقل، والروح القدس هو الحياة، وهي ذات هرطقة سابليوس، ومع ذلك، فقد كان يؤمن بالثالوث، ولكن تأويله كان خطًأ. وكتبَ أن الابن له المجد لم يسلِّم جسده في العلية، بل سلَّم رمزًا، وهو أيضًا تأويلٌ خاطئ يتناقض مع التسليم الكنسي الثابت في العهد الجديد والليتورجية. وقال إننا نأخذ الناسوت بدون اللاهوت، وهو تأويلٌ ضد الاتحاد الأقنومي للرب يسوع، ومع ذلك كان يصلي ويقول الاعتراف الأخير في القداس: "لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين".

أنا هنا لا أبحث عن براءة شخص، وذنب آخر، ولكني ألفت النظر وأُوكِّد أن الاتهام الذي وُجِّه للأب متى المسكين، ولكاتب هذه السطور بناءً على هكذا تأويلات، هو اتهامٌ كاذبٌ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ.

٣- الهرطقة هي إنكارٌ لأحد بنود الإيمان كما صِيغ في المجامع المسكونية

الثلاثة، وكما هو مدوَّنٌ في صلوات الكنيسة وفي كتابات الآباء[٣]. أما ما يقال عكس ذلك فهو بمثابة نقلِ الاتهام بالهرطقة إلى دائرة التأويل الذي هو اجتهادُ شخصٍ كان يجب رده، وفحصه في ضوء التسليم الكنسي، وليس القياس عليه.

٤- إن ما يُقال من دفاع ساخن عنيف عن "الخطية الأصلية"، إن هو إلا تجاهُل لحقيقة عدم وجود هذا المصطلح في الشرق، وشيوعه في الغرب وحده. ولذلك وفي سبيل تبرير هذا الدفاع، جاء العبث بكلمات القديس أثناسيوس اليونانية في الفصل العشرين من كتاب "تجسد الكلمة"؛ لأن التعليم الغربي هو وراثة ذنب آدم، والتعليم الشرقي هو وراثة الموت، والفرق كبير جدًا[٤]. ولذلك أيضًا تم الهجوم على كتابٍ ودراسةٍ جيدة جدًا عن القديس ساويروس الأنطاكي للباحث د. جورج فرج؛ لأن ساويروس مثل غيره من آباء الشرق، لم يَسِر في ذات خط أوغسطينوس.

ولذلك، فإن اعتماد تأويل أوغسطينوس والدفاع عن هذا التأويل وتجاهل الثابت في التعليم الشرقي، هو بمثابةِ حذفٍ مباشر لتاريخ الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية الخلقيدونية وغير الخلقيدونية، كما أن استخدم هذا التأويل بالذات للهجوم على بعض الأشخاصِ يكشف الغطاء عن استمراء نشر ثقافة قبطية جمعت بين ما رسب من تراث إنجيلي مصري وكاثوليكي مصري نشره قادة الإرساليات الذين وفدوا على بلادنا منذ القرن التاسع عشر، دون دراسة أو تمحيص، في الوقت الذي كان يجب فيه على المهاجمين القيام بمقابلة هذا التراث على ما لدينا من تسليم كنسي، وبالتالي نشر تراثنا القبطي الأصيل.

متطلبات التأويل:

قلنا إن التأويل هو فهم كل قارئ لأي نصٍّ، وهو أمرٌ مطلوب، بل هو سبب الكتابة ونشر المعارف. ولكن التأويل يحتاج دائمًا إلى عدة مراجعات:

٣- راجع في ذلك تفصيلًا كتابنا: التمييز بين العقيدة والهرطقة والرأي، القاهرة، ٢٠١٦، جذور للنشر.

٤- راجع بالتفصيل كتابنا: وراثة الخطية أم سيادة الموت؟، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٤.

أولًا: مراجعة التاريخ، أي تاريخ العقائد، وهو موضوع كان غائبًا، ولكن فُتح الملف أخيرًا في الـ ٣٠ سنة الماضية[٥]، وكان أول كتاب عربي هو كتاب تاريخ الفكر المسيحي للدكتور القس حنا الخضري، وهو ترجمة عربية لبعض ما نُشر بالفرنسية والإنجليزية، ولكن فيه انحياز للمذهب الإنجيلي، وكان قد سبقه كتاب القس إلياس مقار بعنوان "ايماني"، ونشرته دار الثقافة. وسبق الكل مجلد اللاهوت النظري الخاص بالكنيسة الإنجيلية الذي تجاوز كتاب "ريحانة النفوس في أصل الاعتقاد والطقوس" للقس بنيامين شنايدر، والذي احتوى على هجومٍ عاصف ضد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية؛ لأن المؤلف لم يميِّز بين كنيسة مصر والكنيسة الكاثوليكية. وفي حقيقة الأمر أن كل هجوم إنجيلي على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كان يعتمد على أن عقائد وممارسات الكنيسة الكاثوليكية هي ذات عقائد وممارسات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

ثانيًا: ليس فقط مراجعة تاريخ العقائد، وهو الأمر المطلوب عندنا نحن الأرثوذكس؛ لأن الدراسات التاريخية الجيدة التي تجاوزت حدود المذاهب عن تاريخ العقيدة المسيحية، جاءت منذ ٥٠ سنة تقريبًا، وفتحت الطريق أمام دراسات حديثة صدرت في السنوات الماضية بفضل جهود الأستاذ د. T. Oden حيث نُشرت خمسة مجلدات لشرح قانون الإيمان، ونشرت ثلاثة مجلدات بعنوان: Worship in the Early Church ودراسة L.J. Johnson لكي تعبر الحواجز التي وضعها علماء التاريخ في القرن الـ ١٩ مثل Harnack وغيره. وهي حواجز انحياز الثقافة الأوروبية لنقد المسيحية الذي يعود أصلًا إلى الإمبراطور يوليانوس الذي سار على نهج كلسوس في كتابه ضد الجليليين "أي أتباع يسوع من ناصرة الجليل".

٥- نشير في هذا المجال إلى كتاب الأب باسيليوس المقاري: دراسات في آباء الكنيسة، والصادر في طبعته الأول ١٩٩٩. وأيضًا إلى كتاب تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة الصادر في طبعته الأولى عن منشورات الكتبة البولسية في لبنان ٢٠٠١.

أمام هذا التاريخ نرى ضعف وتقزم موقف الصغار في هجومهم على قيادات كنسية محترمة من الأساقفة مثل الأنبا أنجيلوس والأنبا أبيفانيوس الذي وُصِفَ بأنه أُسقف بروتستانتي، مع أن تاريخ حركة الإصلاح لم يدوَّن بعد باللغة العربية، ولا يوجد لدينا مؤرخ قبطي أرثوذكسي درس حركة الإصلاح في القرن الـ ١٦، الأمر الذي يعني أن الاتهام بالبروتستانتية لا يحمل في طياته أي جدية، بل يهدف فقط إلى التخويف والتشويش.

ثالثًا: ليس فقط مراجعة التاريخ الكنسي، بل أيضًا مراجعة كتابات الآباء، لا سيما أثناسيوس وكيرلس الكبير، وكلاهما لم يظهر على ساحة الفكر القبطي المعاصر إلا في السنوات الماضية بدايةً من خمسينيات القرن الماضي، حينما صدر كتاب "تجسد الكلمة" في ترجمة عربية عن اللغة الإنجليزية للأب مرقس داود.

رابعًا: أضِف إلى ذلك دراسة اللغات القديمة، فقد كان أحد مفاتيح النهضة الأوروبية في القرن ال ١٩ وما بعده هو دراسة اللغات القديمة: العبرانية - الآرامية - اليونانية، وبالتالي مراجعة ما نُشر باللغة اللاتينية. ونُشرت دراسات جيدة جدًا عن الأصول العبرانية والآرامية لِما دوِّن باللغة اليونانية، وبالذات العهد الجديد. وكان من الضروري إعادة النظر فيما كُتِب قبل ذلك بواسطة مَن جَهِل أو تجاهل الأصل العبراني أو اليوناني لما ورد في الأسفار المقدسة. وبالتالي كان قرار منع د. مراد كامل من تدريس اللغة العبرانية لفهم العهد القديم بمثابة سندٍ للتأويل الذي اعتمد على الترجمة العربية دون مقارنتها بالأصل العبري.

غاب كل هذا من ساحة الفكر القبطي المعاصر، وإن كانت قد بدأت بواكير ترجمات الآباء في مركز الآباء بالرغم من الحصار الذي فرضه عليه بعضٌ من الإكليروس، وإن كان قد تم اختراق هذا الحصار بفضل دعمٍ محدودٍ من العلمانيين. في ظل هذا كله، اعتمد الصغار على مواقع الإنترنت في شن هجوم على كل مَن ينشر دراسةً عن آباء الكنيسة، وبالتالي اتسعت دائرة التأويل لكي

تجمع ما بين محاولة نشر تأويلِ شخصٍ معيَّنٍ والعداء لشخصٍ آخر مطلوب تدميره اعلاميًا.

تأويلات الأنبا شنودة ردًا على الأب متى المسكين:

قرأت مقالة "كيف تم فداء البشر» للبابا شنودة الثالث تحت عنوان اللاهوت المقارَن، وقد صدرت الطبعة الثانية في أكتوبر ٢٠٠٣. وفيها يرد الأنبا شنودة على الأب متى المسكين. ونلاحظ أن تأويل الأنبا شنودة يفصل بين صلب الرب، وبين سر المعمودية، وهو ذات الفصل المتجذِّر في اللاهوت الإنجيلي (راجع صفحات ١٤ وما بعدها من هذا الكتاب) حيث يقول: «نلاحظ في عبارة (متنا معه) خلطًا بين الصليب والمعمودية. وكذلك في عبارة دُفنا معه. فنحن لم نمت مع المسيح على صليب الجلجثة، ولم نُدفَن معه في القبر". وبالرغم من أن الأنبا شنودة ذكر نصوص (رو ٦: ٣-٤ – كولوسي ٢: ١٢) حيث يذكر الرسول بولس، لا القمص متى المسكين: "أننا كل من اعتمد للمسيح اعتمدنا لموته .. الخ"، إلا أنه فرض رأيه على النص، فأنطق النص ما لم يقله. وكان يجب على الأنبا شنودة -إلى جوار الالتزام بالنص- مراجعة عظات القديس كيرلس الأورشليمي وعظات ذهبي الفم للموعوظين؛ **لأن الصليب ليس حدثًا تاريخيًا تم فقط يوم الجمعة، بل هو شخص وأقنوم الله الكلمة الذي صُلب وقام لكي نشترك في صلبه وقيامته.** وبالرغم مما ورد في مقالة الأنبا شنودة من بعض عبارات للقديس أثناسيوس في "تجسد الكلمة"، إلا أن هذه العبارات تم جمعها لتخدم التأويل الذي أراده، ولذلك ترك عبارات مثل:

- "نحن الذين حملنا في جسده الخاص" (٢٥: ٦)،
- "موت الجميع قد تم في جسد الرب" (٢٠: ٨)،
- "بذل جسده للموت عن الجميع، كل هذا فعله من أجل محبته للبشر .. كان الجميع قد ماتوا فيه (٨: ٤)،

- وجسد الخطاة هو الجسد القابل للموت، وهو تعبير تكرر عدة مرات في كتاب "تجسد الكلمة".

وهكذا يكون الأنبا شنودة قد حاصر موت الرب على الصليب في:

١- دفع الثمن.

٢- ترضية العدل الإلهي.

٣- احتمال عقوبة الموت.

وهي ذات الدائرة التي تم فيها تأويل صلب الرب منذ القرن الـ ١٦ في حركة الإصلاح والتي تجاهلت:

١- تحرير الإنسانية كلها من الموت الأبدي.

٢- هبة القيامة للكل.

٣- تجديد الإنسانية في المسيح لمَن يقبل.

٤- انسكاب حياة الفادي في السرائر لا سيما المعمودية والمسحة والإفخارستيا.

٥- صار المسيح هو آدم الثاني رأس الكنيسة.

٦- أصبح الذين اعتمدوا أعضاء جسده.

٧- الاتحاد برأس الخليقة الجديدة.

وهكذا ضاقت دائرة التأويل عن كل هذا بسبب طبيعة الصراع العقيدي الذي دار في القرن ال ١٦ والذي انفتح أخيراً على دراسات إنجيلية معاصرة تحاول رأب الصدع مثل:

Ben Blackwell: Christosis: Pauline Soteriology in the light of Deification in Irenaeus and Cyril of Alexandria (2011).

ومصطلح Christosis هو مصطلحٌ جديد تم خلقه لتأكيد الاتحاد الذي تم في المسيح بين الرب يسوع وأعضاء جسده.

التاريخ في المسيحية الأرثوذكسية ليس أحداثًا قديمة:

دُهشت لما ذكره البابا شنودة في مقاله كيف تم فداء البشر (ص ٢٥): "وعندما يقول بولس مع المسيح صُلب" (غلا ٢: ٢٠)، لا يقصد أنه صُلب معه على جبل الجلجثة. ففي ذلك الوقت لم يكن مؤمنًا .. الخ (ص ٢٥). ومع ملاحظة أن الأنبا شنودة لم يذكر بقية قول الرسول: "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ"، يجب أن نلتفت إلى **أن الحياة التي صُلبت وقامت هي حياة الحي يسوع رب الزمان كله، والذي لا يمنعه الزمان من أن يكون معنا، بل "فينا"، وعطية التجديد تمَّت في المسيح نفسه، ومنه نُقلِت إلينا بالروح القدس، وهو ما غاب عن لاهوت السرائر في العصر الوسيط، أي عمل الروح القدس في تقديم حياة يسوع المصلوب والحي معًا؛ لأن المسيح صُلب بالروح القدس أو الروح الأزلي (عب ٩: ١٣)، وهو ذات الروح الذي يقدِّمه "حملًا بلا عيب" ممسوحًا بالروح القدس**. واستعلان يسوع بالمسحة يعبِّر عنه طقس تقديم القربان ومسحه بالماء قبل لفه بلفافة يوضع عليها الصليب؛ لأن السر سوف يُستعلَن عند استدعاء الروح القدس، حينما يعلن الروح أن الخبز والخمر صارا جسد الرب ودمه، وصارا "قدسًا لقديسيك" حسب صلاة سِر حلول الروح القدس. ولذلك أيضًا، يغطي الكاهن يديه بلفافتين؛ لأن اليد التي تخدم هي يد الرب نفسه، فهو الذي أخذ خبزًا وشكر وبارك .. الخ **فلا مسافة يمكنها أن تفصل الرب عن المؤمنين، ولا زمان يمكنه أن يجعل الصلبَ حدثًا تم وانتهى**؛ لأن هذا هو تصور العصر الوسيط الذي دخل أيضًا عصر الإصلاح، وهي سقطة الفكر الإنساني المستعبَد للزمان والمكان والتي فصلت بين الصلب والقيامة.

التأويل الخاطئ لذبائح العهد القديم، أساسٌ خاطئ لشرح الفداء:

المطلع على الشرح السائد لموت الرب على الصليب، والذي تسَّرب إلينا من العصر الوسيط الأوروبي، يلاحظ أن هذا الشرح بُنيَ على تأويل خاطئ لذبائح العهد القديم. ونقول تأويلٌ خاطئ؛ لأن حتى كلمات مثل "العقوبة"، وعبارات مثل "إيفاء العدل الإلهي حقه" لا وجود لها في النصوص الخاصة بالذبائح. وحتى شرح موت الرب على أساس ذبائح العهد القديم، مهما كانت أسماء هذه الذبائح، لا علاقة له بالعهد الجديد[٦].

ولعل أفدح الأخطاء هو تصوُّر أن الله قد أمر بتقديم هذه الذبائح، ولكن سفر اللاويين (١: ١-٢) يقول: "إذا قرَّب إنسانٌ منكم قربانًا للرب ..."، وكرر ذات النص في (لا ٢: ١) "وإذا قرَّب أحدٌ قربانًا ..". وقد شرحت الدسقولية في إسهابٍ الغرض منها وكيف عزل الله بني إسرائيل عن الشعوب الأخرى بطقس الذبائح، ولذلك كُتب: "لأن الله ليس بمحتاج للقرابين لأنه فوق كل احتياج بطبعه، لكن بالحري إذ هو عارف أنه مثل المحب لله الأول هابيل ونوح .. أنهم لما تحرَّكت ذواتهم من جهة الناموس الطبيعي، ورأى شاكر أن يقربوا لله، ولم يفعلوا ذلك بتكليف .. ولم يأمرهم، ولكن سمح لهم .. لأجل ذلك هذا قال: "إن كنت تشتهي أن تذبح لي عن هذا فلست بمحتاج إلى ذبيحة .. (خروج ٣٢: ٤)"[٧]. وإذا كانت كلمات العبرانيين (ص ١٠: ١-١٠) التي تؤكد أن الله لم يُرد الذبائح ولا سُرَّ بها، تكفي، فمن هنا نفهم أن تحصُّن تأويل الذبائح وفرضَه عنوةً على صلب الرب نفسه، لم يحدث إلَّا لأن ذلك التأويل كان قد شاع في كتب ماكنتوش، وهو ما وصل إليه تطرُّف حركة الإصلاح في إخضاع العهد القديم لقراءةٍ مغلوطة، وذلك لأن نصوص اللاويين والتثنية لا تذكر أن الذبائح كانت

٦- راجع بالتفصيل كتابنا: «موت المسيح على الصليب»، القاهرة ٢٠٠٩، وعلى وجه الخصوص الفصل الثالث عن الصليب وذبائح العهد القديم في اللاهوت الأرثوذكسي، ص ٦١٥ وما بعدها.

٧- الدسقولية: تحقيق د. وليم سليمان، الطبعة الثانية ص ٧٢٤-٧٢٥.

تُقدَّم لترضية العدل الإلهي، ولا حتى لدفع عقوبة، بل جاءت فكرة رضاء الله في إطار محدود، وهو عودة إسرائيل إلى العهد الذي قُطِع على جبل حوريب، **وهكذا، إذا كانت الشريعة لم تأمر بتقديم الذبائح أصلًا، فلا يُعقَل أن نقبل تأويلًا يقول بأن الذبيحة غير العاقلة حلَّت محل الخاطئ، وبالتالي كل الأفكار التي ترتبت على ذلك.** إضافةً إلى ما سبق، لا يوجد في العهد الجديد نفسه أية إشارة إلى أن المسيح هو ذبيحة محرقة تشتعل فيها نار العدل الإلهي حتى يصبح المسيح رمادًا، بحسب شرح المتنيح الأنبا شنودة الثالث في كتابه خمسة تأملات في أسبوع الآلام.

هكذا اتسعت دائرة التأويل لكي يدخل فيها القمص متى المسكين متَّهمًا بالتعدي على عقيدة الفداء والكفارة، وهو الهدف الذي لأجله كتب الأنبا شنودة مقالة: كيف تم فداء البشر.

مراجعة لاهوت السرائر:

كان كتاب الأستاذ حبيب جرجس "أسرار الكنيسة السبعة" هو خلاصة ما وُلد في العصر الوسيط بعد مجمع ترنت في القرن ١٦ للرد على حركة الإصلاح. وهو لاهوت دفاعي أهمل ليس عن قصد، بل عن جهلٍ، التسليم الكنسي؛ لأنه لا يمكن فهم المعمودية بالمرة إذا فُصِلت عن الصليب. فما هي قيمة الصلوات والغطس في المياه إن لم تكن تلك هي الشركة السرية في موت الرب لكي تُباد الطبيعة القديمة، وتقوم الطبيعة الجديدة التي هي خلقٌ جديد؟

لذلك كان من اللازم أن نراجع كتاب أسرار الكنيسة السبعة على ما ورد في عظات القديس كيرلس الأورشليمي، وليس العكس، أي مراجعة ما نُشر من العظات على كتاب أسرار الكنيسة السبعة؛ لأن العودة إلى تراثنا الآبائي يجب أن يؤخذ بكل اهتمام.

سرعة إصدار الحكم بالهرطقة:

حسب ما استقر في القانون الكنسي، وهو ما تؤكده الدسقولية، ومحاضر جلسات المجامع المسكونية الثلاثة، كان كلُّ ادعاءٍ يُفحَص في وجود المدعى عليه، ولم يحاكَم أشر الناس غيابيًا، ولم يحاكم إعلاميًا، بل كان فحصُ الأقوال يتم بمراجعة هذه الأقوال على التسليم الكنسي .. هل حدث هذا معي، أو مع القمص متى المسكين؟

لم يحدث بالمرة.

كان قداسة البابا شنودة هو مَن بدأ بالهجوم أولًا في دروس القسم المسائي، وثانيًا على صفحات الكرازة، وثالثًا بصدور كتاب بدع حديثة، وهو لم يكن أكثر من بعض ما نُشِر في مجلة الكرازة. أما لماذا أهدر الأنبا شنودة حق الدفاع؟ فلأنه:

أولًا: كان يعرف مقدَّمًا أن الادعاء خاسرٌ.

ثانيًا: كان هو نفسه معرَّضًا للاتهام بالهرطقة، وقد حاول اتهامي في جلسة محكمة شُكِّلت دون إنذارٍ في مقر إقامته في دير الأنبا بيشوي، وبحضور الأنبا يؤانس أسقف الغربية - الأنبا باخوميوس أسقف البحيرة - الأنبا بيشوي أسقف دمياط وكفر الشيخ. وحاول جاهدًا أن يحاكمني على موضوع التطهيرات الجسدية، ولكنه خسر الجولة. ولم ينتبه إلى أن الادعاء بأن دم المسيح يخرج من جسم المرأة مع دم الحيض، هو بمثابة ادعاء بأن الرب يسوع عاد إلى الموت بعد قيامته، فأصبح جسده ودمه بعد القيامة عودة إلى الموت عند التناول. ولما سمع كلمات القداس الإلهي: "الذبيحة الإلهية غير المائتة السمائية" صَمَت. ولا يوجد ما يدعو إلى تدوين شطحات الأنبا بيشوي الذي خانه الذكاء عندما طلب عدم تبرع الأقباط بالدم للمسلمين؛ لأن دم القبطي "فيه دم المسيح"، وكأن المسيح أصبح سلعةً يمكن تداولها بدون الإيمان.

الادعاء والشوشرة في وسائل الإعلام:

لا يخرج الادعاء بالهرطقة في وسائل الإعلام عن كونه شوشرةً تهدف إلى النيل من سمعة وخدمة البعض الذين تحولوا إلى خصوم. فقد ظل الإعلام يطارد القمص متى المسكين طوال ٣٥ عامًا. وصمتُ الأب متى المسكين كان له هدف واحد هو أن لا يساهم بالرد حتى لا تتسع دائرة الشوشرة. لأننا كنا قد ورثنا من الثقافة السياسية التي سادت فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر نقل المعارك السياسية إلى الشعب في خطابات شعبية كانت دائمًا تقابَل بالتصفيق والهتافات؛ لأن دعمَ الشعب كان مطلوبًا. وهكذا تعلَّم قادة الكنيسة نقل ما هو مختلفٌ عليه إلى الشعب في عظات الجمعة، ثم الأربعاء. وكانت كثافة حضور الشعب معيارًا للزعامة، وكان أحد مواصفات الأسقف أن يكون له "شعبية"، وهكذا حادت القيادة الكنسية عن القيادة الروحية لأن جمع الشعب كان يتمحور حول أفكارٍ تدور كلها في دائرة التأويل أو الاستهجان: "مستحيل أن يتحد المسيح بجسد كل الخطاة" (كيف تم فداء البشر ص ٩)، وهو ردٌّ على سؤال: هل مات المسيح بجسد كل البشرية، بجسد كل الخطاة، بجسد كل خاطئ؟ وجاء الجواب إنكارًا صريحًا «المسيح صُلِبَ وتألم ومات بجسدٍ بشري، وليس بجسد كل البشرية ..(ص٩)». والجسد البشري الذي لا ينتمي إلى الإنسانية الخاطئة، أي ليس من نفس الطبيعة الساقطة "القابلة للموت" هو جسد غير إنساني. وإذا كان هو جسد آدم قبل السقوط، فهو جسد لم يعد له وجود حقيقي بعد السقوط، إذ صار تحت حكم الموت، واختلف بذلك عن الجسد بعد السقوط. لكن هكذا كانت تُحشد الإثارة على حساب الإيمان. والفرق بين إثارة وحشد الجماهير سياسيًا وحشد الشعب وراء الزعيم الكنسي هو أن ما يقال سياسيًا كان "مرحليًا" ومؤقتًا، أمَّا ما يقال كنسيًا عن الإيمان، فهو يمس الماضي، أي التسليم الكنسي، والحاضر والمستقبل أيضًا لأنه يمس تحول الإيمان عن مساره، بل الأخطر هو تكتل فئة ضد فئة، أي شق وحدة

الكنيسة، وكان شق وحدة الكنيسة هو الهدف من الإثارة والشوشرة ولا زال ذلك الهدف يسعى إليه غير الدارسين للتاريخ أو اللاهوت أو الأسفار المقدسة.

أمثلة لحقائق غابت عن التأويل:

١- عندما نشاهد مبارزات بالنصوص علينا أن ندرك على الفور أن ما يقدِّمه كلُ مبارزٍ هو فهمه الخاص الذي لابد أن يُراجع على التاريخ وما استقر من فهمٍ لهذه النصوص. وعلى سبيل المثال ما ورد في (مزمور ٥١: ٥). "هانذا بالإثم صُوِّرت وبالخطية حبلت بي أمي"، سبق هذه الكلمات: "لأني عارف بمعاصي وخطيتي أمامي دائمًا". فحسب تاريخ اليهودية كله لا توجد كلمة أو عبارة "وراثة الخطية"، وكلمات المزمور تعني حسب النص أن الخطية ليست غريبة عني؛ لأن المزمور قيل بعد الزنى مع زوجة أوريا الحثي، وهكذا الشهوة ليست غريبة. **وينسى الذين يستخدمون هذه الكلمات لتأكيد وراثة الخطية أن الحديث عن الأم ينفي دور الأب الذي لم يذكره النص!!!**

٢- والمثال الآخر هو عبارة "صُلب إبراهيم" التي وردت مرتين في (عب ٧: ٥ و٧: ١٠)، وحسب النص ما عدا سبط لاوي "أما الذين هم من صُلب بني لاوي الذين يأخذون الكهنوت، فلهم وصية أن يأخذوا العشر من الشعب حسب الشريعة أي اخوتهم مع أنهم خرجوا من صُلب إبراهيم (٧: ٥)، والكلمة اليونانية όσφύος لا علاقة لها بالحيوانات المنوية، رغم ذكاء واحد من الإكليروس لأن الذكاء لا يفيد بدون العودة إلى الأصل اليوناني المترجم Loins أو hip وهي الحقوين (مرقس ١: ٦ – متى ٣: ٤ "على حقوية منطقة من الجلد"، وكذلك في أفسس ٦: ١٤). وفي عظة القديس بطرس في يوم العنصرة إشارة إلى أن المسيح نفسه "إنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه (داود) (أع ٢: ٣٠)، **فإذا كان المسيح قد ولد من صُلب إبراهيم، فهل وُلِد الرب يسوع نفسه بوراثة الخطية، أم أن الصُّلب أو الحقوين هو إشارة إلى**

استمرار النسل من أبٍ معروف؟ والكلمة بذلك لا علاقة لها بالسائل المنوي؛ وإلا انتفى دور حواء في السقوط. ولأن دور حواء في السقوط معروف، لذلك فإن تعبير الآباء عن "الخطية الأولى، أو الآدمية" يعني سقوط آدم وحواء في براثن الموت بسبب التعدي.

٣- ومثالٌ آخر، وهو ما عُرِف شعبيًا باسم صلاة العشار، ويجب أن نلتفت إلى كيف قدَّم الرب نفسه لهذا المثل: "وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرارٌ، ويحتقرون الآخرين هذا المثل. إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار .. الخ" (لوقا ١٨: ٩ – ١٤). **إذن، المثل هنا ليس نموذجًا للصلاة، بل الحكم القاطع على كل مَن يعتبر نفسه بارًا ويحتقر الآخر، وهو ما فعله الفريسي عندما صلَّى. وهكذا لا يجب لعبارة "أنا الخاطئ"، بالنسبة لنا نحن الذين دُعي علينا اسم المسيح، أن تنفي عطية التبني، وبالتالي تصبح الخطيةُ "هوية مَن يصلي".**

يمكننا أيضًا أن نقدم نماذج متنوعة من صلوات الأجبية:

صلاة باكر:

وهي كما تبدو من القطع، عند إشراق النور، وهي من أقدم الصلوات القبطية:

- "أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر،
- أعطيتنا روح البنوة ϯⲙⲉⲧϣⲏⲣⲓ
- فلتشرق فينا الحواس المضيئة".

وعن القديسة مريم هناك طِلبة واضحة: "فاسأليه أن يعطي الخلاص للعالم الذي خلقه"؛ لأن الخلاص يبدأ بالخلق وليس بسقوط آدم، فبداية الكتاب المقدس ليست تكوين الاصحاح ٣ ولذلك نقول: "أيها الرب الإله حمل الله ابن الآب رافع خطية العالم ارحمنا يا حامل خطية العالم (أي ناقل، وليس من يحملها على كتفه)، أقبل طلباتنا إليك".

وتأتي الهوية الصادقة: "اجعلنا أبناء النور وأبناء النهار"، أي أبناء القيامة. والمسيح هو "إلهنا الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الجزيل التحنن الذي يحب الصديقين ويرحم الخطاة الداعي الكل إلى الخلاص".

طلبة تجديد الكيان في الساعة الثالثة:

تجديد الكيان هو محور الطلبة، واستدعاء الروح القدس: "أيها الملك السماوي المعزِّي .. هلم تفضل وَحِل فينا"، ثم طلب سلام المسيح، وهو عطية الروح القدس حسب شرح القديس كيرلس السكندري لإنجيل يوحنا:

"أرسل علينا نعمة روحك القدوس وطهرنا ... الخ".

الساعة السادسة وهي ساعة صلب الرب يسوع:

الرب "قتل الخطية بالخشبة وأحييت الميت بموتك الذي هو الإنسان الذي مات بالخطية .. اقتل أوجاعنا بآلامك المشفية ..". أما عن الدالة، وهي الجرأة التي ليست لنا من أجل كثرة خطايانا ...، فهي طلبة عامة بطلب شفاعة والدة الإله، لأن الرب "تألم لأجلنا لكي ينقذنا". الرب "صنع خلاصًا في وسط الأرض"؛ لأن أورشليم -حسب الاعتقاد الشائع- كانت في وسط الأرض، وبسبب هذا الخلاص، كلُّ الأمم تصرخ: "المجد لك .." لأنه نجانا من عبودية العدو، ولأنه المخلص الذي جاء لكي يعين العالم.

ما أقوى هذه العبارات:

"من قِبَل صليب الرب: هبط الجحيم وبَطُلَ الموت، أمواتًا كنا فأقامنا الرب، **وصار لنا استحقاق الحياة الأبدية**، ونلنا فرح الفردوس الأول".

في التحليل: "مزق الرب صك خطايانا".

الساعة التاسعة، طلب الإماتة مع المصلوب:

"يا من ذاق الموت بالجسد .. أمت حواسنا الجسدانية أيها المسيح".

والرب "قتل الموت"، وهي عبارة نجدها في كتاب تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس (٣٠: ٢).

نحن نستحق حكم الموت، لكن قبل ذلك في السطر السابق الرب قتل الموت.

صلوات الأجبية، مستويات متنوعة:

كانت دراسة د. ماجد صبحي. دراسة في كتاب «الأجبية» (مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الثانية، العدد الأول ص ١٥٩-١٧٣ وقبلها دراسة أخرى لنفس الباحث نُشرت أيضًا في السنة الأولى تؤكد:

١- عبور كتاب الأجبية بمراحل تطور تاريخي يعود أصلًا إلى العصر الوسيط.

٢- إضافات حدثت بعد ذلك.

المستوى الأول:

نجد هذا المستوى في صلاة الغروب وصلاة النوم. ففي صلاة الغروب هو خلاص الصديق بالجهد، وهي طلبة خاصة لا يجب أن تنفي نعمة الله. وتذكُّر الإنسان لحالته الحقيقية حسب الطبيعة وليس حسب النعمة، لا يجب أن يؤخذ كمثال للصلاة، ولكن طلب أن يُحسب الإنسان مثل فعلة الحادية عشر حسب المَثَل، هو طلبٌ ليس عن الجهاد أو الأعمال، بل هو طلب الرحمة، وهكذا تأتي الطلبة: "اسرع يا مخلص بفتح الأحضان الأبوية"، وصراخ الابن الضال قد يكون نافعًا للبعض؛ لأن العبارات التالية قد لا تكون تعبيرًا حقيقيًا للكل: "لكل أثم بحرص ونشاط فعلت .. الخ".

وفي صلاة النوم يجب أن ننتبه إلى أن تذكُّر الدينونة لا ينفي نعمة التبني ولا وراثة الملكوت. وأن الرعب من تذكُّر خطايا سابقة هو أمر إيجابي لأننا لن نعود

إلى الماضي، ولذلك تذكُّر الدينونة هام: "لأن العمر المنقضي في الملاهي يستوجب الدينونة"، ويليه طلب التوبة. وأحد مكونات الصلاة هو أن ما في هذا العمر ليس ثابتًا، وهذا العالم ليس أبديًا.

المستوى الثاني:

هو مستوى المتهاون الذي عاش في الدنس، وهو من فقد حياة الشركة، واذا كانت الكلمات: "أنا الشقي المتدنس المتهاون في حياتي ... الخ"، لا ينطبق على كل إنسان، بل على البعض، وبالتالي لا داع لتلاوة هذا الجزء بالذات عند من لا ينطبق عليه هذا الوصف؛ لأن تلاوة كلمات لا تعني شيئًا في الحياة الحقيقية لأي إنسان، هي بمثابة دخول في مجال تواضعٍ مزيَّفٍ ينقل الوعي إلى فقدان التمسك بالنعمة ويقود إلى "صغر القلب"، وهو الشعور بأن الإنسان تافه وحقير، ولذلك يوضَع "صغر القلب" ضمن الخطايا الإرادية التي يذكرها التحليل الكبير: "أيها السيد الرب يسوع المسيح الذي قطع كل رباطات خطايانا ..".

لا يجب أن ننسى أن بقية صلاة النوم: "تفضل يا رب أن تحفظنا في هذا اليوم .."، تؤكد المستوى العام لكل مؤمن: "لتكن رحمتك علينا يا رب لأننا اتكلنا عليك .. يا رب رحمتك دائمة إلى الأبد أعمال يديك يا رب لا ترفضها .."، ثم طلب الرحمة.

ويظهر الرجاء المسيحي في طلب الصفح والغفران في تحليل صلاة النوم، ثم طلب ملاك السلامة ليحرسنا من كل شر ومن كل تجربة بالنعمة والرأفات ومحبة البشر...."

نصف الليل ولقاء النفس بالعريس السمائي:

طلب السهر أو اليقظة له جذورٌ في نسكيات الأسقيط وقد ضاعت الكلمة القبطية اليونانية Nepsis - νήψις أي اليقظة وهي "عيرو" بالآرامية وتعني "الانتباه"؛ لأن الملائكة هم في يقظة دائمة. وطلب السهر "تفهمي يا نفسي

ذلك اليوم الرهيب واستيقظي وأضيئي مصباحك بزيت البهجة". وزيت البهجة هو مسحة الروح القدس الذي ينير القلب لكي يعرف صوت العريس السمائي، وبالتالي لا نُحسب مع العذارى الجاهلات، بل نلقى الرب "بدُهنٍ دسم"، هو مسحة الميرون. والجميل: "لكي ينعم لكِ بعرس مجده الإلهي الحقيقي"، وهو ليس المجد المزيف الذي نطلبه بسبب انعدام الإفراز.

توبة بدموع مثل المرأة الزانية:

في الخدمة الثانية توجد صرخة الخلاص: "اجعلني مستحقًا أن أبل قدميك اللتين أعتقتاني من طريق الضلالة .. إيمانك قد خلَّصك" تأكيد الخلاص هو "الهرب إلى الله محب البشر".

بأعمالي ليس لي خلاص:

الخلاص بالأعمال الصالحة وحدها ليس طريقًا مسيحيًا، والإصرار على طلب الرحمة "ليس رحمة في الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة"، ولكن "اشفق عليَّ أيها المخلص فانك أنت محب البشر وحدك"، هو سبب كل صلاة لمحب البشر.

انتظار يوم الدينونة ووراثة الملكوت:

هو أن نستحق بسبب محبة البشر "أن نسمع ذلك الصوت المملوء فرحًا القائل تعالوا إلى يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم"، لأنك الرب "هو وحده" الرؤوف الطويل الأناة الكثير الرحمة".

لعل ما أساء إلى الأجبية هو اعتبار الأجبية قانون صلاة، وهي ليست كذلك، بل وُضِعَت وعَبَرت بمراحل متعددة، تؤكد الدراسات التاريخية أنها كانت وما تزال خاصة بحياة النسك في الأديرة، ولم تكن في بداية التاريخ الكنيسة خاصة بالعلمانيين. وما ورد عن مواقيت للصلاة في سفر الأعمال هو تاريخيًا خاصّ بصلوات مجامع اليهود. والساعة الثالثة في (أع ٢: ١٥) هي التاسعة صباحًا،

وهي الساعة التي حلَّ فيها الروح القدس على التلاميذ، ولاحظ أن اجتماع الكنيسة حسب (أع ٢: ٤١) كان في الهيكل. حسب مزمور ٥٥: ١٦-١٧ كانت الصلاة ثلاث مرات، ولكن في سفر أخبار الأيام (أخبار الأيام ٢٣: ٣٠) كانت الصلوات العامة مرتين، ويبدو من سفر دانيال أنه كان يصلي ثلاث مرات (٦: ١٠)، وصلاة بطرس في نصف النهار (أع ١٠: ٩) تؤكد استمرار عادة الصلاة في نصف النهار.

ولكن امتزاج الصلاة اليومية حسب ترتيب الأديرة وبالذات الباخومية هو الذي رتَّب الصلوات السبع.

يهمنا أن تؤكد أنه لا توجد شريعة خاصة بالصلاة، سوى اجتماع الكنيسة في يوم الأحد، يوم قيامة الرب وتقديم ذبيحة سر الشكر. هذا ثابت من المصادر التاريخية القديمة (الدفاع الأول للشهيد يوستينوس فصل ٦٧).

قانون المحبة هو شريعة الحياة في المسيح (رو ٢: ٢) وهي أقوى من كل الشرائع.

ختام:

تلك بعض حقائق عن الصراع الذي يدور في دائرة التأويل، والذي اتخذ اشكالًا وصورًا كثيرة، ليس من بينها الصورة التي تتفق والمحبة المسيحية والقانون الكنسي. فقد شهدنا منذ سنواتٍ نمو كتائب إليكترونية ليس للشهادة ونشر الثقافة، بل لتدمير التسليم الكنسي وتشويه سمعة من صاروا أعداء لأن محبة القريب، بل محبة الأعداء غابت تحت أرجل البغضة ونشر الكراهية

هكذا أصبحنا نقلِّد أسوأ مستوى سلوكي في ثقافة الوطن، ومن هنا بالذات بدأ شعار "تعليم الأنبا شنودة"، "تعليم القمص متى المسكين"، وضاع صوت وشهادة تعليم آباء الكنيسة، وزاد الطين بلة أن تؤخذ عبارات من الرسول

بولس، أو بعض الآباء وتُنسَب إلى الأب متى، أو إلى كاتب هذه السطور باسم "تعليم جورج بباوي"، وكان مجرد تقديم ما يقال عن العلامة أوريجينوس يُنسب إليَّ.

هكذا عشنا ولا زلنا نعيش في دائرة تقليد الثقافة الوطنية:

- مصادرة الكتب.
- مطاردة من يختلف معنا في الرأي وهو دائمًا في دائرة التأويل لا في دائرة القراءة الجيدة للنصوص.
- إصدار أحكام القطع وفرز أشخاص مثل د. نظمي لوقا ومنع صلاة الجناز عنه.
- الهجوم الدائم على من نختلف معه وخلق ادعاء عام: "مخالف لتعليم الكنيسة" مثل "أنت عدو نظام الحكم / أنت مخالف لتعليم الكنيسة".

إن ما يطفو على سطح الحياة الكنسية الآن إن هو إلا نفايات ثقافة المطاردة والمنع، وتشويه الآخر هو الصورة القبطية من تكفير الآخر، ليس لأنه كافر وإنما لأن التكفير يخدم جماعات معينة. هكذا تحولنا ثقافيًا عن الإيمان والرجاء والمحبة وكما قال الرسول بولس وأعظم من الإيمان والرجاء، هي المحبة.

ويبقى السؤال: هل مازلنا مسيحيين أم أننا باسم المسيحي تحولنا إلى ذات الصراع السياسي، ولكن باسم المسيح؟

لا حياء ولا هيبة ولا معرفة عند الشامتين[1]

تابعت ما ينشره الذين لم يكونوا قد حصلوا بعد على الثانوية العامة، وقت أن ترهب الشهيد الأنبا أبيفانيوس، وأكتفي بأن أقول لهم إنه لا يمكن أن نبادلهم ما ينشروه من كذب وتدليس؛ لأن النزول إلى ذات المستوى هو تخلٍّ عن الإنسانية التي ننتمي إليها في المسيح بشكل خاص، وينتمي إليها كل البشر الذين أنار كلمة الله حياتهم لأنه "النور الذي ينير كل إنسان".

من يحاكم الأنبا أبيفانيوس لا يعرف أن الاتهام بالانحراف عن الأرثوذكسية بغير دليلٍ موثَّقٍ من كتابات الأسقف الشهيد، هو اتهامُ شخصٍ بلا حياء وبلا هيبة وبلا معرفة، وهو مزيَّفٌ متغرِّبٌ عن معدنه الحقيقي، وينتمي إلى المسيحية بالاسم؛ لأن من لا يعرف كيف يحب الأعداء ويطلب لهم الغفران حسب الصلاة الربانية هو متغربٌ تمامًا عن الله، وبعيد عن المسيح، يقدم الدليل على ذلك بالشماتة والادعاء على الأسقف الشهيد بما لا يمت له بصلة.

لقد خسرنا رجلًا عالمًا أمينًا صادقًا وراهبًا أصيلًا، وخسارتنا فيه لن تعوض. وما نشرُ قائمةِ الأحقاد التي تصدَّرها أسقفُنا الشهيد إلا فزعٌ وخوفٌ من صدق وأمانة عشرين شخصًا بالاسم والصورة حتى يكونوا هدفًا للانتقام بعد أن عجزت مؤسسة مطران دمياط عن الحوار أو المحاكمة، فلم يتبقَ لها إلا الشتم والتحريض وإلقاء الاتهامات على عواهنها.

حفظنا الله من السقوط في هذا الفخ الشرير الذي سقط فيه هؤلاء، فلا نسقط معهم ولا نتدنى إلى ما ابتلوا به أنفسهم من أمراض.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣١ يوليو ٢٠١٨

لعل الآب السماوي يجود عليهم، كما يجود على كل مسيحي حقيقي، بعطية المحبة السماوية، فنحيا مسيحيين حقيقيين بالحياة التي تحيا في نور المحبة الإلهية.

الانفجار من الداخل القادم لا محالة[١]

في حديث الرئيس عبد الفتاح السيسي في ذكرى ثورة ٢٣ يوليو وتخريج دفعة جديدة من الكليات العسكرية، قال: إن الخطر الحقيقي الذي يهدد بلادنا والمنطقة هو تفجير الدول من الداخل ببث الشائعات والقيام بالأعمال الإرهابية والإحساس بالإحباط وفقدان الأمل، ثم أضاف إنه تم نشر ٢١ ألف شائعة في ثلاثة شهور.

لا يختلف الوضع في المجتمع عن الوضع في الكنيسة، فكما يمكن أن يكون هناك خطر كامن يفجر الدول من الداخل، هكذا الأمر في الكنيسة. وكنا قد أشرنا من قبل إلى منع كتاب "أقوال مضيئة"، وشمل قرار المنع كتب الأب متى المسكين، وغيرها.

الانفجار من الداخل آتٍ؛ لأن ذبيحة سر الشكر تحولت إلى سلاح تهديد في يد بعض الآباء الكهنة والأساقفة الذين لا يدركون أن منع الشركة في سر الشكر هو بمثابة حكمٍ بالموت على الذين يعارضون معارضة قانونية في بعض الإجراءات. وهكذا، يكونوا قد حولوا القداس الإلهي إلى قلعةٍ لا يدخلها أحد إلا بموافقة حراس هذه القلعة. لم تعد ذبيحة سر الشكر خاصة بالرب يسوع، يقدمها هو للمرضى لا للأصحاء، يُمنع عنها فقط المرتد بعد محاكمة، أما الاتهام بالهرطقة، فلا يمنع منه إلا بعد محاكمة، وثبوت الاتهام؛ لأن ما يحدث الآن فهو تقديم الاتهام قبل الدليل، وبلا دليل في مواقف معروفة.

لقد سبق أن حُكِم على الأب متى المسكين بالتجريد والشلح من الكهنوت

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٥ أغسطس ٢٠١٨.

والرهبنة لمدة طالت ١٢ سنة دون سبب سوى عدم إطاعة رئيس دير السريان - نيح الله نفسه!!!

وفي المهجر، حيث الزواج المختلط هو الواقع اليومي، شاب قبطي أرثوذكسي نال سر المعمودية في كنيستنا، تم تزوج بزوجة أمريكية في كنيسة إنجيلية، واشترك في سر الشكر طوال خدمة اثنين من الآباء الكهنة، ولكن عندما جاء كاهن من ريف مصر، منعه من التناول!!! يجب أن نحذر من أن الفتوى بأن الزواج المدني هو نوعٌ من الزنى، هي بمثابة حكمٍ عام على كل البشر بالزنى ما عدا الأقباط الأرثوذكس. وقد سبق ونشرنا مقالة في مجلة الهدى بعنوان: "قدسية الزواج عند الكاثوليك والإنجيليين"، وتمت محاكمتي على هذا المقال، ولكن لم يُتخذ ضدي حكم، فلم تصل المحاكمة إلى قرار، ولم تصدر دراسة للرد على ما جاء في المقال.

هناك أمثلة كثيرة لا أريد أن أعرض لها لكي لا تتفاقم المشاكل، ولكن قرار المجمع المسكوني الثاني، ورسالة باسيليوس القانونية الأولى والثانية تقبل كل معمودية باسم الثالوث وتعطي مسحة الميرون؛ لأنها مصالحة مع الكنيسة الجامعة، وهو ما هو سائد في كل بلاد المهجر عند كل الكنائس الأرثوذكسية.

الضغط سوف يؤدي إلى الانفجار، وما هجرة شباب الكنيسة القبطية إلى كنائس الروم والسريان والأرمن وغيرها إلا نزيفٌ دائمٌ، ويكفينا أن في إحدى الكنائس القبطية الأرثوذكسية هجر ١٥٠ شاب وشابة الكنيسة بسبب التعنت والاستبداد وممارسة سلطان الحل والربط في غير موضعه؛ لأنه خاصٌّ بالاعتراف فقط، ويقال جهرًا في القداسات بدون اعتراف على الآباء الكهنة في تحليل الخدام، وبعد صلاة القسمة، وهو خاتمة بخور باكر وعشية. لعل ما حدث مع د. عاطف عزيز والاتهامات الكاذبة التي زُوِّرت في شرائط الكاسيت، وهجرة ١٢ شخص إلى كنائس الروم واختلاق الاشاعات على الأب بيشوي كاهن كنيستنا في

واشنطن وتفتيش بيته أثناء غيابه، وهو أمر مُقرف، ينبه أذهاننا إلى هذا الواقع المؤلم. ويجب أن تسأل ماذا حدث مع الذين ظُلِموا بالكذب في جلسات لم يحاكموا فيها. وحتى كتابة هذه السطور، ماذا كانت التهمة أو التهم الموجَّهة إلى القمص زكريا بطرس؟ وهل الخلاص في لحظة ادعاءٌ حقيقي عندما يكون قياس اللحظة عند الله مختلفًا عن قياسها عند البشر؟

لذلك أُحذِّر من انفجار الداخل الكنسي، لعل في الكنيسة أم الشهداء مَن لم يُصَب بعد بقسوة القلب، وتأصُّل الكراهية؛ فيرعى رعية المسيح بالرحمة والرأفة، لا بالتجبر والتسلط. لأنه لم يحدث تراجُع عن قرار منع كتاب "أقوال مضيئة" وغيره -بغض النظر عن أن الكتاب يوزع بوفرة- في حين أن موجات ضرب الكنيسة بالمبشرين الوافدين من خارج مصر ومن الداخل تخلق كتلًا تعمل بكل قوة على مواقع التواصل الاجتماعي، بغرض التشويش على الأرثوذكسية، والدفاع عن تعليم العصر الوسيط ومقولات الغرب الكاثوليك والانجيلي معًا.

هل هناك مَن يسمع ويشهد بأننا -إن لم ننتبه- نقترب من الانفجار من الداخل الذي أرجو ألا يحدث سواء على مستوى الكنيسة، أم الدولة؟ لقد ضُرب العراق من الداخل، وكذلك سوريا، وسبق أن طالت الحرب الأهلية في لبنان ١٥ عامًا، وفُجِّرت ليبيا من الداخل. والأمل معقود على يقظة رجال القوات المسلحة والشرطة والشعب المصري. والأمل معقود على الشعب القبطي الأصيل المحب لكنيسته أم الشهداء، وعلى الإكليروس الأرثوذكسي الحقيقي الذي هو بمثابة الخميرة التي تخمر العجين كله.

ثبِّت يا ربنا هذه الكرمة التي غرستها يديك.

كبارٌ يفكرون مثل المراهقين[1]

أبغض ما يمكن أن يحدث، أنه عندما يسقط القادة في فخ الكراهية، يعودون الى أيام الصبا التي لم تكن الحكمة من مكوناتها.

قال واحدٌ من قادتنا إن دير الأنبا مقار "خرابة"، في حين أنه لم يَعِش في الدير عندما كان راهبًا، ولا يعرف عنه إلا ما صدر من آلة الإعلام في الأنبا رويس.

وأُذيع حديثٌ لآخر -طاف المسكونة في دقائق- قال فيه إن الأنبا أبيفانيوس كانت له "ميول بروتستانتية". وهذه كلمات زئبقية، تأخذ شكل كل إناء توضع فيه.

"الميول" كلمة مطاطة تحتمل أكثر من معنى، ولا يجوز لأي حكيمٍ أن ينطق بها أولًا بدون دليل، وثانيًا بدون تحديد. لكن الغريب أكثر من استخدام هذه الكلمة، هو أن هذا الادعاء الكاذب قيل بعد أن قُتِل الرجل العالم والراهب الحقيقي الأنبا أبيفانيوس، فأين ذهبت شجاعة القطع بالحق، إن كان حقًا ما تقولون؟

يبدو -أتمنى من كل قلبي- أن يؤول الأمر إلى ما فيه الخير، ذلك أن حلقات هدم الدير بدأت منذ أكثر من أربعين عامًا:

١- كان الأنبا شنودة يقول دائمًا إنه دير أبونا متى المسكين.

٢- أضاف الأنبا بيشوي إلى اسم الدير عبارة "الدير المحروم".

٣- الهجمات التي لم تتوقف، والتطاول على مؤلفات الأب متى المسكين، الذي دام زهاء ٣٠ عام وأكثر، وهي تلك الهجمات وذلك التطاول الذي

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣ سبتمبر ٢٠١٨.

طُبعَ فيما بعد في كتاب "بدع حديثة".

٤- بعد أن رحل الأب متى المسكين إلى الله، فرض الأنبا شنودة الثالث رهبانًا، كان الأنبا أرميا يرسل لهم اسبوعيًا أتوبيس لحضور محاضرة الأنبا شنودة.

وأخيرًا: أُغتيل رئيس الدير، وأصبح الدير موضوعًا يلعب به المراهقون والمشاغبون.

ألا حفظ اللهُ مصر، وأرض مصر، وكنيسة مصر من تصرفات قادة عادوا إلى مراهقتهم، فحشدوا الادعاءات، ظانين أن الشعب الذي علموه الاستكانة، سوف يظل على وداعة الحملان، فلا ينتفض مستدعيًا الأسد الكامن، العلامة التي تميِّز الرسول مرقس مؤسس كنيسة مصر. وليعلموا حين ذاك، أنه لا بقاء للمشاغبين.

المجد لمن تعلّمنا منه الرجولة والشهادة، يسوع المسيح ربنا.

القديس الأنبا أنطونيوس الكبير، عدو الشيطان[١]

عندما انتشرت المديحة التي صاغها الأنبا شنودة الثالث عن القديس أنطونيوس الكبير أب الرهبان، وذكر فيها أنه تواضع "للشياطين"، اعترض عليها الراهب دانيال البراموسي، فجُرِّدَ وطُرِدَ وضاع قسم كبير من خدمته؛ لأنه ذكر حقيقة صراع الأنبا أنطونيوس مع الشياطين، لأن الأنبا أنطونيوس، على عكس ما ورد في المديحة، لم يتواضع أمامهم، بل كما جاء في سيرته بقلم الرسولي أثناسيوس: "لمَّا رأى الشيطان أنه ضعيفٌ أمام غيرة أنطونيوس (فقرة ٥)، ظهر له في الخيال كعبد أسود .. أما أنطونيوس فشكر الرب وواجه الشيطان بشجاعة قائلًا: أنت تستحق كل احتقار .. وعندما سمع ذلك المظلم هرب للوقت بأصوات مخنوقة (فقرة ٦). وعندما سكن أنطونيوس في منطقة القبور (فقرة ٨) دنا منه الشيطان وضربه كثيرًا حتى أنه سقط على الأرض .. وبعد هذه التجربة المؤلمة عاد أنطونيوس وقال: "إنني لن أهرب من جراحاتكم .." (فقرة ٩). وبعد أن ظهرت الشياطين بشكل حيوانات متوحشة، قال وهو يهزأ بالشياطين: "لو كنتم تملكون أيه قوة، يكفي أن يأتي حيوان واحد منكم (فقرة ١٠)، بل في الفقرة التالية يقول أنطونيوس: "إن كنتم ذوي قدرة أو حصلتم على قوة ضدي، فلا تتأخروا في الهجوم عليَّ".

وقال عبارةً يجب أن تدوَّن على صخرةٍ، لا على الورق فقط: "الشياطين تخلقُ رؤىً للجبناء. لذلك ارشموا إشارة الصليب" (فقرة ١٣)، كما طلب أنطونيوس من سامعيه الحصول من الروح القدس على موهبة تمييز الأرواح، وكيف يُطرَد ويُهزَم (فقرة ٢٢). وقال أنطونيوس إن الشياطين قالت للرب يسوع نفسه

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١ فبراير ٢٠١٩.

الحقيقة: "إنك أنت هو ابن الله" (لوقا ٤ : ٤١)، أما الرب يسوع "فهو أغلق أفواهها وأعاقها عن الكلام حتى لا تزرع الشر مع الحق" (فقرة ٢٦). ويقول أنطونيوس إنه عندما جاء التجسد "بسكنى الرب بيننا، سقط العدو وضعفت شياطينه وأصبح عاجزًا عن تحقيق أي شيء"؛ لأن طغيان الشيطان هو أجوف، ولذلك يطلب أنطونيوس "احتقار الشياطين" (فقرة ٢٨)؛ لأنه يستخدم الخيالات (فقرة ٢٨)، لأن الشيطان ضعيف وغير قادر على أي شيء (فقرة ٢٩).

أمَّا ما هو جديرٌ بالإعجاب في حياة القديس أنطونيوس أنه "ظهر مرةً شيطانٌ طويل القامة جدًا بعظمة وتجرَّأ على القول: أنا هو قوة الله. أنا هو العناية الإلهية، ماذا تريد أن أعطيك؟ أما أنا فذكرتُ اسم المسيح محاولًا لطمه .." (فقرة ٤٠) (أنطونيوس الكبير منشورات النور سنة ١٩٩٥).

ولذلك، أرجو تغيير هذه الفقرة إلى:

- يا برج عالي وحصين
- يا مثال المجاهدين
- ومقاوم الشياطين

لأنه لا تواضُع أمام العدو، وإلا فإننا بذلك ننكر قوة الرب الذي هزم الشيطان في البرية وفي خدمته، ولو كان الرب يسوع قد تواضع أمام الشيطان لجاز لنا نحن أن نتواضع.

إن إصلاح خطأٍ ما، مهما كان، هو طريق كل مسيحي.

وكل عام وأنتم بخير بمناسبة عيد نياحة أب جميع الرهبان، أبونا القديس أنطونيوس الكبير.

التكفير والحرمان من السماء[1]

أجد نفسي مرغمًا على الكتابة، وأن أدخل عش الدبابير بكتابة هذه السطور التي تمس جانبًا حرجًا في ثقافة العنف التي تسود الشرق الأوسط، لا مصر فقط.

قتلُ إمام مسجد أثناء الصلاة لا يُرعِب أحدًا سوى الجبناء. وهجوم الأساقفة على من يعارضهم بإشهار سيف الحرمان لا يُخيف إلَّا الجهلاء، وما أكثر أولئك وهؤلاء في كل مجتمع.

حسب تعليم الرسل "الدسقولية"، حكم الحرمان يجب أن يصدر في محاكمة عادلة من مجمع، لا من شخصٍ واحدٍ مهما كان، فإن خالف الحكم أحد هذين الشرطين كان هو والعدم سواء. ولكن استلاب هذا الحق، حوَّل بعض الذين يسعون إلى فرض زعاماتهم على شعبنا إلى طغاة يتجنب أن يسألهم أحد عما يفعلون خوفًا من سيف الحرمان، فزادهم الأمر طغيانًا على طغيان.

لا أجد خوفًا أفظع من هذا الخوف، أن يصبح رجل الدين إلهًا حاكمًا بحسب ما يراه. واستمرارًا لمنهج الاستلاب هذا، انتزع بعض الأساقفة في الفترة الأخيرة -سواء في مصر أو في المهجر- حكم الله وصاروا هم الله، ومن يتجاسر على معارضتهم يصير محرومًا على الأرض ومن السماء أيضًا، دون أن يدروا أن الحرمان دخانٌ كثيفٌ أسود يجرد المحروم من العلاقات الاجتماعية وما أكثرها.

متى يتوقف هذا الإرهاب الفكري الذي يريد للعقول أن تدخل "معتقل الخوف"؟ بالنسبة لي لم أجد أمامي إلا القضاء المدني لأن القضاء الكنسي غائبٌ ولا وجود له منذ استئناس المجلس الملي وإفشاله، وعجز مجمع الأساقفة عن مواجهة التطرف بحزم.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٩ ابريل ٢٠١٩.

لا شك أن الأيادي الخفية التي تحرك بعض الفضائيات، معروفة، وما يُدفع من أموال ومن يدفعون أيضًا لاستمرار هذه الفضائيات في نشر الأحقاد والكراهية ضد هذا أو ذاك، هم أيضًا معروفون، فالجهد المبذول ليس جهد شخصٍ واحد، بل هناك مجموعة منظمة تستهدف القضاء على كل بارقة أمل ليبقى عنق الكل تحت نير من يظنون أنفسهم يتكلمون باسم الله. وفي كل مناسبة يبرز اسم القمص متى المسكين، وأحيانًا كاتب هذه السطور، وانضم مؤخرًا الراحل الكريم الأنبا أبيفانيوس الذي قضى غيلةً في ديره. ويكفي ما نال قداسة البابا تواضروس على هذه الفضائيات والصفحات المدفوعة من إمعان في الإهانة والادعاء عليه بما لم يصدر عنه من أنه يدعو للاطائفية، وبالتالي مصادرته في كل مناسبة تكون فيها الكنيسة القبطية حاضرة، وهو افتئاتٌ وادعاءٌ غريبٌ عليه، إذ لم نسمع أو نقرأ هذا التعبير في أي خطاب لقداسته، وكأن كنيسة مصر مطلوب منها أن تتقوقع على ذاتها وتقطع كل علاقة لها مع الكنائس الأخرى حتى يُحاصَر وجودنا في وادي النيل ونفقد رسالتنا إلى العالم.

إن الحوار مع الآخرين لا يعني الاستسلام، بل هناك القبول أو الرفض المسيحي في وداعة وفي محبة، لأن حتى محبة الأعداء لا تعني أن أُسلِّم ما لديَّ للعدو، بل أن أرفض العداوة، علَّ العدو يستيقظ من سكرة البغضة.

اللهم ارحم مصر وارحم كنيستك من الجهلاء وأيقظهم من بغضتهم البغيضة.

الأبحاث والحوار طريق المستقبل[1]

توقَّفَت دراسة أستاذنا الجليل والشريف د. وهيب عطالله عند القديس أغسطينوس في موضوع الخطية الأصلية، وهو أحد مكونات رد أغسطينوس على بدعة بيلاجيوس.

ولكل دراسة مجال زمني تقف عنده، ولكن ملف التاريخ مفتوح لا يمكن لأحد أن يغلقه، فقد امتد البحث في موضوع الخطية الأصلية في مجلد الأستاذ السابق:

N.P. Williams: The Ideas the Fall and Original Sin.

وهي محاضرات جامعة أكسفورد ونُشِرَت عام ١٩٢٤. ولم تتوقف عجلة البحث. الأكاديميات تكتب للمستقبل. وتصحيح الأخطاء لا يصاحبه تهديد بالحرمان أو القطع من شركة الكنيسة، وإنما بنشر ما لم يُنشَر، وما توقف عنده البحث في فترة زمانية محددة.

في مناخ الحرية الفكرية تنشط الدوريات، وتظهر الكتب الدراسية لكي يتولى مراجعتها وإصلاحها الجيل الذي درس هذه الكتب ووجد فيها من القصور ما يستوجب الإصلاح، وهكذا اختفت مؤلفات بولتمان، وأصبح البحث عن يسوع التاريخ هو ما يكشف عن رؤية الباحث وحدودها.

كما غاب هرناك من قوائم الكتب الدراسية دون شتائم أو اتهامات، وقام كولمان Callmann وفي نفس الفترة الزمانية يواقيم جيرمياس بمراجعة ما صدر من دراسات، وجاءت أكبر حركة مراجعة مع بداية القرن العشرين ولازالت.

طبعًا غاب من الفكر الأوربي برمته تراث الأرثوذكسية الذي برز دوره عندما

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ يونيو ٢٠١٩.

بدأ الروس المهاجرون في نشر ما تؤمن به الكنيسة الأرثوذكسية عبر تاريخها الطويل، وأيضًا ما صدر عن جامعات اليونان بعد أن تحررت من توما الإكويني ومن سيادة لاهوت العصر الوسيط، في الفترة التي أطلق عليها المطران يوحنا زيزيولاس: "السبي البابلي". وكان نشاط المهاجرين واليونانيين هو أيضًا صعب القبول في اليونان عند الذين عاشوا فترة السبي البابلي واستفاقوا على ربيع عودة صوت الآباء.

وجاءت مؤلفات اليونانيين التي نُشِرت بالفرنسية والألمانية والإنجليزية مثل يناراس ونوسيتوس وأغوريدس وعدد كبير من جيلٍ عاد إلى الآباء بعزمٍ ومثابرة، وتغيَّرت الصورة تمامًا، ولكن بفضل تعب الباحثين.

العوامل الأساسية للنهضة:

١- حرية الباحث وإمكانية الرد في الدوريات أو الكتب.

٢- تشجيع الباحثين، وهذا لا ينفي وجود مضايقات، ولكنها كانت محدودة بالقانون والمراجع التاريخية، فلم يُقطَع أو يُفرَز أي باحث.

كان سيف الاتهام بالهرطقة الذي أمسك به الأنبا شنودة الثالث موجَّهًا إلى الأب متى المسكين، وسُجِّلت محاضرات لاتزال على اليوتيوب عن هرطقات القمص متى المسكين، ثم امتد السيف نفسه إلى الأنبا غريغوريوس، وهو ما سجَّله بيده في خطابات نُشِر أغلبها. وكل من اختلف مع الأنبا شنودة مُنِعَت عنه صلاة الجناز بعد موته مثل د. نظمي لوقا والأستاذ موسى صبري، في حين أن منع صلاة الجناز هو عن المرتدين والمنتحرين فقط.

وقد شملني أنا ذات الاتهام والتهديد بمنع الصلاة عليَّ بعد موتي. وقلت للأنبا شنودة إنني حضرت الجناز العام الذي يُقام بعد قداس أحد الشعانين على الأقل ٢٠ مرة، وواحدة منها تكفي، وقلت له إن أسلوب التهديد لا يحل أي مشكلة.

الآثار البعيدة المدى:

١- ليست العبرة في مصطلح الخطية الأصلية أو المعصية الأولى أو غيرهما من كلمات، بل في وضع ذنب لم يكن لنا نحن ذرية آدم أي دورٍ فيه بالمرة. وراثة ذنب آدم وليس فقط الخطية. واعتبار أن الخطية الأصلية وراثية وتنتقل في الزيجة، وكأن سر الزيجة وكل ما كُتِبَ عنه لم ينزع عن العلاقات الزوجية عار ذنب آدم. هذا دمار لكل مولود. في حين أن الرب نزع نجاسة الموت وأباد قوة الجحيم. ولا شك أن نسيان هذا العمل الإلهي العظيم يطوح بالإيمان في بئر مظلم. ولكن نشط الباحث الفرنسي Jean Delumeau في نشر الآثار التي أدى إليها التعليم بوراثة الخطية في الثقافة الأوربية من القرن ١٣ حتى القرن ١٨ في كتاب Sin and Fear.

عندما نولد مذنبين، وهو الجانب السلبي المدمِّر الذي يحمله التعليم بالخطية الأصلية، فإننا لن نعيش في سلام، وسوف نتهم أصل وجودنا بأنه هو السبب في الفشل والاستعباد للخطية.

بعد مجمع الفاتيكان الثاني نشط المؤرخون الكاثوليك وحاصر بعضهم الخطية الأصلية بفقدان نعمة الصورة ونعمة سُكنى الروح القدس، ولا تزال الأبحاث تُنشَر كل عام عن القديس أغسطينوس.

أما عندنا، فالسؤال الحرج، ماذا فعلنا بالدارسين؟ وهم يعيشون تحت حزام الفقر. إن مَن ينفق الملايين على بناء الكنائس وليس لديه ميزانية للتعليم هو من يجلس على ملفات الماضي، وكأن الحاضر والمستقبل هو فقط ما يراه من فتحة بئر مظلم يقبع فيه.

البدلية العقابية تضرب وتدمر رشم الصليب. وكلمات التعميد التي تقال عند رشم الصليب: "باسم الآب والابن والروح القدس" تؤكد لنا أن الصليب هو استعلان محبة الثالوث لنا لأن "الله محبة"، والمحبة هنا ليست صفة من

صفات الله، ولكنها جوهره حسبما قال الرب نفسه: "لهذا يحبني الآب لأنني أضع نفسي لآخذها أيضًا" (يو ١٠: ١٧). وعندما يتحول صليب الرب إلى قانون أو شريعة، فلا مجال بعد ذلك لأي حديثٍ عن محبة اله.

يا ليتنا ننظر إلى المستقبل، وندرس ونخطط لما سيكون عليه هذا المستقبل.

سلطان السيد وخوف العبيد[١]

لم أتوقع من الأنبا بنيامين مطران المنوفية، إلا لغة ومفردات السلطان في مواجهة مع العبيد، أي مع الشعب الذي يأكل المطران من عرقه، ومع ذلك فقد جعل من نفسه، ليس الخادم الذي غسل أرجل تلاميذه، بل السيد الذي يكتب منشورًا يحمل كمًّا من الأوامر والنواهي تتناول مناسباتٍ عزيزة لا تحدث كل أسبوع، بل مرةً في العمر! لأننا نتزوج مرةً واحدةً في حياتنا، فكيف سمح لنفسه أن يحمل سوط التخويف متمثلاً في إلغاء تصريح الزواج؟ من الذي أعطاه هذا السلطان، سوى انحناء رقاب العبيد في مذلة الاستعطاف؟

الكنيسة لا تملك أن تمنح أو ترفض الزواج الذي يتم حسب تعليم المسيح، ولا أريد أن أقول حسب شريعة المسيح لأن المسيح لم يقدم لنا شريعةً، والعبارة التي تقال في الصلوات: "مشرع شريعة الكمال ...."، تعود إلى العصر الوسيط، ولا وجود لها في النص القبطي.

الارتباط بين رجلٍ وامرأة هو عقد محبة لا عقد شريعة، ولكننا أخذنا ذات الصورة الموجودة في المجتمع عندما يأتي المأذون ليعقد عقد الزواج، وكان الذي وضع هذه الصورة العامة هو الحكم العثماني عندما كانت مصر ولايةً عثمانية.

أما عندما كانت مصر ولايةً في الإمبراطورية الرومانية، فكان عقد الزواج هو ما نطلق عليه في العصر الحديث، عقدًا مدنيًّا، وهو ما نقلناه عن القانون الفرنسي.

---

١ مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٢ نوفمبر ٢٠١٩.

الموضوع أصبح يحتاج إلى وقفةٍ قانونية على أساس أن الكنيسة ليست دولة داخل الدولة، وبالتالي فإن مثل هذه الفرمانات تعد بمثابة اعتداء على الحريات الفردية التي يحميها الدستور والقانون، وأن الاستسلام لأي "فرمان" يتعرض للحريات المنظمة بالقانون، يصدره أيًّا من كان من الإكليروس، إنما يؤكد على مخالفة صارخة للدستور والقانون، وعلى جود نظام السيد الذي يحكم حياة العبيد، وهو النظام الذي أصبح وجوده في العصر الحديث بمثابة جريمة تستوجب العقاب.

لا أدري بأي سلطان يمكن لأي مطران أو أسقف أن يمنع "تصريح زواج"، إلا إذا كانت النية هي الحصول على مبالغ مالية سمعنا عنها ولم توثق، نتيجة خوف العبيد من المواجهة مع سيدهم.

لعل اللجوء إلى القنوات القانونية المصرية هو الباب الذي يجد فيه العبيد مخرجًا، وحتى يحد القانون من الافتئات عليه باسم سلطان كنسي مزعوم وزائف ولا أساس له من القانون الكنسي في مسألة محددة، وهي حق الزواج الذي هو ناموس الله الخالق قبل أن يكون حسب قانون البشر.

أزمة وجود قبل أن تكون مشكلة أخلاقية[1]

أتابع من هنا -أرض المهجر- ما ينشر في مصر، وأرى أن مصابيح كثيرةً أنارت حقبةً من تاريخنا؛ دراسات وتراجم ومؤلفات صارت مثل نهرٍ يتدفق بالحياة هي أنوار الجيل المعاصر والآتي. ويبدو أن ذلك أقلق من اعتاد التقوُّت على الفتات الساقط من مائدة أسيادهم، دونما فحصٍ أو مراجعة، فقد اعتقدوا أن في ذلك سلامهم وسلامتهم!

وهكذا تكشف أفعالهم عن شرخٍ هائل أصاب وجودهم، فهم فئة ترفض الحياة، وتكتفي بالصراخ بكل ما لديها من كراهيةٍ حمقاء: تعليم مخالف – هرطقة. وكنا قد قلنا منذ ثلاثين عامًا إن عبارة "الله موجود، أو ربنا موجود" عبارة خاطئة لاهوتيًّا، رغم تواترها في الثقافة الشعبية، ليس فقط لأن لفظة "موجود" هي اسم مفعول، **بل لأن الوجود هو لنا والكينونة هي لله: الله خالق، وكل ما عداه مخلوقٌ/موجود**. ولكن يبدو أن ترجمة فانديك صارت قرآن المتخلفين عقليًّا الذين يعجزون عن قراءة أسفار الكتاب المقدس بلغة الكنيسة؛ اللغة القبطية. وهو عجزٌ جعل هؤلاء المشاغبين الذين يدفعهم ويدفع لهم مطرانٌ هو بدوره لم ينل أي تعلم لاهوتي ولا يعرف التاريخ ولم يدرس الأسفار بلغتها الأصلية ولا مرجعية له إلا العمامة التي يسندها الميكروفون، أقول إن هذا العجز جعل هؤلاء بدورهم يتهمون غيرهم بغير علم ولا سند إلا وسائل التواصل الاجتماعي التي تتيح لهم الطنطنة بغير ضابط ولا رابط.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٠ ديسمبر ٢٠١٩.

ولذلك تجدهم يستندون إلى نص العبرانيين الوارد في ترجمة فانديك باللغة العربية في إثبات صحة العبارة المشار إليها بعاليه، وهو نصٌّ لا علاقة له بالأصل، وهو ما يتضح من خلال النص القبطي، لغة مصر والكنيسة أم الشهداء:

Ⲁⲧϭⲛⲉ ⲛⲁϩϯ ⲇⲉ ⲙ̄ⲙⲟⲛ ϣ̀ϫⲟⲙ ⲉ̀ⲣⲁⲛⲁϥ ⲥ̀ϣⲉ ⲅⲁⲣ ⲛ̀ⲧⲉϥⲛⲁϩϯ
ⲛ̀ϫⲉ ⲫⲏ ⲉⲑⲛⲏⲟⲩ ϩⲁ Ⲫϯ.

والترجمة العربية الصحيحة هي: "يؤمن بأنه كائن: He is"، وليس موجود.

أقول إن ما نمر به هو أزمة وجود، لأن واعظًا مشهورًا وأسقفًا عامًا يقسِّم شعب الكنيسة إلى "هم ونحن"، ويدس كلاهما ما شاءا من تدليس.

تسفر هذه الأزمة عن وجهها في أن فئةً تريد أن تعيش على أحداث ومقالات السنوات الماضية، وتقطع نفسها ليس فقط من النسيج القبطي، بل ومن النسيج الوطني أيضًا. ينفقون الأموال على التماثيل، وكأن توحيد شعب مصر ولا أقول الأقباط فقط هو تراث ماضٍ لا علاقة له بالواقع. ينبشون قبور الموتى لنوال البركة ولا ينشرون ما تركه هؤلاء من تعليم عن الحياة. لا ينفقون شيئًا لطبع تراثنا ويشيدون القبور بسخاء غريب.

هي أزمة وجود تتبدى في تكوين جماعات مسلحة بالكراهية والجهل والكذب والهجوم على الباحثين. وقد اغتصب هؤلاء الكذبة شرعية القضاء وأصدروا الأحكام الغيابية في مقالاتهم ومن وراء الميكروفونات.

يذكِّرني ذلك بدراسات الكاتب فرانز فانون الطبيب الذي عاصر الثورة الجزائرية ورأى كيف تحولت كراهية المستعمر إلى كراهية الجزائري للجزائري. وكان هؤلاء الذين سقطوا تحت الخوف من الآخر قد تحول خوفهم إلى كراهية وإلى الوجود الدفاعي الذي فقد الانتماء والغاية.

أزمتهم ليست أزمة أخلاقية، بل هي أزمة وجود، لأن تأخر قيام الدولة المدنية، ووقوع حوادث الإرهاب وقتل الأبرياء من المصريين صارت كما رأى

فرانز فانون، هي العنف المقدس الذي يدفع الخائف والمُضطهَد إلى أقصى درجات العنف. ولعل اغتيال الأنبا أبيفانيوس يذكِّرنا بأن الذين صار وجودهم في الصدارة مهددًا يحاولون شق الصفوف علَّهم يحافظون على صدارةٍ هم فيها البارزون.

كيف تصوغ الثقافة الشعبية المصرية حوارًا؟[١]

أتابعُ ما يُكتب وما يقال بشأن موضوع الخطية الأصلية، وأرى أن الكثير مما كُتب وما قيل هو أقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل من انحدار، إذا بدأ الكاتب بالشك في صحة ترجمةٍ أو ترجماتٍ ما بحجة أن أصلها اليوناني ضاع، مع أن الأصل الآرامي لإنجيل متى قد ضاع. وكأن الحقيقة لا يمكن بيانها وشرحها بعدة لغات!!!

الحقيقةُ لا تُؤخَذ من الترجمة وحدها، بل لدينا ملفٌ كبير اسمه التاريخ. وقديمًا كتب الجرجاني مؤكدًا ما سبق أن دوَّنه أرسطو: "الاسم والفعل يدلان على الحقيقة"، وبالتالي فإن غياب الاسم وكذلك غياب الفعل يعني أنه لا توجد حقيقة يمكن مناقشتها. غاب الاسم "خطية أصلية"، وغاب الفعل الدال على وراثة الخطية من مدونات الأرثوذكسية، وبالتالي لا يمكن مناقشة الموضوع في إطار التعليم الأرثوذكسي.

ومن التاريخ نعرف أن وراثة الخطية هو تعليم ماني ومدارس الغنوصية، وبالتالي فإن أرسطو والجرجاني إذا كانا قد سمعا أو قرآ ما دوِّن تحت عنوان الخطية الأصلية التي تنتقل بالوراثة في الزواج لقال كلاهما معًا أو على انفراد إن المدرسة التي ينتمي إليها صاحب هذا القول هي مدرسة ماني. ولما كانت الوراثة هي جانب من جوانب الحياة التي خلقها الله، عندئذٍ يصبح الله هو خالق الشر، لأنه خلق الإنسان الذي سوف يتكاثر ويحمل في طبع خلقته بذرة اسمها الخطية!

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٢ فبراير ٢٠٢٠.

ونعود إلى الجرجاني، أول من شرح لنا "طبيعة الأسماء"، إذ يقول إن لكل فعل فاعل، وإن معرفة اسم الفاعل تحدد لنا المراد من الفعل، ولأن الاسم هو "الخطية الأصلية"، والفاعل هو "آدم"، فكيف نقل آدم فعله إلى غيره؟ ما هي الصلة الحقيقية بين آدم وأولاد آدم؟

إذا كان الإنسان الأول مخلوقٌ من العدم، فلا خلود له بالمرة، بل هو مائت (تجسد الكلمة ٤: ٦). والفساد ليس فساداً أخلاقيًا، بل كيانيًّا: "أفكارهم قادتهم إلى الفساد" (تجسد الكلمة ٤: ٤). وحالة الفساد شُرِحَت بكفاية في الفصل الرابع من كتاب تجسد الكلمة: "عدم الفساد هو أن يعيش كالله" (تجسد الكلمة ٤: ٦). وسيادة الفساد هي سيادة الموت. "وبسبب أن الكلمة سكن فيهم فإن فسادهم الطبيعي (الموت) لم يمسَّهم"، ولكن تحول الإنسان من صورة الله إلى صورته الذاتية، أي إلى العدم أو الموت، وهو ما جعل للفساد سيادة على كل البشر أقوى من سيادته الطبيعية ... (تجسد الكلمة ٥: ٢).

ونحن نعبِّر عن ذات التعليم في القداس الإلهي: "الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس، هدمته".

الفساد هو تحول تحلل كيان الإنسان من تحلل طبيعي يعود إلى خلق الإنسان من العدم إلى تحللٍ سريعٍ وقاسٍ بسبب العصيان.

وهو ما دعا أثناسيوس إلى رفض فكرة التوبة، لأن التوبة لا تقدر أن تعيد الإنسان إلى ما كان عليه، أي "صورة الله الكائن"، لذا كان المحور الأساسي هو الموت وتجديد الإنسان من الموت إلى عدم الموت، أو من الفساد إلى عدم الفساد. **وتم التجديد بالمسيح الذي نقل بداية الوجود الإنساني من آدم إلى ذاته** حسب قول الرسول: "كما في آدم يموت الجميع، هكذا سيُحيا الجميع في المسيح يسوع" (١ كور ١٥: ٢٢).

الثقافة الشعبية:

١- يسود في الثقافة الشعبية الخلط بين الفساد الطبيعي، أي تحلل الكيان الإنساني وعودته إلى تراب، والفساد الأخلاقي: الزنى – القتل – الكذب ...إلخ

٢- إصرار الثقافة الشعبية على العقوبة هو وضع مهين وغريب، لأن المسيح أباد الموت، أي فناء الإنسان، وأعطى الإنسان القيامة. أما الخطية فهي ليست محور شرح تجسد الرب، بل هو الموت الذي فقد سلطانه (تجسد الكلمة ٨: ٤). لقد أُبيد الموت بالموت، لأن الموت لم يكن موت يسوع، بل موتنا نحن (تجسد الكلمة ٢٢: ٣).

هيكل الحياة:

(تجسد الكلمة ٣١: ٤، ٤٤: ٥، ٤٥: ١، ٥٤: ٣)

هذا العنوان مأخوذٌ من الفصول المشار إليها بعاليه. وواضح أن الذي جاء بالحياة، وُلِدَ مثلنا بلا خطية، وهم ما يعني بلا ثنائية معرفة الخير والشر. فقد أخذ جسدنا من مريم والدة الإله، فنقل إليه وجودنا.

البحث في التكوين الخلقي للرب هو عبث، لأن القدوس أخذ جسدًا قابلًا للموت، وهو تعبير متكرر عند أبينا القديس أثناسيوس (تجسد الكلمة ٩: ١)، والرب لم يخطئ لأنه لم يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، بل كان واحدًا بالإرادة والجوهر مع الآب، وواحدًا معنا حسب الطبع الواحد الذي يجمعنا معًا.

شوشرة الثقافة الشعبية:

١- تسود الثقافة الشعبية عند حاملي الشعور بالذنب، أما إذا نظرنا إلى التحول الذي جاء به الرب يسوع، نجد أنه تحول كياني يجعل الإنسان أمينا وشريفًا ومقدسًا لأنه صار حقًا صورة الله.

٢- يسود في الثقافة الشعبية استعمال كلمة عقوبة، بغرض زرع الخوف،

في حين أن كلمة "عقوبة" لم ترد في سفر التكوين ص ٣، بل قال الله لآدم، ثم حواء، ثم الحية. كما أن العقوبات المترتبة على مخالفة الشريعة الموسوية، فهي عقوبات من أجل تنظيم الحياة الاجتماعية حتى لا ينتشر الشر.

وفي حين أن الرب يسوع أباد الموت وقتله، نجد أن الموت -عند فريق حامي الشعور بالذنب- هو الذي قتل يسوع وأباده، وهو تجديف.

وقد أكد القديس أثناسيوس إن كلمة الله الذي بدون جسد قد لبس الجسد لكي لا يعود الموت والفساد يُرهِب الجسد، لأنه قد لبس الحياة كثوب، وهكذا أُبيد منع الفساد (الموت) الذي كان فيه (تجسد الكلمة ٢٤: ٨)، فالرب أحيا ما كان مائتًا عندما قابل الموت على الصليب.

العدمية Nihilism
في الفكر الكنسي المعاصر[1]

للكاتب Ronald Nash عبارة جديرةٌ بالذكر يقول فيها: "العدمية هي إنكار كل المبادئ، وإبادتها تمامًا والإبقاء على حطام ما كان موجودًا بدون تقديم أي بنيةٍ".

وما كنت أظن في نفسي أنني سأكتب مقالًا عن تيار العدمية السائد في الفكر الكنسي المعاصر، خصوصًا وأن نموذج الحياة والتعليم لدينا هو شخص الرب يسوع المسيح الذي قال وحده دون سائر البشر: "أنا هو الحياة"، و"أنا هو الحق، وتعرفون الحق والحق يحرركم".

لكن استرعي انتباهي تلك العدمية التي تسللت إلى خطاب الشتامين الذين أهملوا النقد الكتابي واللاهوتي والقانوني والرد التاريخي على ما ساد طوال ٤٠ عامًا هي فترة رئاسة الأنبا شنودة، واتجهوا فقط إلى الهجوم على شخصي بكل الألفاظ الجارحة التي لا رَدَّ لائقًا عليها إلَّا اللجوء إلى محكمة الجنايات. ولكنني مسيحيٌّ ولن أكون إلَّا مسيحيًّا يغفر الإساءة مهما بلغت. ولذلك كان عليَّ أن أترك الجانب الشخصي وتجنب السقوط في إغراء الرد على تفاهات ونفايات عقولٍ لا تعرف إلا الكراهية ونشر الأحقاد.، فهم **أولا** لا يقدمون أفكارًا تستند إلى أساس تاريخيٍ، فالتاريخ الكنسي لديهم مجهولٌ وغير معروف، وبالرغم من ذلك يرفضون العودة إلى التاريخ، وهو ما يعني الاستمرار في ذات التوجه العدمي. **وثانيًا:** يتجاهلون ١٦٠٠ سنة من حياة أُم الشهداء، وكأن ما حدث

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٩ فبراير ٢٠٢٠.

وما أُسِّس طوال هذه الفترة لا وجود له، فقد اكتفوا بفترة رئاسة الأنبا شنودة الثالث التي اعتبروها كل شيء!! وأنكروا كل ما يُنشَر بدعوى أنه مترجم عن مصادر غربية، دون أن يحددوا هذه المصادر، وهو أيضًا نوعٌ من بث العدمية في الثقافة القبطية المعاصرة، لأن حذف ١٦٠٠ سنة من عمر أُم الشهداء يقطع بالجهل وعدم الإدراك. وأكبر دليل على ذلك أن فترة رئاسة الأنبا شنودة الثالث وحتى نياحته، بل وما بعد نياحته أيضًا، هي فترة تؤرِّخ بكل أمانة لتحوَّل شرحُ العقائد إلى عقائد، وبالتالي تجريم ومطاردة كل من يقدم تأويلًا مختلفًا.

ثقافة الاختلاف:

الاختلافُ حقيقةٌ بيولوجية نراها في بصمات الأصابع وفي الحمض النووي للخلية. ولكن الحياة الفكرية التي تسود فيها العدمية، يسود فيها إنكار الآخر وذلك بإنكار رأيه ومطاردته وتشويه صورته ووصف ما أنتجه بأحط الأوصاف، وهو تعبير عن النرجسية الطاغية والجهل المطبق.

ولأن مصطلحات إلغاء الآخر تختلف من عصر إلى عصر، فقد أصبحت الهرطقة والكفر هي التعبيرات المعاصرة لهذا الإلغاء. فإذا لم تنل الاتهامات بالهرطقة أو الكفر من قلب الآخر وكبده، فالاتهامات السياسية جاهزة عن طريق استعداء ما يُعرف باسم "شركاء الوطن"، وهو تعبير سياسي يمكن أن يغطي أي اتهام ممكن وغير ممكن.

وغير خافٍ ما يحدث من إلغاء للآخر عن طريق فرض الرقابة على دور النشر، وتحريم عرض المؤلفات في معارض الكتب، ولنا في تحريم عرض كتب الأب متى المسكين، وكتاب أقوال مضيئة لآباء الكنيسة، في معرض الكتب القبطية نموذجًا دالًا.

التطهُّر من العدمية:

غير أن إشاعة ثقافة الحوار وثقافة قبول الآخر، أي ثقافة الاختلاف، وبالتالي التطهر من العدمية لا يمكن أن تنشأ بقرار أو سلطة، بل يجب أن يكون ذلك هو توجُّه المجتمع ككل. لأن الخطاب عن الفكر الديني صار معتقلًا في أروقة الذين ينادون بالتقليد، أي جمود الفكر، رغم أن التقليد هو تعبير لغوي مرفوض، لأن الكلمة الصادمة هي التسليم الكنسي.

وبالتالي فإن ثقافة الاختلاف لا يمكن أن يكون لها أساس ديني، لأن ما هو سائد هو الثوابت، وهكذا كانت معارك الأب متى المسكين هي ذاتها معارك الدكتور طه حسين وغيره من رواد الثقافة المصرية مثل لويس عوض والشيخ على عبد الرازق، فهي ذات الصراع مع اختلاف الألفاظ.

وبالرغم من رحيل رواد الثقافة المصرية وبقاء الوضع كما كان عليه، ولكن لازال الأمل في الرواد من الشباب على المستوي الكنسي مثل الذين قدموا لنا في الفترة الأخيرة عصارة حياتهم في أربع مجلدات هامة: قصد الدهور - تدبير ملء الأزمنة - تدبير الخلاص عند الآباء - عقيدة التأله عند الآباء، وهو ترجمة لرسالة الدكتوراه للأب الدكتور نورمان راسل.

وكم من وهجاتٍ من نور ونار الروح القدس ما تزال مخبوءةً في رحم الكنيسة، ومن لا يصدق عليه أن يتذكر ما كان يحيط بالروح القدس من صمتٍ حتى صدر كتاب العنصرة للأب متى المسكين وألقى حجرًا كبيرًا في بركة الركود الفكري.

والرب قادرٌ دائمًا.

التعليم بالعقوبة
تعليمٌ خاصٌّ بالعبيد، لا بالأبناء[1]

صدق المتنبي، الشاعر المعروف، إذ قال:

لا تشتَرِ العَبد إلَّا والعَصَا معه *** إِن العَبِيدَ لأنجاسٌ مَناكيدُ

ورغم أن المتنبي كان يقصد كافور الإخشيدي الذي رحل ورحل معه حكم المماليك تمامًا بعد مذبحة القلعة التي دبَّرها محمد علي – كانت ولا تزال عبارة عمرو بن العاص: "مصر لمن يحكمها"، إلى أن جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ بأول مصري يحكم مصر بعد فراعنة مصر؛ الرئيس جمال عبد الناصر.

التخوين والعصا

بعد عبد الناصر الذي استعمل العصا ضد معارضيه، لم تفارق هذه العصا أجواء الكنيسة. هذه العصا ليست بالطبع هي «عصا الرعاية» والتي هي في معناها الأصيل عصا الراعي، بل هي عصا التخويف بالعقوبة والنار وجهنم، بالرغم من احتفالنا بنزول الرب يسوع إلى الجحيم يوم السبت الكبير، والذي تؤكد فيه الكنيسة على زوال الجحيم تمامًا، وبالتالي طرحه خارج وعي كل من يؤمن حقًّا بالمسيح.

ولكن، لأن صورة عبد الناصر، صورة الرجل "الحمش" لا تزال قابعة في عقول طالبي الزعامة، لذلك نجد هؤلاء يرفعون بكل قسوة عصا "التعليم عن العقوبة". وقد بحثتُ عن كلمة العقوبة في العهد الجديد بثلاث لغات؛ القبطية واليونانية والعربية، فلم أجدها. كما بحثتُ عن هذه الكلمة في الليتورجيات،

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ مايو ٢٠٢٠.

فلم أجدها، ولكني وجدتُ نهرًا من استعلانات الغفران. ولا تعني عبارة القداس الغريغوري: "أنت الذي حوَّلت لي العقوبة خلاصًا"، إلا أن ما حدث في الفردوس مع آدم الأول قد صار خلاصًا لكل البشرية. والنص القبطي اليوناني لهذه العبارة يجب ترجمته إلى "الحكم"، لا العقوبة، لأن موت المسيح لم يكن عقوبةً للمسيح. ونحن في القداس الإلهي لسنا عبيدًا، بل أبناء دُعينا إلى وليمة الرب يسوع.

العقوبة والتأديب:

العقوبة حسب أسفار العهد القديم مفروضة لتعدِّي الوصايا والخروج على العهد. وكانت تمس المكونات الخاصة بحياة الإنسان: الهزيمة في الحروب – الأسر – ضياع الحصاد – الأمراض – الموت.

أما في العهد الجديد، فلدينا مقطع كامل يحدد لنا ما هو التأديب، حيث كتب الرسول عن المسيح ربنا:

"نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ،
الَّذِي مِنْ أَجْلِ **السُّرُورِ** الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ
احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ،
فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ."

هذا هو يسوع الذي لم تذكر عنه الأسفار إن الآب عاقبه على خطايا البشر. وبعد أن قدَّم لنا الرسول المثال، يقول:

«فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ».

فما هو المطلوب؟

"لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ (الموت) مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ،

وَقَدْ نَسِيتُمُ الْوَعْظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ:

"يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ.

لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ".

ملاحظات على النص اليوناني:

١- كلمة تأديب παδεια تعني التعليم والتصحيح والتقويم، لا العقوبة، فكلمة العقوبة غائبة عن النص.

٢- يجلد للتقويم، لأن «الذي يحبه الرب»، فليس من انتقامٍ أو تشفٍّ في «الجلد».

يعود الرسول ليقول:

"إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟".

٣- الله يؤدب "لأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ" (عب ١٢: ٢ - ١٠).

وعندما يغيب التعليم عن "الشركة في قداسة الله"، ويحل محله التعليم بالغضب المطلق الذي لا يصدر عن الله المحب، بل الإله الغاضب القاسي، لأننا إذا جمعنا "يحبه الرب"، مع "نشترك في قداسته"، نجد أن ذلك يرفع عن الله القسوة والانتقام ولذة العقاب التي تنمو فينا نحن البشر (راجع العظة ٢٩ على الرسالة إلى العبرانيين للقديس يوحنا ذهبي الفم).

التراتيل الملوثة بالثقافة غير الكتابية:

من التراتيل المكتوبة باللغة الإنجليزية:

"في المسيح وحده

رجائي أجده

هو نوري

خلاصي

تسبحتي".

ولكن رغم جمال الكلمات التي تجيء بعد ذلك عن حلول ملء اللاهوت في الطفل الصغير، إلا أنها بعد هذا الجمال تلوث ما سبق، إذ تقول:

"الغضب قد رضي (نال ما يريد)".

وهكذا من هذا المثال، الذي ينطبق على معظم هذه النوعية من التراتيل، إن لم نقل كلها، نجد أنها تجمعها خصائص معينة:

١- تبدأ بالانفصال دون أن تذكره، مثل ترتيلة: «قد قضى ديني كله الحمَل».

٢- أو تصف الرحمة وأحيانًا المحبة، وتترك الشركة، التي ليست مجرد شركة، بل شركة في القداسة (عب ١٢: ١٠)، وشركة في الآب وفي ابنه يسوع المسيح (١ يو ١ - ٣)، فهي شركة في الحياة التي أُظهِرت لنا في يسوع، وليست مجرد شركة في فكرة.

تألُّهٌ خطير:

مَن يتكلم باسم الله، يأخذ مكان الله. هناك فرق بين أن نقدم تعليم الأسفار حسب الأسفار، وأي تعليم صادر منا نحن باسم الله. ولا يجب أن نفقد الوعي بأن نعمة التبني هي نعمة أبدية لا تقوى الخطية على نزعها أو تدميرها، ولا يمكن أن تُفقَد بالمرة.

ليرحمنا الله

الكنيسة جسَّدت المسيح عبر تاريخها[1]

وصلتُ إلى قناعةٍ بأننا لا نريد الحوار، وأننا نتحفز لمطاردة كل من يختلف معنا في الرأي. ولكن، لدينا حقائق تُوصَف في الفقه الإسلامي بما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهي تلك التي قام عليها الإسلام طوال أربعة عشر قرنًا وصانها من أن تكون عرضةً للشك في صحتها.

ورغم أننا لا نقول أو نكتب ما هو معلوم من الدين بالضرورة، إلَّا أننا سجَّلنا عبر ١٩٠٠ من تاريخ أم الشهداء، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، أن قانون الإيمان هو الحد المألوف والمعروف لكل مسيحي يعترف به عند الانضمام إلى الكنيسة، ويحيا ويموت وهو على لسانه إن كان قادرًا على النطق أثناء سكرات الموت. وطوال الـ ٤٠ سنةً الماضية لم يكن لدينا خلافٌ على قانون الإيمان.

لا رموز للمسيح:

أولًا: لأنه الحق المستعلَن في التاريخ الذي لا يوجد فيه مَن يرمز له. ولم يستطع شخصٌ أيًّا كان أن يقول: "أنا المسيح"، إلَّا إذا كان قد أُصيبَ بجنون العظمة. ولكن مجمع القديسين هو تجسيدٌ للمسيح؛ لحياته وتعليمه، واتحادهم بالرب نفسه متجسِّدًا ومصلوبًا وقائمًا من بين الأموات. فالحق لا رمز له لأنه ليس خفيًّا، ولا هو غامضٌ ولا هو مستترٌ. صحيح أنه مستتر عن الحواس، ولكنه محسوسٌ في مجمع القديسين، وبكل يقين، مَن يمس مسيحيًّا بالقول أو بالفعل، فهو يمس المسيح نفسه المتجسد في هذا المسيحي.

ثانيًا: وكما لم يستطع شخص أن يقول أنا المسيح، هكذا ليس لأحد أن يقول

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٥ يونيو ٢٠٢٠.

"أنا الكنيسة"، لأن الكنيسة عمرها تجاوز ١٩٠٠ سنة ممتدة من الرب والآباء الرسل والشهداء والأبرار حتى يومنا هذا، ولا يمكن لشخصٍ أيًّا كان أن يختزل هذا التاريخ بطوله وعرضه في نفسه. وإن كان ذلك لم يمنع أننا رأينا ملامح المسيح في صحراء الإسقيط، وفي البرية الشرقية، وعلى امتداد الوادي، وعاش بيننا بشرٌ كان لهم الولاء والصدق والأمانة ليسوع الرب وعاملونا بمحبة أبوية، وكان لهم تضحيات ظاهرة، وكانوا فرسان الحقيقة، أو بالحري فرسان من قال: "أنا الحق".

لا بديل للمسيح:

على الرغم من المحاولات العقلية لوضع بدائل للمسيح، إلَّا أن كل هذه المحاولات قد فشلت تمامًا لأن محبة المسيح لا يمكن أن تُحاصَر عقليًّا، ويسقط الحصار أمام قوة حضور المسيح في العالم وفي حياة الذين اتحدوا به.

ولذلك، عندما يتم توظيف الادعاء بأن نقد أسقف أو غيره ينال من المسيح، فهذا كذبٌ وافتراء لا يجب خلطه بالملفات السياسية والاجتماعية، لأن الرب نفسه هو الذي منع هذا الخلط بقوله: "مملكتي ليست من هذا العالم". فالمسيح ليس فكرةً أو نظريةً اجتماعية أو سياسية. ومحاولة الزج بالمسيح أو بالكنيسة في أي معترك سياسي هي خداعٌ واضح يحاول به المدَّعون أن يجعلوا من وجودنا كمسيحيين، وجودًا سياسيًّا خاصًّا بنا، وإن كانوا يرونه من منظور ديني أو لاهوتي. وهو ذات الإيديولوجية التي عبَّر عنها مسلسل "الاختيار" بدقة أبرزت محاولة جماعات التكفير هدم الدولة المصرية. وقد طرح الحوار، وتتابع أحداث المسلسل الذي تجلت فيه براعة أطقم التمثيل والإخراج وكل من ساهم في هذا العمل الذي يرقى إلى مستوى عالمي، سؤال تحول الدين إلى تشكيل عسكري يعلِّم بكراهية الآخر للدرجة التي يصبح معها قتله حلالًا من الحلال. وهو موقفٌ لا يختلف عن موقف الأسقف الذي وصف الدارسين بأنهم فئران،

وأنه أخذ على عاتقه عودة الفئران إلى جحورها. وكان واجبًا على هذا الأسقف أن يعتذر كمسيحي أخطأ في حق اخوته، إلَّا أنه أبى لأسبابٍ لا داعي لذكرها.

لا شك أن الإيمان والعقيدة هما سبب وجود الطقس أو الممارسات، ولدينا في التاريخ -وهو العامود والمرجعية التي يهرب منها المشاغبون- الكثير من الوقائع التي بدَّلت فيها الكنيسة طقسًا بطقس تبعًا لاحتياجات الكنيسة في عصر من العصور. لذلك فإني أرى أن الإصرار على التمسك بطقسٍ معيَّنٍ -ثبت خطورته على صحة المؤمنين وغيرهم- ليس إلَّا نوعًا من ممارسة سلطان كهنوتي زائف لا علاقة له بالمسيح. ومن التاريخ نعرف أن بطاركةً ماتوا بالسُّم لمحاولتهم تغيير بعض العوائد السائدة في المجتمع، فالبابا يؤنس الـ ١٥ وضعوا له السُّمَ في الأباركة لما حاول منع التسري، وتناول البابا السُّمَ ومات.

الشكل السياسي:

لا خلاف بيننا على محاولات جماعات التكفير هدم الدولة المصرية، ولذلك ضايقني صمت الأقباط على محاولة اعتبار الأنبا رافائيل ممثلًا للكنيسة، وأنه فوق النقد أو المساءلة الطبية أو القانونية، حال كونه ضد تغيير ممارسةٍ تقود حتمًا إلى المرض والموت، وبالتالي يجب إبطالها. واعتبار أن ما نُشِر في روز اليوسف هو نيلٌ من الكنيسة، ليس إلَّا زجًّا بالكنيسة في معترك سياسي معقد لا يجب أن يوظَّف للنيل من سيادة الدولة المصرية، لأن النيل من هذه السيادة هو ذات هدف جماعات التكفير.

لذلك لا يجب أن يدَّعي شخصٌ أنه هو الكنيسة، وأنه يمثلها بحيث لا يسمح للدولة أن تمارس سلطانها القانوني والتشريعي، بل والعسكري أيضًا.

رَحِمَ الله كل من أدرك أنه يناقش حقائق، مدركًا أن الحقَ واحدٌ، هو الذي قال "أنا هو الحق".

هل تمنح الإفخارستيا بالضرورة، الشفاء الجسدي؟[1]

تابعتُ الجدل العقيم والاتهامات المتبادلة بين أطرافٍ كثيرة تتحفز للهجوم والدفاع، حول ملعقة التناول وما إذا كان سر الإفخارستيا يمنحُ بالضرورة الشفاء الجسدي للمتناول. وتظهر المأساة في تحوُّل الجدل إلى اتهام بعدم الإيمان من قِبَل من يقولون بأن سر الإفخارستيا يشفي من الأمراض، وبالتالي كيف يمرض من يتناول الجسد المحيي بمرض الكورونا؟ وهكذا ارتبط الشجار -حول صحة الإيمان- بوسيلة تغيَّرت عبر الزمن، وهنا صارت الممارسة أي الطقس هي الإيمان! ونسينا أننا جميعًا في لحظاتٍ ما سوف نموت رغم أننا نتناول السر المجيد.

الشفاء من أمراض الجسد ليس له هذه الأهمية عند الرب، لأننا سوف نموت جميعًا، إن لم يكن بالأمراض فبالشيخوخة، وقد شاخ ومات آباءٌ عِظام مثل البابا كيرلس السادس، وأثناسيوس الرسولي نفسه، ولم يحاول أحد في العصور السابقة أن يقول إن مَن تناول الجسد المحيي والدم المحيي سوف يحيا حياة جسدانية إلى الأبد.

لقد ظهرت الملعقة، ربما بعد ٥٠٠ سنة من تاريخ الكنيسة، ويرتبط تاريخها بمحاولة تجنُّب سوء استعمال سر الإفخارستيا. وكان الجسد يوضع في يد المتناول حسب شهادة العلَّامة أوريجينوس، وكيرلس الأورشليمي، وكيرلس الكبير وغيرهم.

ولكن في خضم حمى الاتهامات، ظهرت ترجمة عربية عن استخدام الملعقة في كنائس بيزنطة وسوريا ومصر، وهي دراسة تاريخية للأب روبرت تافت Taft وتعريب الأب القس مينا القمص اسحق والأستاذ موريس وهيب، وهي

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ يوليو ٢٠٢٠.

أول وأكمل دراسة عن "ملاعق التناول" في الطقس البيزنطي، أتمنى من الآباء الأساقفة والكهنة الاطلاع عليها.

وأيضًا لا بُد من الاطلاع على دراسة الأب متى المسكين عن الإفخارستيا في ٨٠٠ صفحة، وهي أكمل دراسة تاريخية، وتسد فراغًا كبيرًا في تاريخ الفكر المسيحي.

نعرف أن البابا كيرلس السادس كان يتناول كل يوم ما عدا الأيام التي دخل فيها مستشفى هرمل بمصر القديمة ليعالَج من حصوة في الكلى، ورقد في الرب. وهكذا لم يمنع التناول الموت عن قداسته. ونفس الشيء يجب أن يقال عن قداسة البابا شنودة الثالث، الذي كان يعاني من فشل في الكُليتين، ولم تمنع الإفخارستيا الموت عنه، ولا عن الأب متى المسكين، أو القمص بيشوي كامل الذي مات بالسرطان. وقد مات الأنبا باخوميوس أب الشركة بالطاعون عندما انتشر هذا الوباء في صعيد مصر في سنة ٣٤٦ ورقد أب الشركة في ١٤ بشنس من ذات العام.

والسؤال الحاسم: لماذا لم ينل كل هؤلاء الشفاء؟

والجواب هو أننا لا نملك أن نقيّد إرادة الرب يسوع لأنه حُرٌّ في العطاء. أحيانًا ينال البعض الشفاء الجسداني مع الروحي، لكن لا يمكننا أن نجعل من العطية قيدًا على إرادة الرب يسوع، هو حُرٌّ يشفي، أو يأخذ نفوس من يريدهم.

لقد وعدنا الرب يسوع بالحياة الأبدية، وبالقيامة في اليوم الأخير، وبشفاء النفس. أما الموت الجسداني، فهو أمر ضروري ليعود الجسد إلى التراب لكي يقوم في اليوم الأخير.

الرب هو غاية السر:

لم يكن التناول "دواءً" لأي مرض جسداني، وإنما كان حسب عبارة الشهيد أغناطيوس "ترياق عدم الموت". ونحن ندخل كورة الأحياء إلى الأبد أورشليم السمائية بقوة الذي ذُبِحَ عنا.

مشكلة هذا الجيل أنه تجنب الحديث عن موضوع الموت، فزاغ بصره وانخدع بمنظومة إنجيلية ظنًّا منه أن الخلاص يبدأ بالخطية، وهي تلك المنظومة التي عبَّرت عن سوء فهم القديس أغسطينوس لِمَا عُرِفَ باسم السقوط، والتي ينتهي فيها التدبير بالخطية، بينما منظومة الإسكندرية تبدأ بالموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس، ولكنه هُدِمَ بموت الرب، وهو الدواء الذي سحق الخطية، وما أبعد منظومة الإسكندرية عما هو سائد عندنا اليوم.

لا شك أن ما يحدث لدينا من صراع الآن هو نتيجة طبيعية لخداع البصر الذي عانى منه هذا الجيل، وهو ما يجعلني أشعر بالأسى وأنا أكتب عن الإيمان، الذي هو اشتراك واختبار، وكلمة شركة Communion تعني الإيمان أو الاشتراك بالذي نؤمن به.

عندما تنهار منظومة العصر الوسيط التي أطبقت على أنفاس أُم الشهداء، وتحل محلها منظومة الشركة التي عرفناها منذ العلَّامة أوريجينوس، سوف تعود السرائر اختبارًا، وسنعود نفهم اللغة من خلال أحداث التدبير، ولنا عودة.

الإفخارستيا والشفاء[1]

في المقال السابق عرضنا بشكلٍ عام، كيف رقد في الرب عمالقةٌ عِشنا معهم وعرفناهم؛ البابا كيرلس السادس، والقمص بيشوي كامل، وآخر العمالقة القمص شنودة الأنبا بيشوي الذي عرفه عدد كبير من أبناء الكنيسة في المهجر، وكان مثل قداسة البابا كيرلس السادس يصلي قداسًا كل يوم، وكان مثالًا للمحبة والخدمة. ورقد من العظماء الذين كانوا أنوارًا للرب في جيلنا القمص ميخائيل إبراهيم الذي سمعته وسمعه معي عددٌ كبير يقول لنا أثناء الاعتراف: "الله يسامحني ويسامحك". هؤلاء جميعًا كما ذكرت الرسالة إلى العبرانيين "مشهودٌ لهم بالإيمان"، ومع ذلك لم يمنع تناولهم عنهم المرض والموت.

التسليم الكنسي:

من الرب يسوع نفسه، وفي حديثٍ طويل في الإصحاح السادس من إنجيل معلمنا القديس يوحنا، استلمنا الوعد بالقيامة وبنوال عطية الحياة الأبدية. ومن الإنجيليين الآخرين متى ومرقس ولوقا استلمنا تأسيس العهد الجديد وغفران الخطايا . ولم يقدم الرب، حسب شهادات الإنجيليين، ولا في أطول حديث (يو ٦) أي إشارة مباشرة إلى الشفاء الجسدي، ولكن التسليم الكنسي غرس هذا التعليم لأن غفران الخطايا يؤدي كما في معجزات الرب نفسه إلى الشفاء. لكن علينا أن نلاحظ أن الشفاء هو عمل إرادي للرب نفسه، ولا يترتب بشكل مباشر لأننا لا نستطيع أن نقيِّد الرب ونفرض إرادتنا عليه لمجرد أننا صلَّينا. ما هو ثابت في التسليم الكنسي هو أن إرادة الرب تظهر في المعجزات

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٨ يوليو ٢٠٢٠.

-التي طالبنا منذ زمن طويل- بإحالتها إلى لجنة طبية تفحص التقارير الطبية قبل وبعد المعجزة للتحقق من كل حالة على حدة.

عمل الرب يسوع في الإفخارستيا:

الشفاء الروحي من مرض الموت، فهو المرض الحقيقي الذي جلب كل الأمراض. قوة الرب تظهر في تطهير النفس من هذا المرض، وفي تحرير الوعي من الخوف من الموت، وتقديس الكيان الإنساني كله نفسًا وجسدًا. الموت مرضٌ يشبه السرطان، قد لا نشعر به في البداية ولكن له أعرض، أولها التسجُّس بشأن محبة الله الفائقة، وثانيها الخوف من العقاب، وثالثها الخوف من الموت، وبشكلٍ عام وبدون تفاصيل، سيطرة الخوف على الوعي وسيادته، ورابعها سيطرة الكراهية وحب الانتقام.

يجب ترتيب فهمنا للتسليم الكنسي، وكلمة ترتيب هي كلمة آبائية akoulosia تضع ما هو إلهي أول كل شيء. القيامة هي عمل الله ولا دخل للإيمان في القيامة، بمعنى أن قيامة الأموات ليست من ثمار الروح القدس، ولا هي من ثمار الإيمان، فهي عمل الرب يسوع الذي لا دخل للإرادة فيه.

قيامة الإنسان المسيحي لنوال مجد القيامة هي تجلي نعمة الرب في الحياة الآتية حسب عبارة الرسول: "الذي سيغيِّر جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب استطاعته أن يُخضِعَ كل شيء لنفسه" (فيلبي ٣: ٢١)، و"عمل استطاعته" ليس عن الإرادة الإنسانية، بل هو عمل الرب نفسه.

ما يخضع لإرادة الرب وحسب مسرته يُستعلَن في الصلوات، وهو ما وعد به الرب يسوع بنفسه، مثل: "خذوا كلوا هذا هو جسدي ... هذا هو دمي". فما يُوهَب في السرائر، إنما هو بوعد إلهي لا دخل للإرادة الإنسانية في تأسيسه لأنه عمل الرب نفسه.

في سر مسحة المرضى، الشفاء حسب مسرة الله. والواقع يؤكد شفاء بعض المؤمنين وعدم شفاء البعض، والكنيسة لا تستطيع أن تُخضِع إرادة الرب لها.

الرب يسوع وجسده:

النعمة الإلهية توهَب لنا لأنها مؤسَّسةٌ وثابتةٌ باتحاد الرب بجسده، الكنيسة. هذا الاتحاد يُؤسِّس العطاء الذي لم يأتِ حسب إرادة البشر، بل حسب إرادة الرب نفسه. فلم يكن لنا إرادة في تجسد الرب، ولا في صلبه، ولا في قيامته وصعوده. كل هذه الأفعال هي أعمال الرب نفسه التي وَهَبَت لنا الاتحاد بالرب. بهذه الأعمال وحَّد الرب ذاته بالكنيسة؛ فأعطاها الميلاد الجديد بميلاده، والحرية والفداء من الدينونة والموت بموته، والحياة السمائية بصعوده. وأعطانا الرب المعزِّي، الروح القدس لكي ينقل إلينا هذه الهبات، وهو ما نراه في استدعاء الروح القدس لكي ينقل إلينا حياة وعمل الرب نفسه.

أخيراً: ليس لدينا شك فيما وعد به الرب يسوع، ولكن مسرته هي الغالبة والمؤسِّسة لكل عطية.

هل تنقل الإفخارستيا كرونا؟[١]

يبدو أن ما ذكرناه في مقالينا السابقين لم يكن كافيًا.

السِّرُ عطيةٌ من الله الآب، فهو "خبز الله النازل من فوق" حسب قول الرب في إنجيل يوحنا.

أما الطقوس فقد تطورت عبر السنوات، وربما حسب بحث الأب تافت Taft بدأ استخدام الملاعق من القرن الخامس وليس قبل ذلك.

ولعلنا نكون قد لاحظنا أن شكل الخبز ليس واحدًا عندنا وعند السريان وعند الروم. وكذلك أيضًا طريقة التقسيم مختلفة، ولذلك يلزم التمييز بين الطقوس الكنسية والسر الإلهي الذي يهبه الله.

الرب يسوع لم يستخدم ملعقة في العلية في أورشليم، وقول البعض بأن الرب سلَّم الآباء الرسل الأواني هو مغالاة تتجاهل التاريخ، لأن انتشار الكنيسة من فلسطين إلى دول البلقان، ثم إلى روسيا بعد ذلك، استمر عدة قرون وكانت ثقافة كل شعب هي التي تشكل الطقوس.

ما لدينا هو أن الرب يسوع هو الذي يقدِّس، وهو ما تؤكده طقوسنا بالذات في التوزيع. وقد وضع العالم الكبير القمص عبد المسيح المسعودي في طبعة الخولاجي التي صدرت ١٩٠٢ وأُعيد طبعها بواسطة الدير المحرق، طقس غمس الجسد في الدم وتقديم الجسد والدم معًا.

وعندما يمسك الكاهن بالإسباديقون، ويضعه في الكأس، ويظل كذلك حتى

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٠ يوليو ٢٠٢٠.

ينتهي من تناول الكل (بعكس ما يحدث حاليًّا حيث يتناوله الكاهن أولًا)، فإنه يؤكد أن المسيح هو الذي يوزِّع.

ولكن يبقى السؤال: هل يمكن تغيير الطقس إذا كانت لدينا شبهات على أن الملعقة تنقل العدوى؟

والجواب: نعم، لأن ما هو ثابتٌ طبيًّا يجب أن يُؤخذ بكل اهتمام.

يخبرنا تاريخ الكنيسة القبطية عن أن البابا يوأنس الـ ١٥ مات مسمومًا بعد أن وضع له أحد الأراخنة السم في أسيوط، لأن البابا أراد أن يمنع عادة التسري التي انتشرت بين القبط في ذلك الزمان.

أما طقس التناول السائد لدينا الآن، فهو من القرن الـ ١٥ بفضل البابا غبريال الخامس، وصار المرجع الأساسي بشأنه خولاجي القمص عبد المسيح المسعودي ١٩٠٢.

يجب أن ننتبه إلى أن قوة السر هي في عطاء الرب، وليست في طقس الممارسة. وهبة الجسد والدم ليست في طقس تقديم جسد الرب ودمه، بل في إيمان الكنيسة بالسر.

منع البشر من التناول:

- نحن نمنع الموعوظين من التناول حسب شهادة كل من كيرلس الأورشليمي وكيرلس السكندري، وذلك على أساس عدم تقديس الموعوظ بعد. فالمنع يعود إلى حالة الموعوظ الذي لم يقبل بعد الروح القدس. المنع هنا ليس طبيًّا بل لاهوتيًّا.
- كما نمنع الهراطقة الذين تم حرمانهم بعد محاكمة كنسية من التناول.
- فإذا كان منع البشر جائزًا عند توفر مبرراته، أفلا نمنع استخدام الملعقة بعد انتشار المعرفة الطبية؟

- لم تكن الميكروبات أو الفيروسات معروفةً في زمن الرب يسوع وفي زمن الآباء. وكان الجسد يوضَع في اليد في زمن القديس كيرلس السكندري (انظر شرحه لنص: "لا تلمسيني" (يو ٢٠: ٧)).

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل طقس التناول الذي تطوَّر عبر العصور هو محور الإيمان، أم أن الإيمان تنقله وتعبِّر عنه الصلوات؟

السر المجيد وطقوسنا[١]

أَمَا وقد عبرتُ من بوابة الثمانين، فقد أصبحت أري طقوس الكنيسة بمزيد من الشغف والاحترام. وكنت قد رأيت الكثير وسمعت الكثير من أبي الروحي القمص مينا المتوحد، وكنت أخدم في القداس الثاني مع القس شنودة السرياني الذي توهم في إحدى المرات أن جوهرةً من الجسد سقطت منه أثناء مناولة أحدهم، وطلب مني أن أبحث عنها بشمعة، وعندما تبين الأمر للأب مينا المتوحد قال لي: "هما السيرافيم والشاروبيم واقفين هنا يتفرجوا؟ إذا سقطت جوهرة وأنت لم ترَها، فلأن القوات السماوية أخذتها".

ولكني وبعد أن مرَّت سنوات، بدأت ألحظ سوءَ فهمٍ للسر، وكأن الرب يسوع أصبح بلا إرادة، أو أنه مجرد شيء بين أيدينا لا يملك حرية التصرف، وأننا يمكننا أن نبحث عن جواهر سقطت منا أثناء التناول أو بين الأسنان بعد التناول. نسينا أن للرب إرادته، وأنه لا يسقط على الأرض، وأنه لم يقل لغير الإنسان خذوا كلوا أو خذوا اشربوا. كان شيوخ الكنيسة يقولون لنا إن غسل أي شيء وقع عليه دم الرب، فهو غسلٌ للخمر وليس لدم الرب، لأن دم الرب يصبح خمرًا فقط إذا سقط على الأرض، أو تناوله شخصٌ غير مستحق.

بالطبع، سوف يجد الذين يظنون أن تحول الخبز والخمر هو تحول كيميائي أن ما كتبته عثرة، ولكن يجب أن يستقر في وعينا أن التحول السري لا ينزع من الرب إرادته ومسرته. وما أكثر الذين كانوا على مقربةٍ منه، كالجند الذين ضربوه وجلدوه ودقوا المسامير في جسده، ولم ينل أيٌّ من هؤلاء منحةً من الرب

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٣ يوليو ٢٠٢٠.

لأن الرب حرٌّ في عطاء حياته، أي جسده ودمه. وسقط دمٌ وماءٌ عندما طُعِنَ الرب في جنبه. وقدم الرب جسده ودمه لبطرس وهو يعلم أن بطرس سوف ينكره.

وللقديس يوحنا الدمشقي يعود الرأي بأن من يتناول دون إيمان ومحبة، يأخذ خبزًا وخمرًا فقط، وأن ما يتبقى بعد مناولة المؤمنين هو خبز وخمر فقط.

أما حفظ الأسرار لمناولة المرضى، فهو تصرف صحيح لأن الإيمان والمحبة معًا سوف يقدمان لهم جسد الرب ودمه.

الربُّ حرٌّ في تقديم ذاته لنا . وقبول السر يعني اتحاد إرادتنا مع إرادة الرب.

فإذا كانت الملعقة سوف تكون سببًا في المرض، فإن عدم استعمالها يعني أن إرادتنا ترى في الملعقة ما يوجب الحَذَر لأن الرب نفسه لم يستخدم الملعقة، ولم يؤسِّس السر بأدواتٍ معيَّنةٍ، وأن إرادتنا في عدم استعمال الملعقة هنا هي حرية الإيمان.

لقد عصر الحزن قلبي وأنا أُطالع خبر وفاة القمص أشعيا ميخائيل كاهن كنيسة الملاك ميخائيل بالظاهر متأثرًا بإصابته بالفيروس، أفلا يكفي من رحل من الآباء الكهنة حتى تكون لنا حرية الإيمان؟

الأنبياء فقط هم من يعرفون ما إذا كانت الملعقة تنقل العدوى، وكان آخر هؤلاء هو يوحنا الأسيوطي (٣٩٤).

من يقدر أن يعبِّر عن إرادة الرب يسوع؟

الشخص والشيء والفكرة
وسر الإفخارستيا[1]

لا شك أن بوادر النهضة التي قادها حبيب جرجس قد طرحت الكثير من الثمار، ولكنها أنجبت أيضًا عدة إشكاليات لا بُد من حلها.

الإشكالية الأولى، هي أننا عندما نرى ونأكل الخبز السمائي، يتحول الرب -عند البعض- إلى شيء نمسك به ونأكله، لا سيما وإن كانت الجوهرة صغيرة. وهنا يكون تحول الإدراك والوعي مطلوب بشدة، لأن "الجوهرة"، ولا أقول ولا أكتب (الجزء) من جسد الرب على المذبح هو "جزءٌ" لا يمكن فصله. وما وضع الإسباديقون في الكأس سوى انتقال الوعي من "الجزء إلى الكل". الجزء خاصٌّ بالتقسيم، والكل خاصٌّ بالوحدانية. الكلُ معًا واحدٌ، صورة أو أيقونة الثالوث التي نتعلمها من السر المجيد، والكلمات للرسول بولس: "الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح" (١ كور ١٠: ١٥). وكسر القربانة وتوزيعها يجعلنا كما يقول الرسول بولس: "فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحد لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد" (١كور ١٠: ١٧).

وهنا يجب أن ننتبه إلى الكلمات الآتية:

- نحن الكثيرين
- خبزٌ واحد
- لأننا جمعنا
- نشترك في الخبز الواحد.

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢١ يوليو ٢٠٢٠.

كان من الضروري لبعث الوعي أن أُفصِّل الكلمات، فقد سبق هذه الكلمات، بل وتلاها أيضًا: "أننا جسد المسيح الواحد"، وأن توزيع مواهب الروح القدس هي تنوع المواهب وعملها الواحد في الجسد الواحد (١كو ص ١٥ كله).

إذن، فالاختبار المسيحي الحقيقي هو وحدانية الجسد وتنوع الأعضاء وتنوع المواهب التي يعطيها الروح القدس.

من ذلك ندرك أن كل جوهرة هي ميراث كل من يشترك في الخبز الواحد، وأننا نحن كما قال الرسول: "خبزٌ واحد"، أي قربانٌ واحد.

ونحن نقدم ذواتنا لله الآب في ابنه يسوع المسيح، وهو ما تؤكده الليتورجيا، يجب ألا يغيب من الوعي تقديم أنفسنا قربانًا، ولذلك فإن رؤية الخبز خبزًا عند لوثر وعند غير المستنيرين بالروح القدس، تجعل من الجوهرةِ جزءً وليست عطاءً وهبةً، لأن العطاء، لا سيما في دعوة الرب: "خذوا كلوا ..." هو دعوة للجماعة. وفي العطاء، حتى على المستوى الاجتماعي، القيمة ليست في العدد.

بيان من الدكتور جورج حبيب[١]

بسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس

دُهِشتُ للعاصفة الإعلامية التي أهاجها البعض بخصوص تناولي من الأسرار الإلهية، دون سببٍ معقول. ولكن، متى كان للشر سببٌ معقول؟!

أول كل شيء، أسجِّل الشكر، كل الشكر للأب محب أولاده قداسة البابا تواضروس الثاني، عطيةِ الله، الذي طلب من نيافة الأنبا سيرافيم، فتفضَّل بزيارتي وفي معيته الأب اسطفانوس، حاملين معهما الكلمة المتجسد.

كنت أعتقد أن هذه الزيارة هي خاتمة أحداث طالت في الزمان حتى بلغت ما يزيد عن أربعين عامًا، ولكن حَرِصَ الذين اعتادوا على اختراع الشر ألَّا تفلت الفرصة من أيديهم فأهاجوا من جديد عاصفة الأحقاد، وإن كانت قد طالت هذه المرة قداسة البابا تواضروس الثاني، لذا فإنني اعتذر لقداسته عما سببته له من هجوم داس على أبسط الحقائق، وهي أنه أبٌ يرعى أولاده، وأنه حرٌّ في تصرفاته، لا سيما تلك التي تراعي المحبة والأمانة.

ثانيًا: أقدم شكرًا خاصًّا لنيافة الحبر الجليل الأنبا رافائيل الذي قَبِلَ المصالحة ومد يده بالسلام، مؤكدًا أنه وضع المسيح الرب فوق كل اعتبار.

ثالثًا: أؤكد أن كل الفرقاء لهم نفس الإيمان وذات العقيدة. وهو ما سبق وأن كتبته بيدي عدة مرات. إيمان الأب متى المسكين هو ذات إيمان البابا شنودة الثالث، وهو هو ذات إيماني أنا أيضًا. فإذا اختلف الشرح أو التأويل، فإن الحكم

١- منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٤ أغسطس ٢٠٢٠.

بالهرطقة لا يجب أن يصدر إلَّا بعد محاكمة يتاح فيها للمتهم أن يدافع عن نفسه، ذلك هو قانون الكنيسة.

وقد شرحتُ إيماني بكل وضوح في ما يزيد عن أربعين كتابًا، وعددٍ من المحاضرات والمقالات -جميعها في متناول اليد- لا تسمح لمتقوِّلٍ باللجاج في أن إيماني هو ذات إيمان الآباء الذي تقدُّمه صلوات أم الشهداء.

من كل قلبي أطلب غفرانًا لكل من أبدى عداوةً، ولكل من تلَّفظ بشتيمةٍ ظنًّا منهم أنهم بذلك يحجزون لأنفسهم أماكن ضمن المدافعين عن الإيمان، وما كان الدفاع عن الإيمان يومًا إلَّا رحابة صدر ورجاحة عقل، ولنا في كتابات أثناسيوس وكيرلس مثلًا يُحتذى.

أرجو من الجميع مراعاة سلام الكنيسة، آملًا أن تنحسر هذه العاصفة الهوجاء، فلا يفيد منها شيطان الانقسام.

لا داعي للشتائم، لأن ما فعله قداسة البابا تواضروس هو من أجل الإيمان، وكل ما أطلبه هو سلام وهدوء الكنيسة.

دكتور

جورج حبيب بباوي

نظرة إلى مستقبل معرفتنا بالتراث[١]

(١)

أُتابع بكل فرح الأبحاث التي يكتبها الأخوة الذين تخصصوا في مجالات الآباء والكتاب المقدس وأشعر في متابعتها بسعادةٍ لا حدَّ لها، لذا أريد أن أُلقي نظرةً على آليات الفكر المستقبلي لأبناء أُم الشهداء. هذه الآليات -كما عرفناها من تطور الفكر الغربي في جامعات الغرب- لم تكن معتقلةً في نظام دراسي معين، بل تُركت للأبحاث الحرة البعيدة عن النظرة المذهبية، وإن كانت النظرة المذهبية التي سادت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وسيلةً للوثوب إلى القرن العشرين ولم تكن حجرَ عثرةٍ أُلقيَ في طريق البحث.

الجدل الدائر حول ما إذا كانت النفخة التي نفخها الله في أنف آدم، هي نفخة الروح القدس، أم هي النفس الإنسانية، لا يجب أن يُحسم على أساس المعنى اللغوي، بل على أساس الممارسة الكنسية. فبحسب شرح القديس كيرلس الكبير، كلمة "السلام" الموجودة في نص إنجيل يوحنا (يو ١٤: ٢٧) "سلامى أترك لكم سلامى أنا أُعطيكم"، هي عطية الروح القدس، لأن "سلام المسيح هو روحه"، هو "سلام الله الذي يفوق كل عقل" ... فالسلام الذي يعلو على كل وجود عقلي هو "روح المسيح"، وهو ما أعاده الرب للتلاميذ كباكورة للبشرية بحسب شرح القديس كيرلس لنص يو ٢٠: ٢٢، وبالتالي فهذه النفخة ليست هي خلق النفس الإنسانية في آدم. والدليل على ذلك ليس في أبحاث لغوية تاريخية، بل هو عطية الروح القدس التي تُعطى في المعمودية في الكنيسة القبطية، لأن الكاهن

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٧ نوفمبر ٢٠٢٠.

ينفخ في وجه الذي نال المعمودية ويقول له: "اقبل الروح القدس". وبالتالي إذا كان لدينا خلافٌ على فهم النص، فهو أمرٌ حتمي، لأن شخصًا ما استند على نصٍّ واحدٍ لآباء الكنيسة. ولكن القاعدة الذهبية هي أن النفس الإنسانية خُلقت من العدم، أما عطية الروح القدس فهي عطية إلهية، وهو ما يؤكده القديس كيرلس بأن الإنسان عندما أخطأ فَقَد عطية الروح القدس، وأصبح في حالةٍ من الفساد والموت تجعله غير متصالح مع موهبة الروح القدس.

ولذلك أرى أن الصراع حول المعنى اللغوي أو الترتيب التاريخي وما إليه من صراعات في الحقول الأكاديمية، لا يخدم كنيستنا بالمرة. لأننا يجب أن نعود إلى القاعدة التي سطّرها القديس ايريناؤس عبر صفحات كتابه المشهور "الرد على الهراطقة" وكتابة الآخر المنسوب إليه "التعليم الرسولي"، وهي "**أننا من الممارسة نتعلم الحقائق وأننا نصلى ما نمارسه ونمارس ما نصليه**". فالممارسة هي الأساس الرسولي الذي سُلِّم للكنيسة، ليس في صيغةٍ لغوية بشرية، بل كما سلّمها الآباء الرسل وحافظ عليها الآباء، وهي أن نمارس ما نصليه، وفي الممارسة يصبح ما نقدمه للآخر في الكنيسة ليس عبارةً أو فكرةً وإنما ممارسةً ليتورجيةً واضحة.

وبالتالي، فإن **أحد آليات المستقبل** هي **"التأكيد على ما جاء في الممارسة وليس القفز على الاختلافات التي نراها حتى في نصوص الآباء"**. وعلى سبيل المثال: كيف نترجم طِلبة الخبز في الصلاة الربانية؟ فنحن نطلب خبز المستقبل، وهو ما أكده العلَّامة أوريجينوس. وفى تأكيد العلامة أوريجينوس على أن هذا الخبز المستقبلي هو جسد الرب ودمه، هو العطية التي أحيت الإنسان. وقد تطوع القديس كيرلس الكبير لدعم هذا الشرح لأنه تعلَّم من الممارسة أن عطية الروح القدس تُعطى للمعمدين، فتصدي للرأي القائل بأن النفخة كانت هي النفس البشرية، وأكد أنها عطية الروح وأن الإنسان يجب أن يقرا النص من خلال الممارسة، وليس من خلال الترتيب اللغوي أو حتى التاريخي الموجود

في الاسفار. **ومن هنا نحذِّر الأخوة الدارسين والأخوة الباحثين من أن يجعلوا من الأبحاث نارًا تشتعل في جسد المسيح الكنيسة،** الجسد الواحد، لأن جسد المسيح يغذِّي الكنيسة، ليس فقط في المرض والاحتياجات البشرية، وإنما في الاحتياجات الروحية أيضا. وهو ما أكده القديس كيرلس الكبير في اختلاف النص بين القديس متى والقديس يوحنا، لأن القديس كيرلس الكبير في العظة التاسعة عشر على إنجيل يوحنا يؤكد أن الإنسان احتاج إلى القوت، واحتاج أيضًا إلى الروح القدس، وأن النفخة كانت هي عطية الروح القدس.

وبالتالي يجب أن نفهم الأمور التالية:

أولًا: إن الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية لم تخلق انثروبولوجية، وإنما خَلَقت لاهوت تجديد الإنسان دون وضعه على أساس فلسفي.

ثانيًا: ولأننا ننكر الأساس الفلسفي لخلق الإنسان، فالدليل هو من قصة الخلق كما وردت في سفر التكوين الإصحاح الأول والإصحاح الرابع، وأن القديس أثناسيوس الرسولي في كتاب "تجسد الكلمة" في الفصل الثالث والرابع والخامس وحتى السادس أيضا كان يؤكد أن صلاح الله ومحبته هي التي جعلت الإنسان يُخلق. وبالتالي لا نجد فلسفةً تعبِّر عن صلاح الله، بل نجد تعليمًا إيمانيًّا يؤكد لنا أن محبة الله هي سبب خلق الإنسان، وهذه ليست قضية فلسفية، لان ما يُعطى بحسب الصلاح والمحبة والجُّود هو عمل شخصي يقوم به الله، ليس بفلسفة معينة إذ لم تكن هناك نظرةٌ فلسفيةٌ معينة عندما خلق الله الإنسان. وبالتالي ليس فلسفيًا أن نفرض شرحًا فلسفيًا على ما تمّ قبل وجود نظريات فلسفية.

إنه لأمرٌ محزنٌ حقًا أن نفرض فكرًا فلسفيًا على عملٍ نابعٍ من الصلاح الإلهي، في وقت لم يكن للخليقة كلها وجود يجعلنا نؤكد أن ما تم كان عملًا منظمًا بنظام معين له أساس بيولوجي أو فسلفلى في الـ DNA. لأن النظرية الفلسفية هي عودة إلى ما حدث في البدء، وهو أمرٌ ليس فكرةً، ولا علاقة له بالفكر النظري

مهما كانت ملامحه، والدليل على ذلك أيضا هو أن الأسفار المقدسة نفسها وُلدت من خلال الممارسة لتعبِّر عن إيمانٍ بما عمله الله، وليس عن فكرةٍ فلسفية وُجدت لتنظيم الخليقة. فالبدء لم يكن فلسفيًا، ولا بيولوجيًا، ولا يُوصف بأي شكل من أشكال النظريات اللاحقة للفكر الإنساني، لأن البدء كان عملًا شخصيًا وُصف بعبارات إنسانية تلائم فكر الإنسان وممارسته في تلك الحقبة من التاريخ، حيث كان الإنسان يعبد الأوثان، فجاء التسليم التوراتي ليقول إن الإنسان أعظم من الحيوانات ولا يليق به أن يعبدها لأنه صورة الله ومثاله.

ثالثًا: لقد نشأت دراسات تُعتبر تقدُّمًا فكريًا ندرسه بكل احترامٍ وتقدير في جامعات أوربا، وبالذات في جامعة السوربون وجامعات ألمانيا، وهي تبحث عن أركيولوجية الكتاب المقدس، وأدَّى هذا إلى أبحاث نصوصية مقارَنة بين التوراة وبين أدبيات الشعوب القديمة في بابل وفي فلسطين وفي الجزيرة العربية. وقدَّم الباحثون صورًا عن نقلٍ من أدبيات الشعوب في حديث التوراة عما حدث في تاريخ الإنسانية، واعتبروا أن التوراة نقلت عن أدبيات الشعوب القديمة قصة الخلق برمتها، ولكن ما يجب أن نلتفت إليه في هذه الأبحاث أن أدبيات الشعوب القديمة لم تذكر أن الإنسان صورة الله ومثاله. وبالرغم من أن الإنسان هو العنصر المشترك في كل أدبيات الشعوب بما فيه التوراة، إلَّا أن قصص الشعوب اختلفت عن بعضها البعض بسبب ممارسة التوراة في الصلاة والعبادة، وتكوين علاقة شخصية بين الخالق والمخلوق. ومن هنا جاء التأكيد على أن الاقتباس أو نقل نصوص بعينها هو مغامرة إنسانية في ظلال الأدب والفن والموسيقى والعبادة. بل إن فرض فكرة التفوق العرقي على التوراة هو نظرة ضيقة فقدت فيها الأساس المشترك في أدبيات كل الشعوب، وهو أن الإنسان مخلوق مع باقي المخلوقات، وأن الاختلافات في شرح قصة الخلق هي نتاج عمل ينتمي إلى خصوصية شعب لم يكن يشرح أدبياته بفكرة الوحي من الله. فلم تكن فكرة الوحي مقدسة في بداية اليهودية، ولا في أدبيات فارس والعراق

ومصر، بدليل أننا نجد في أدبيات مصر القديمة أحاديث عن خلق الإنسان في صلاة أخناتون المصرية، والتي ظنَّ البعض أنها اقتُبِسَت في مزامير العهد القديم بشكل مباشر أو غير مباشر. فقد اقتطع علماؤنا الكثير من النصوص من سياقها ورتَّبوها بشكلٍ يجعل الاقتباس أمرًا حتميًا. وهذا يجعل من الاقتباس والنتائج التي توصل إليها العلماء أمرًا مشكوكًا فيه لأن التشابه لا يعنى حتمية النقل، خصوصًا وأن الله خالق البشر جميعًا له علاقة خاصة بالإنسانية تختلف عن علاقته بالإنسان في التوراة، وبالتالي فإن ما نفترض وجوده في الاقتباسات، يحتِّم علينا أن نفحص الاقتباسات بدقة أكثر لكي نرى أن الإنسان في حقيقة الأمر اختلف مع أخيه الإنسان في العبادة والإيمان بالخالق، لأنه كان يرى أن له علاقة خاصة بخالقه تتميز عن علاقة الله بباقي البشر. وقد اتخذت هذه الاختلافات في علاقة الله مع باقي البشر، شكل ألحانٍ وأناشيد تُصلى وتُقال في اجتماعات هذه الشعوب في الحرب والسلم، ولم تكن نصوصًا دينيةً تُكتَب بمعنى أنها نصٌّ ديني، فالنص كُتب للتعبير عن إيمان شعبٍ ما بعلاقته الخاصة مع الله، ومع وجود فرع من هذه العلاقة مع الشعوب الأخرى.

إننا أمام إشكالية يجب أن تُحل بكل أمانة، وهي إشكالية تاريخ الديانات بما فيها التوراة، فقد اقتضت المقارنات على اعتبار التوراة ناقلة عن أدبيات الشعوب القديمة. ومع وجود بنى إسرائيل في مصر ووجود بعض الكلمات من أصل هيروغليفي في سفر التكوين، الافتراض بأن بني إسرائيل قد أخذوا أفكارًا دينية من القدماء المصريين، وهو افتراضٌ له وجاهته في علم مقارنة الأديان، وهو علمٌ نشاء بعد قيام نظريات عن الخلق، دون أن تكون هذه النظريات هي سبب خلق الانسان.

خلْقُ الإنسان على صورة الله ومثاله هو دعوة توراتية لاعتبار أن الانسان أعظم مما يَعبُد، وأن الإنسان الحقيقي المتمسك بإنسانيته يجب أن يكون

على وعى بأنه أعظم من التماسيح والحيوانات التي يعبُدها غيره من البشر. وهذا ما أوجد اختلافات في جوهر النصوص لا في شكلها اللغوي الذي وصلنا، بل أننا عندما نجد عبارات كاملة تقدم لنا فكرًا توراتيًا في أدبيات الشعوب الأخرى، علينا ألَّا أن نتسرع في الحكم عليها لأن فكرة التنزيل لم تكن معروفه إلَّا في حقبةٍ لاحقة، وأن الشعوب التي تتجاور مع بعضها البعض هي شعوب تحمل الهِرة (القطة) التي تنتقل من مكان إلى مكان لكي تأكل وتشرب وتكوّن لها نسلًا. فهذه الهرة ليست النص الفرعوني، ولا النص الإسلامي، بل هي في حقيقة الأمر التجاور الذي أوجد هذه التشابهات. وأننا إذا أردنا أن نقدم هيكلية للعلاقة بين التوراة وأدبيات الشعوب الأخرى، فإننا يجب أن نضع في الاعتبار أن هذه الهيكلية لم تكن هي السبب في الاقتباسات، وإنما نحن الذين افترضنا وجودها لكى نفهم هذه الاقتباسات التي باتت واضحة في زماننا في علم الديانات المقارنة، وهي لم تكن في الأصل اقتباسات بل كانت في شكلها الحقيقي مقاربات من أجل علاقات إنسانية فيها سعيٌّ نحو السلام ونحو الأخوَّةِ لكى يتخطى الإنسان الفوارق العرقية واللغوية التي عاش تحت ظلها. فعلى سبيل المثال، ونحن لا نريد أن نقدم النصوص هنا، وإنما نسأل عن استعمال الحصان في الحروب وفي الزراعة وفي التجارة وحتى في اللهو، فمن الذي روَّض الحصان؟ وأيُّ شعبٍ من الشعوب هو الذي بدأ؟ وإذا جمعنا نصوصًا وصلت حتى إلى الألف نص، فسوف نجد في نهاية الأمر أننا أمام نصوص إنسانية لا تجعل من استعمال الحصان في مختلف فروع الحياة اقتباسًا، وإنما نكون أمام استخدام ما هو متاح وما هو مقبول، ولذلك لم تنشا مقارنات دينية في أي عصر من العصور إلَّا في عصرنا.

نظرة إلى مستقبل معرفتنا بالتراث[1]

(٢)

قضايا التراث المسيحي في مصر:

عندما ننظر إلى التراث المسيحي، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل أثر الثقافات في تكوين ملفات صعبة، وهي الأفكار التي خلقت اللاهوت الأرثوذكسي الذي يُعاد اكتشافه من آنٍ لآخر. فهو مرتبطٌ بالثقافات اليونانية والسريانية والآرامية، ثم العربية. فثقافة الإسكندرية التي نشأت في دلتا وادي النيل وفي صعيد مصر تمثل أرقي ما يمكن أن نصل إليه في الفكر الإنساني. وكان الإنسان هو محور هذه الثقافة، الإنسان الذي من أجله جاء المسيح، وتجسَّد لكي يعيد للإنسان كرامته المفقودة ويحذِّره مما اصطُلِحَ عليه باسم "الخطية"، وهذا ليس إقلالًا من موضوع الخطية، وإنما تأكيدٌ على أن الإنسان يسمو فوق كل التحديدات التي تأتي بها الفلسفة، والتي تغوص في عمق النظم العقائدية التي وُضِعت منذ عصر أوريجينوس وتطورت على يد القديس أثناسيوس والقديس كيرلس إلى أن وصلت خاتمتها في القرن الخامس على وجه التحديد.

الإنسانُ هو الموضوع الذي من أجله جاء المسيح، وبالتالي فإن رسالة المسيح هي بمثابة إغراء للإنسان للتحول من الفكر الفلسفي الوثني القديم والصعود به إلى الفكر المسيحي الذي استفاد من الفلسفة وقرر أن يضع لها حدودًا بما يُعرف باسم "الخلاص"، والخلاص في تراثنا برمته هو:

---

١ مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٩ ديسمبر ٢٠٢٠.

(أ) كان الإنسان يتبع الآلهة التي كان يسجد لها. وتمثَّل أسرُ الإنسان في تلك النظرة الضيقة التي جاءت بها الغنوصية، ألا وهي التحرُّرُ من الجسد، والتي تمثَّلت في حركة نسكية يبدو أنها سادت في تجمعات رهبانية نشأت في ظلال الفلسفة الغنوصية ومزامير ماني، إضافةً إلى ما استطاعت هذه الحركة النسكية أن تستوعبه من التراث اليوناني الفلسفي. وهذا يعني بكل يقين أن هذه الحركة النسكية، لا علاقة لها بالمسيحية نصًّا وروحًا، لأنها كانت عكس الغنوسية. فالمسيحية التي جاءت من فلسطين كانت بكل يقين من أصل يهودي عبراني، حتى أن وجود الترجمة السبعينية اليونانية كان تأكيدًا على يونانية وعبرانية المسيحية السكندرية، وهو ما تؤكده نظرةٌ فاحصةٌ على أناجيل الغنوصية، حيث نجد أنها تدعِّم التراث اليوناني باقتباسات يونانية الأصل، أو سريانية الأصل لكنها تحوَّلت إلى اليونانية، مثل خلق الإنسان، ومثل الخلود. ولما كان الإنسان يقع في مركز دائرة البحث الفلسفي اليوناني، وما جاء في الأسفار المقدسة، فإن إهمال الجانب العبراني والتمسك بالجانب الفلسفي اليوناني هو ما يجب أن نتجنبه تمامًا، لأن أناجيل الغنوصية جاءت بمركَّبٍ بين الاثنين؛ اليونانية واليهودية.

والقضية الأساسية في الغنوصية هي كيف تُحرِّر الإنسان من قيود الجسد، وهو نداءٌ مُغرٍ بالدخول في نسك سلبي يقمع كل انتماء للفلسفة، رغم ما يبدو عليه من تكوين فلسفي، ولذلك فإن مصير الإنسان في الغنوصية والمانوية ليس هو مصير الإنسان في الديانة اليهودية. اختلاف المصير يؤدِّي حتمًا إلى اختلاف الفلسفة والدين، وهو اختلافٌ لم نستطع أن نستوعبه، لأن علماء القرن الثامن عشر كان لديهم إغراء بتأكيد إغريقية أو يونانية الكثير من الأفكار التي تدور حول نشاءة الإنسان وعلاقته بالله. وهذا في حد ذاته أمرٌ ممدوح ومطلوب، ومَن درس أناجيل الغنوصية يدرك أنها ابتعدت كثيرًا جدًا عما أصبح معروفًا في دراسات العهد الجديد باسم "دراسات مقارنة"، لأن اختلاف المنهجين من حيث الأصل والهدف لا يسمح لنا بأن نراجع كلاهما؛ المسيحية والحركة النسكية

الضيقة التي نشأت في الإسكندرية، وإنه لأمرٌ محزنٌ حقًا أن نسمع من علماءٍ كِبار أن النسكَ المصري مدرسةٌ واحدة، في حين أنه في حقيقة الأمر مدارس متعددة، إحداها الغنوصية. والاتجاه الغنوصي لم يكن يحمل ذات الرجاء الذي تحمله أقرب وثيقة للفكر اليوناني، وهي إنجيل يوحنا الرسول. وفي حقيقة الأمر، فإن ما نراه في هذا الإنجيل، ليس فكرًا غنوصيًا كما ادعى البعض، ولم تتحول رؤيتنا إلى عمل اللوغوس إلى ما أصبح يعرف باسم "كريستولوجي Christology آباء الإسكندرية"، وهو انحراف خطير عن الإنجيل الذي جاء بدعوة التجسد وبشارة الحياة الأبدية والقيامة من بين الأموات، أمَّا موضوعات الطبيعة والأقنوم والجوهر والاتحاد بين الطبيعتين، فهذه الموضوعات وقعت تحت تأثير الفكر الفلسفي وتركت الاختبار الحقيقي لإنسانية يسوع والشركة التي جاء بها مع الآب. ليس هذا دفاعًا عن مسيحية الإسكندرية، بل عن جوهر التراث السكندري المسيحي الذي يرى المسيح يسوع بنظرةٍ تبدو إغريقية في شكلها ويهودية في جوهرها لأن الله استُعلِن للإنسان في اليهودية ولم يُستعلَن في الفلسفة. فالمسيحي الذي كان يقرأ إنجيل الطفولة (إنجيل غنوصي) ليس ناسكًا متعبِّدًا يقمع الجسد، بل يلتقي مع المسيح في الأسس الإنسانية العامة.

وقد وقعنا جميعا في فخٍ أُعدَّ لنا بمهارة في تقسيم إنجيل يوحنا إلى إصحاحات، وهو تقسيمٌ تعسفي أهمل استعلان الكلمة اللوغوس في مختلف العلاقات التي أسَّسها اللوغوس في تجسده. فكل ما جاء في هذا الانجيل يمكن أن يُفهم بفهم صحيح إذا أخذنا في عين الاعتبار أن أخطاء علماء مثل بولتمان، في حقيقة الأمر كان يمكن ألَّا تؤثر في فكرنا، لأن اللوغوس صار جسدًا، وأنه دُعي إلى عُرس في قانا الجليل وحوّل الماء إلى خمرٍ، وطلب من نيقوديموس أن يُولد من جديد لكى يدخل ملكوت الله، ويسير الإنجيل على خطٍ واحد، وهو الإنسان الذي تقبَّل استعلان اللوغوس للحياة الجديدة، فهو يذهب إلى السامرة ويسير تقريبًا مسافة نصف يوم لكى يقابل امرأةً سامريةً، وهو أمرٌ مرفوض في اليهودية

لأن اليهود أبطلوا النعمة واستعلان الله عن غير اليهود، وهؤلاء من الأمم لا خلاص لهم. ونسير مع الإنجيل من المرأة السامرية إلى الإنسان الذي أُقيم من بين الأموات (لعازر) وإلى الراعي الصالح الذي جاء ليعلن محبة الله للإنسان، وهي محبة الآب للابن، وهي محبةٌ غير قاصرة على الآب أو قاصرة على الابن، بل استُعلنت لكى تجمع الجنس البشري في استعلانٍ جديد، وهو الامتلاء من محبة الله حسبما ورد في الاصحاح السابع عشر وفي رسائل القديس يوحنا الإنجيلي. هذه الرسالة هي استعلانٌ شخصيٌّ جاء به المسيح يسوع، ودخل في الحياة التاريخية للإنسان، في المواقف الإنسانية التي دخل فيها الموت والمرض، ولذلك جاء المسيح ليشفي ويحرر الطبيعة الإنسانية دون أن يصاب هو بمرض، بل أنهى التدبير بأن داس الموت. الأمر المحزن حقًّا هو أن ما جاء به الإنجيل أصبح محصورًا في ثقافةٍ انشغلت بدراسة الكتاب المقدس من خلال الأبحاث الفلسفية، وهي دراسة قدَّمها العالم الألماني الكبير بولتمان، والتي هي في حقيقة الأمر قاصرة على تدجين الإنجيل وحصاره في النظرة الضيقة لعلماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر إلى أن جاء علماء القرن العشرين وأخرجوا الإنسان من معتقل الفلسفة اليونانية التي ظنَّ كبار العلماء في القرن الثامن عشر والتاسع عشر أنها خلاصة الإنجيل في تلك الحقبة من التاريخ. لأن تجسُّدَ الكلمة جمع الأُلوهة والإنسانية في شخصٍ، وليس في نظام فلسفي، وتأكيد ذلك نراه في تصرفات اللوغوس في إقامة لعازر من بين الأموات، وقبل ذلك في تقديم جسده ودمه لمن يريد أن يأتي إلى الآب في الاصحاح السادس.

(ب) أجمل ما جاء في الإنجيل هو عطية الروح القدس التي أعلنها المسيح في الإنجيل، وهي تبدو ذات وضع غريب، في فصول إنجيل يوحنا من الاصحاح الرابع عشر إلى السادس عشر، وتنتهي بمحبة الثالوث أو محبة الآب على أقل تقدير، لأن عطية الروح القدس سبقت التدبير، لأن عطية الروح القدس لنا

ليست مرتبطة بموت المسيح، وإنما مرتبطة بمحبة الله الآب، لأن موت المسيح تحرير، وإنما عطية الروح القدس فهي من الآب، ولذلك تُقرأ فصول البارقليط يوم خميس العهد مساءً في ليلة الجمعة الكبيرة. أما المدارس الألمانية فقد أهملت محبة الآب التي جاء بها المسيح، ولأمرٍ غير مفهوم لدينا لم تكن هذه المدارس قادرة على أن تشرح لنا بالنصوص حقيقة محبة الآب للإنسانية، فالمحبة ليست نظرية، ولا هي تجميع لنصوص أو مصطلحات، بل هي مواجهة بين الله والإنسان استطاع الله فيها أن يحرر الإنسان من أعمق مشاكلة الإنسانية، وهي الخطية والموت، ونرى في ذلك أثر اليهودية وأثر الفلسفة الإغريقية، ولكن إن كان لدينا إنصافٌ فإننا يمكن أن نقول بكل حرية وبكل ثقة إن المسيحية لم تقدِّم نظريات عن المسيح، وليس لديها كريستولوجي Christology، لأن مواجهة الثالوث أو الآب للإنسان في المواقف التاريخية التي كُتبت عن حياة يسوع مثل الحديث عن الروح القدس أو عطية الآب، هذه العلاقة الكائنة بين الخالق والمخلوق، لم تكن بدايتها وضع نظرية أو استعمال مصطلحات فلسفية، وإنما هو استعلان المحبة الإلهية، والشركة هي هدف مجيء الله الكلمة المتجسد. ولذلك، فإن استرداد تراثنا المصري لا يجب أن ينحصر في فرض نظرة تاريخية ضيِّقة على ما لدينا من نصوص، لأن الاستعلان الإلهي لم يكن نصًّا ولا حتى روحًا، بل كان استعلانًا لمحبة الله الخالق للإنسان، ولذلك لا نرى في مواقف المسيح إعلانا عن الأُلوهة فحسب، لأن هذا يجعل المسيحيةَ استمرارًا للديانة اليهودية ورسالة الأنبياء، بل هي استعلان المحبة للإنسان التي غابت برمتها عن الديانة اليهودية، ولذلك جاء الإنجيل يبشِّر السامرة عن طريق المرأة السامرية ببشارة الخلاص التي جاء بها المسيح للأمم، ولم تكن بشارةً مبنيةً على تعليم الأنبياء، بل على تعليم المسيح.

(جـ) الخلاص والحياة الأبدية هما معًا موضوعٌ واحد، فقد كشفت دراسة العالم الأمريكي الجدير بكل احترام الأب ريموند براون، أنه أمام خصوصية لم تأتِ بها الغنوصية ولا المانوية ولا اليهودية، وأن استعارة بعض المصطلحات مثل كلمة «اللوغوس» لا يعنى استمرار هذا المصطلح في رسم فكرة يونانية عن المسيح، ولا حتى نشأة عبرانية، وإنما الكل جديدٌ كأبيه، وإن كان في بعض المواقف يبدو فيها أن الصوت النبوي من العهد القديم له صدى في إنجيل يوحنا، لأن الكاتب بكل تأكيد يعرف مواعيد الله للأنبياء، ولكن هذه المواعيد حُفِظَت في إنسانية ابن الله، وأن المسيح يسوع هو هذه الإنسانية الجديدة، والتي كانت تؤكِّد الصوت النبوي، ولكن في صوتٍ جديد، لأن الله لم يعلن للأنبياء في العهد القديم امتلاك الإنسان للروح القدس، وأن الميلاد الجديد هو أحد شروط هذه العطية حيث يعمل كل مسيحي على أن ينال المعزِّي الباراكليت، وأن لا يستهِن بهذه العطية لأنها من الله الآب، ولا يمكن الحجر عليها من خلال الدراسات اليهودية القديمة والحديثة معًا.

(د) لا يكتمل الخلاص بدون غلبة الموت وتحقيق القيامة، وهذه ليست نظرية نبوية ولا حتى فلسفية، بل هي استعلانٌ جديد جاء به يسوع المسيح لكى يحرر الإنسان من الموت والخطية، ليس حسب سلوك الإنسان، بل حسب صلاح الله.

تجلي الكلمة (اللوغوس) في إنجيل يوحنا:

لا يستطيع الله أن يقبل الشر، ولا يمكن أن يكون محايدًا أمام الشر ولا يتجاهله، ولكنه يعمل على إنهاء مشكلة الشر في حياة الإنسان من خلال تصرف عملي وليس من خلال بحث نظري عن تلك الكلمة أو هذه العبارة أو هذه الاقتباسات، وإنما من خلال تأكيد العلاقة الجديدة التي جاء بها يسوع المسيح، فالإنجيل جاء مؤكِّدًا لعلاقة الله بالإنسان في يسوع المسيح، وأن يسوع المسيح هو الحياة الأبدية التي لا يمكن أن تُدرَك بالبحث بل تُؤخذ بالممارسة.

كان الأب متى المسكين هو أول من فتح مجال هذا الموضوع في العصر الحديث، إلَّا أنه كان محايدًا، فلم يستطِع مسيحي مصري أن يهدم الأفكار الخاطئة التي جاءت في كتابات بولتمان وغيره عن الإنسان وعن الله، وربما خشي النقد أو ربما ترك النقد للأجيال التالية، لكن من المؤكد أنه أول إنسان مصري تكلم عن الحياة الأبدية التي جاء بها المسيح، وأنها هي شخص يسوع المسيح.

الإيمان بالله الكلمة المتجسد هو في حقيقة الأمر اشتراكٌ في حياة اللوغوس خالق السماء والأرض وواهب الإنسان الحياة الجديدة، ومع أن اللوغوس كلمة لم تأتِ في باقي إصحاحات إنجيل يوحنا، وتقريبا انتهت عند الاصحاح الأول، إلَّا أن معناها الحقيقي يتجلى في الاصحاح السابع عشر، وفي آخر إصحاح عندما نفخ المسيح وأعطى التلاميذ الروح القدس. وقد أدرك الإنجيلي أنه يجب أن يُبلِّغ رسالة المسيح بالأعمال الإلهية للوغوس، وأن هذه الأعمال الإلهية لا يمكن فهمها من خلال نصوص، بل من خلال العطاء الإلهي، والعطيةُ ليست نصًّا، والمسيحُ ليس نصًّا. وبالرغم من أن أخطاء علماء القرن التاسع عشر صُحِّحت في القرن العشرين، لكنها مع ذلك ظلَّت تجول وتصول في فكر الدارسين لأنها كانت جديدةً، وكانت تمثل تحديًّا تامًا لم يستطِع الدارسون أن يتفكروا فيه ويقبلوه لأنه بُنى على نظراتٍ عقلية، ومن هذه النظريات أن الكتاب المقدس والعهد الجديد هو الذي أسَّس الكنيسة، وإنما الحقيقة التاريخية الكبرى هي أن الكنيسة هي التي جَمَعَت الأسفار، وأنه بدون الكنيسة لم يكن لدينا عهدٌ جديد، بل فرزت الأسفار القانونية التي تُستعمل في الكنيسة من الأسفار الأبوكريفا التي أنتجها مارقيون وغيره من هراطقة القرن الثالث، والتي تُعرَف عندنا في مصر باسم أناجيل نجع حمادي.

والخطأ ليس في تراجُع الدراسات الكتابية، وإنما الخطأ في اعتبار أن المسيح يسوع موجودٌ في كتاب أو يمكن أخده من كتاب، وهو في حقيقة الأمر، أمرٌ

مستحيل لأن ما جاء به يسوع لم يكن فكرةً، فهو يخبر المرأة السامرية بضرورة نوال عطية الآب، وأن السجود لله ليس في جبل السامرة ولا في أورشليم، وإنما هو قبول عطية الآب بأن نسجد نحن للآب كبشر، وهذه هي العطية الجديدة التي لم تُبنَ على نظرةٍ عِرقيةٍ في إنجيل يوحنا، بل على محبة الله. وأن الإيمان هو قبول المحبة الإلهية المستعلَنة في المسيح يسوع الإله الكلمة المتجسد وليس في نصٍّ من هنا أو هناك، المحبةُ لا يمكن أن تكون نصًّا لأسباب فلسفية وغير فلسفية، ومن الأسباب الفلسفية أنه ليس لدينا في التراث اليوناني برمته تعبيرٌ عن محبة الله للإنسان، وأن هذا هو الصلاح الإلهي، وأن الفصول الأولى من تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس، إنما تضرب التراث اليوناني وتقول لنا بملء الثقة إن الكلمة تجسَّد، وحلَّ فينا وليس بيننا، لأنه لديه اشتياقات إلهية لحياة الإنسان ورجاءه في الله، وإنما الأمر المحيِّر فعلًا أن تنشا علاقة شركة بين الله والانسان وتُبنى على ما يُوصَف بـ كريستولوجي Christology إنجيل يوحنا، وإنكار هذا الكريستولوجي يعني بكل يقين اعتبار المحبة علاقة شخصية، وأنه لا وجود لأي نظرة فلسفية لأن مَن يحب لا يقدِّم فكرةً، إنما يقدم حياةً وشركةً تجعله قريبًا إلى أقصى الحدود التي يمكن أن تصل إليها هذه الشركة، "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧: ٣)، وهي ليست دعوة إلى نظرة ضيقة فلسفية وإنما دعوة لأن يدخل الإنسان الحياة الإلهية التي دعاه الابنُ إليها وأن يفهم هذه الدعوة من خلال ما استُعلِن في شخص يسوع المسيح، وليس من خلال أقواله فقط. ولذلك، فإن المقارنات التي جاء بها المؤلف والكاتب التونسي المعاصر يوسف الصديق، وغيره من الباحثين هي خلاصة الرفض الفلسفي الأوربي الغربي للإنجيل والشروع في تفتيته إلى وحدات غير متناسقة، لتأكيد اغتراب الإنجيل عن الحياة الأوروبية، وهو فخٌ يقع فيه الدارسون لأنهم لم يستوعبوا خصائص الإنجيل.

خاتمة

أمانة عليك

مَوّال قبطي(١)

أمانة عليك يا اللي هتيجي من بعدي
تكتب تاريخي بأمانة، والأمانة هيَّ عهدي
أُم الشهداء ولدتني وعاشت في قلبي
لو قطَّعوا قلبي ميت حتة
كل حتة هتقول أنا قبطي

***

أمانة عليك تكتب إزاي أنا اتظلمت
ولا دافِعت عن نفسي، ولا اتحاكِمت
خصيان المعرفة بسكاكين الكذب
نشروا أكاذيب وكلام خسيس
خصيان بلا رجولة،
جدعان بس في سوق التدليس

***

١- منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ نوفمبر ٢٠١٩

اللي ظلموني ناموا في قبور من رخام
وتركوا الظلم عند باب مقابرهم
الصاحي وحده يفهم عمايلهم
تمجيد الموتى وراثة من الفراعنة
يا ريت كنّا ورثنا علمهم وفنهم
يا ريت كنّا فهمنا ثقافتهم

***

ولما الشماس يقول بي نيشتي،
يا ترى عارف حياة اللي بيقول أساميهم،
وشهادتهم ورجولتهم ومحبتهم،
ولّا حتى دول اتظلموا وضاعت حكايتهم؟
أمانة عليك تكتب مين اللي ضَيَّعها
مين لوِّث التعليم، وجِه يُشطُب التسليم

***

أمانة عليك تكتب شهادتي
لو كنت تركت أُم الشهداء
كنت هعيش من غير قلبي
حكموا عليَّ وعلى أولادي بالجوع

الغريب أضافني، وحسبوها عليَّ جريمة
مكنش ممكن أشحت على أبواب الكنايس
ولا كان لي مهنة غير أني مسيحي
شهادتي للمسيح هي شغلي
ولا كان ممكن أغيَّر شكلي
وأقطع قلبي من جسمي
وأعيش من غير قلبي

***

أمانة عليك تكتب وتحكي قصة أبونا متى
ووهيب عطالله اللي مات مش لاقي ثمن الدوا
وعاش لاجئ في الأديرة علشان يأكل
وكل اللي مشي في سكته لازم ينضرب
هرطقوه بالكذب وكان لازم يقتلوه
زي أبيفانيوس،
شهيد قَتَله الجهل
وأحقادهم نار هتحرق اللي بيخاف
وهما في الميديا
خصيان ونسوان ساقطات
الزنى هو عبادة الأوثان
الميكرفون إله بتحبه النسوان

أمانة تقول مين الإله اللي بنعبده
الخوف ولّا لقمة العيش ولّا الشهرة
ومين ثالوث الكذابين
المال والكذب والميكروفون
ولسَّة فـ موالي كلام كتير
لازم أكتبه لأن العمر بيطير

+ + +